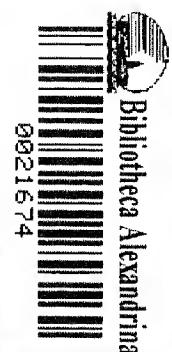


مخالفات الرسول في المسجد الحسيني

تأليف
الدكتور سعاد ماهر محمد



دار النشر لجامعة القاهرة
١٩٨٩

مخلفات الرسول في المسجد الحرام

تأليف
الدكتور سعاد ماهر محمد

دار النشر لجامعة القاهرة
١٩٨٩

يا عين ان بعد الحبيب وداره
ونأت مرابعه وشط مزاره
فللك الهنا فلقد ظفرت بطائل
ان لم تريه فهذه آثاره

تصميم

أنه لشرف عظيم لجامعة القاهرة ان تتولى نشر هذا الكتاب القيم : القيم من حيث الموضوع الذى يتناوله . وهو « مخلفات الرسول فى المسجد الحسينى » والقيم كذلك من حيث الجهد الذى بذل فى تأليفه ، والخطوة العلمية السليمة التى اتبعت فى جمع معلوماته وحسن عرضها . ويشرف جامعة القاهرة كذلك أن هذا الكتاب القيم وضعت أستاذة جليلة وعالمة فاضلة قديرة ، وهى السيدة الاستاذة الدكتورة سعاد ماهر محمد عميدة كلية الآثار سابقا ، والاستاذة المتفرغة بالكلية . ان الاستاذة الدكتورة سعاد ماهر محمد هى قيمة جامعية كبيرة وصاحبة فضل عظيم على كلية الآثار وعلى جامعة القاهرة . وهذا المؤلف الذى تشرف جامعة القاهرة بنشره هو انتاج علمى عظيم يعبر عن الامكانيات العلمية الكبيرة التى تحظى بها الاستاذة الدكتورة سعاد ماهر محمد ، وهى امكانيات وضعتها فى قمة العمل العلمى فى مجال الدراسات الأثرية الاسلامية .

ان هذا الكتاب يتناول موضوعا له قيمته الدينية الكبيرة ، وهو يشبع من هذه الوجه لدى القارئ عاطفة دينية تواق الى التعرف على كل ما يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه المخلفات قد اتصلت به اثناء حياته ، فحملت اشعاعا من بركاته ونوره ، وهى بعد انتقاله الى الرفيق الأعلى تمثل رصيда فى ضمير كل مسلم يذكره بصاحبها عليه الصلاة والسلام ، فيحفزه هذا التذكر على التأسي به ، والتماس القدوة الحسنة فى شخصيته العظيمة الرائدة .

اننى احبب السيدة الاستاذة الجليلة مؤلفة هذا الكتاب واعبر عن التقدير العظيم للجهد الكبير الذى بذل فيه ، وللنهج العلمى الصحيح الذى اتبع فى تأليفه .

وانى أرجو أن ينتفع بهذا الكتاب كل مؤمن محب للرسول عليه الصلاة والسلام . وكل باحث فى الآثار الاسلامية يبتغى المزيد من العلم فى هذا المجال الخصب من الدراسات التى تحرص جامعة القاهرة على تنميته واثرائه .

الدكتور/محمود نجيب حسنى

رئيس جامعة القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم الطبعة الثانية

يشرفنى أن أقدم للقراء فى كل مكان كتابا لعالمة الآثار الجليلة العميدة الأستاذة الدكتورة / سعاد ماهر ، • وهو كتاب تنبع أهميته من قيمتين غاليتين على نفس كل مسلم: قيمته الدينية اذ يتناول الكتاب آثارا عن النبى محمد عليه الصلاة والسلام • وقيمته العلمية المستمدة من الجهد الخارق والدؤوب الذى بذلته عالمة الفاضلة مؤلفة الكتاب فى البحث والتنقيب والتحليل للتوصل الى نتائج علمية محددة •

وقد بدأت صلتى بالكتاب منذ عدة شهور عندما دعتنى الاستاذة مؤلفة الكتاب مع صحب كريم من أساتذة جامعة القاهرة ، لزيارة مسجد الحسين رضى الله عنه • وشاهدنا هناك سيف الرسول عليه الصلاة والسلام وبعضا من آثاره الطاهرة •

وفى المسجد الكريم ، تلقيت نسخة هدية من الكتاب فى طبعته الأولى ، وعلمت أن الطبعة قد نفذت • فثمنت بأن من واجب جامعة القاهرة ان تشرف بتقديم طبعته الثانية حتى يعم نفعه •

وانى اذ أقدم هذه الطبعة للجمهور ، لا يسعنى الا أن أقدم الشكر للمؤلفة الكبيرة لتنازلها عن حقها فى هذه الطبعة لجامعة القاهرة ، كما أقدم شكرى لكل العاملين بمطبعة الجامعة •

د.د/فتحي والى

نائب رئيس جامعة القاهرة
لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة

بسم الله الرحمن الرحيم

تَقْدِيمٌ

للسيد المهندس أحمد عبده الشرباصي

نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف وشئون الأزهر

من أعزّ ما تعتز به القاهرة . عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ، أنها تضم بين جوانبها . بل بين جوانبها . بقية طاهرة من بقايا المخلّفات النبوية الشريفة ، محفوظة بمشهد سيد الشهداء الإمام الحسين رضوان الله عليه ، وهذه المخلّفات هي : ثلاث قطع كبيرة من النسيج من اللباس النبوي الشريف ، وقطعة من القضيبي وهي التي عبر عنها الجبرتي بقطعة عصا ، والمكحلة والميل (المروء) ، وقد ضم إليها بعض الشعر من الرأس ومن اللحية النبوية الشريفة . كما أُضيف إلى المخلّفات النبوية المصحفان المنسوبان إلى سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا عليّ بن أبي طالب .

والمخلّفات النبوية الشريفة ، سواء ما كان منها في مصر أو غيرها من بلاد العالم الإسلامي كانت دائماً موضع اهتمام المسلمين ورعايتهم في مشارق الأرض ومغاربها ، ومحل تكريمهم وإعزازهم ، تتطلع إليها قلوبهم وتهفو لها أرواحهم ،

(ح)

ويستروحون من خلال نفحاتها الزكية نفحات صاحب الرسالة الخالدة والمثل الأعلى للإنسانية صلوات الله عليه .

ولقد كان المشهد الحسيني مثابة العديد من أبناء الأمم الإسلامية الذين يزورون القاهرة ويحرصون على التبرك برؤية الآثار النبوية الشريفة الموجودة بهذا المشهد ومنهم رؤساء الدول الإسلامية ووزراؤها ، وكثيرا ما أبدوا رغبتهم في الإلمام بتاريخ هذه المخلفات الطاهرة ومعرفة كل ما يتصل بها ، إلا أن تفرق المعلومات الخاصة بها بين كثير من المراجع وكتب السير والتاريخ التي لا يتيسر الرجوع إليها إلا لقلّة قليلة جعل من العسير تحقيق هذه الرغبة على النحو الذي يرضى التحقيقة العلمية والتاريخية .

ولهذا رأت وزارة الأوقاف ضرورة وضع كتاب في هذا الموضوع يجمع المعلومات المتفرقة عنه ويحققها تحقيقاً علمياً يطمأن إليه ، وعهدت بتأليفه إلى الدكتورة سعاد ماهر الأستاذة المساعدة بكلية الآداب بجامعة القاهرة: وقد تناولت المؤلفة بالبحث كل ما يتصل بتاريخ المخلفات النبوية فعرضت للمشهد الحسيني من الناحية الأثرية والتاريخية ، والأماكن التي حفظت فيها المخلفات النبوية قبل أن يستقر بها المقام في مكانها الحالي ، ثم استعرضت المخلفات ذاتها أثراً أثراً على وجه التفصيل فأوردت أوصافها والأخبار المذكورة عنها في رواية من سبق من المؤرخين واتبعت ذلك بدراسة المخلفات دراسة تطبيقية وفنية وتحليلية . فجاء الكتاب شاملاً كل ما يمكن أن يتطلع القارئ إلى معرفته في هذا

الموضوع الجليل . الذى يزيده جلالة اتصاله بسيرة صاحب الرسالة صلوات
الله وسلامه عليه

ويسر وزارة الأوقاف أن تسهم فى تقديم هذا الكتاب ونشره بين أبناء
العالم الإسلامى تحية طيبة إلى مقام النبى الكريم ونفحة من نفحاته الزكية
يطيب للمسلمين أن يلموا بها كلما استشرفوا سيرته العطرة فى عليا آفاقها
وما أكثر ما يستشرفونها بالتوفير والإجلال وبالحمد والرضوان .

مقدمة

من توفيق الله أن هياً من الأسباب ما أتاح لي أن أعيش بضعة أشهر مع المخلقات النبوية ، استروح نفحاتها المحمدية واستمتع بها ، فقد طلبت إلى وزارة الأوقاف أن أكتب عن المخلقات النبوية الموجودة بمشهد الإمام الحسين ، وعن المصحفين المنسوبين إلى الخليفتين عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهما والموجودين أيضاً بالمشهد الحسينى .

وإنه ليسعدنى أن يكون لى شرف دراسة هذه المخلقات ، فأملأ العين والقلب منها ، بل واليدين ، تيمنا بها حسا ومعنى . وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على الاحتفاظ بما يصل إليهم من الآثار النبوية للتبرك بها ، فقد جاء عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حلق رأسه بمنى ثم دعا أبا طلحة الأنصارى فأعطاه الشعر ، وقال له أقسمه بين الناس . وإنما قسمه ليكون بركة باقية بين أظهرهم وتذكره لهم . وعن ابن أبي الدنيا قال ، إن آخر خطبة خطبها معاوية بن أبي سفيان أوصى فيها ولده يزيد ، إذ دنا أجله ، أن يستودع معه ثوبا من ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقراضة من شعره وأظفاره ، وأمره أن يستودع القراضة أنفه وفمه وأذنه وعينيه وأن يجعل الثوب مما يلي جلده دون لفافة .

وإن فى وجود هذه المخلقات النبوية فى مسجد الإمام الحسين ، واختيار هذا المسجد ليكون مقرها ومستودعها ، دون غيره من المساجد التى تزخر بها مدينة القاهرة ، ويربو عدد الأثرى منها على ستمائة بين مسجد ومشهد ومدرسة وخانقاة ، ما يوحى بأفضليته ومكانته ، وكفى أنه مشهد الحسين سبط الرسول

صلوات الله عليه . وابن فاطمة البتول رضوان الله عليها . لهذا ولا اعتبارات أخرى أثرية وتاريخية رأيت أن يتناول بحثي أيضا مشهد الحسين . ولكي أحدد الجزء الأثرى من المسجد الحالى . ولأبين الإضافات والتجديدات التى تمت فى عهد الثورة المباركة والتى لم يسبق الكلام عليها .

وإذا جاز الكلام على المسجد . فمن الواجب أن يتناول صاحب المسجد رضى الله عنه . كما يتناول موضوع الرأس الشريف . وهل هو مدفون بهذا المسجد ؟ فإن البلاد الإسلامية كلها تقريبا تزعم أن الرأس مدفون فيها ، حيا فى أنبي الشهداء ورغبة فى أن تصير قبلة زوار أهل البيت الطاهرين وأبنائهم البررة الصالحين .

على الصعيد الكتابية عن المخطافات النبوية ، لابد له أن يتناول بالبحث الأماكن التى حفظت قبورها . منذ أن وصلت أرض الكنانة فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) . حتى استقرت فى مثواها الأخير بالمشهد الحسينى . لذلك تناولت فى إيجاز وصف (رباط الآثار) بأثر النبى (بمصر القديمة) وكذا قبة الغورى (بالغورية بحى الأزهر) .

وقد نهجت فى بحثي ودراستي للموضوعات السالفة الذكر . المنهج الأثرى والتاريخى . وعلى ضوء هذين المنهجين ، استطعت أن أصل إلى ترجيح رأى أو قول ، أعتقد أنه أقرب ما يكون اتفاقا مع المنطق والواقع .

أما عن دراستي للمخطافات . فإلى جانب الدراسات التاريخية التى تواترت فى كثير من كتب السيرة والمراجع التاريخية . وأخص بالذكر منها كتاب أحمد تيمور (الآثار النبوية) . الذى غنى بجمع معظم ما كتب عن بعض هذه المخطافات - إلى جانب هذه الناحية - فقد درست منها من الناحية التطبيقية والفنية والتحليلية دراسة استطعت معها أن أصل فى كثير منها إلى رأى قاطع أو القول الراجح .

هذا ولا يفوتني أن اذكر بالشكر تلك المعاونة الصادقة التي قدمها لي الشيخ حلمي عرفة شيخ المسجد الحسيني وكذلك الأستاذ عبد الفتاح عيد الذي عني عناية خاصة بتصوير المخطفات النبوية حتى خرجت في هذه الصورة الواضحة الظاهرة . كذلك أقدم خالص الشكر للأستاذ محمد عدلي أباطه مدير إدارة الهندسة بوزارة الأوقاف للمعلومات القيمة التي أمدنا بها ، الخاصة بالأعمال التي تمت في المسجد الحسيني في عهد الثورة المباركة . كما أخص بالشكر القائمين على معمل التحليل الكيميائي التابع لمصلحة الآثار وعلى رأسهم الدكتور زكي اسكندر مدير المعمل ، والأستاذ عبد اللطيف عرفان وكيل المعمل والأستاذ حافظ شوشه أخصائي النسيج ، وجميع الذين قاموا بفحص وتحليل المخطفات كي نصل إلى رأى علمي قاطع .

أما وزارة الأوقاف وعلى رأسها السيد المهندس أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف وشئون الأزهر ، والسيد الأستاذ يوسف عز الدين القرمانى وكيل وزارة الأوقاف لشئون الخدمات فإليها يرجع الفضل في ظهور هذا الكتاب فهي أولاً صاحبة الدعوة لإجراء هذا البحث وإحياء ذكرى هذه المخطفات ، وهى أخيراً صاحبة اليد البيضاء إذ تولت طبع الكتاب على نفقتها فجاء في هذه الطبعة الفاخرة . وسيكون لهذه اليد الكريمة المحسنة ، أثرها ونفعها وأجرها فان الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

وبعد ، فإننى لا أدعى أنى أتيت في هذا البحث بالقول الفصل ، أو بمالم يأت به الأوائل ، فما أنا إلا رائدة ، أمهد الطريق ، بما وفتت إليه من قول ورأى ، لمن يلينى ممن يكتبون في هذا الموضوع ، والله أسأل أن يهدينا سواء السبيل .
الجيزة - الهرم في ربيع الأول سنة ١٣٨٥ .

مشهد الحسين

الإمام عبد الله الحسين بن علي رضي الله عنه اسم ملاً في عصره وبعده كل مكان في البلاد العربية والإسلامية وغيرها من المعمورة ، فهو غنى عن التعريف بنسبه الشريف ومكانه من محبة النبي عليه الصلاة والسلام ، وما تحلى به من الفضائل والمناقب وما بذله من جهاد وتضحية في سبيل العقيدة ورعاية الحق والأنفة من الضيم .

وقد أصبح الحسين بعد مأساة كربلاء سيد الشهداء ورمز الإيمان والفداء وموضع الحب والتقدير والاكبار . وقد بلغ الحسين بنسبه الشريف وخلقه الكريم وورعه وتقواه ورعايته لأحكام الدين ، مكانة في قلوب الناس لا تدانيها مكانة ، فغدا محبوب كل فرد ومثله الأعلى في الشجاعة والإيثار والتضحية والفداء ، رضي الله عنه وأرضاه .

وإذا كان هذا البحث سيتناول فيما يتناول مشهد الحسين بالقاهرة ، فلا بد لي أولاً من كلمة عن مكانة صاحب المشهد والأحداث الخطيرة التي مر بها .

والإمام الحسين هو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وابن السيدة البتول فاطمة الزهراء بنت الرسول ، ولد لخمس خلون من شعبان في السنة الرابعة^(١) بعد الهجرة وقيل في السنة الثالثة^(٢) ، وسمى حرباً لميل العرب

(١) القرمانى ص ١٠٦ . ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في مناقب الحسن والحسين ص ١٤ ،

أسد الغابة لابن الأثير ص ٢ ، مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص ١٣٨ ، المفيد في الإرشاد في حجاج الله على العباد ص ٢٠٣ ، الصبيان ص ١٣٤ .

(٢) الكافي للكليني ص ٢٣٨ ، رياض الجنان في مشتهى الجنان ص ٢٥٤ .

المشجاعة وما يدل عليها . ولكن النبي عليه الصلاة والسلام سماه حسيناً ،
وقد ورد في مسند أحمد بن حنبل^(١) وغيره عن علي رضي الله عنه أنه قال :
« لما ولد الحسين سميت حرباً فجاء رسول الله (ﷺ) فقال : أروني ابني
ما سميتموه . قلت حرباً . قال بل هو حسن . فلما ولد الحسين سميت
حرباً ، فجاء رسول الله (ﷺ) فقال أروني ابني ما سميتموه ، قلت حرباً فقال
بل هو حسين . كما يروى أن الرسول (ﷺ) عَقَّ عنه يوم سبوعه بكبش ،
وحلق رأسه وتصدق بزنته فضة وأذن في أذنه ودعاه . وقد كنى بأبي عبد الله
وجاء في نور الأبصار^(٢) ، كنيته أبو عبد الله لا غير وألقابه كثيرة ، أشهرها
الزكي وأعلىها رتبة ما لقبه به الرسول (ﷺ) في قوله عنه وعن أخيه أنهما
سيد شباب أهل الجنة وكذلك السبط فانه صح عن رسول الله (ﷺ) .

وكانت مناقبه^(٣) رضوان الله عليه حديث العام والخاص في حياته وقد
خلدها التاريخ على صفحات الزمان بعد معاته فمن صفاته البارزة الجود ،
روى ابن عساكر^(٤) عن أبي هشام القناد أنه كان يحمل إلى الحسين بالمتاع

(١) مسند ابن حنبل ص ١٨ . الطبري في الرياض النضرة . أسد الغابة ج ٢ .

(٢) نور الأبصار للشبلنجي ص ١٥٢ . المفيد في الإرشاد ص ٢٠٣ .

(٣) لقد خرت كتب سيرة الحسين وأفاضت في ذكر مناقبه وفضائله ، كالجود والشجاعة والوفاء والفراسة
ومكارم أخلاقه وآدابه وعلمه وورعه وتقواه فكان لا بد من الإشارة إلى شيء منها : عيون
الأخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ١٤٠ . رسالة في الآداب والحكم (طبعة الجوائب) الكامل للمبرد
ج ٢ ص ٣٠٣ . لواعج الأشجان لحسن بن عبد الكريم الحسيني ص ١٤ مناقب آل الرسول
الفصل السابع . المختار لأبي أحمد المقرئ الأنباري .

(٤) التاريخ الكبير لابن عساكر ج ٤ ص ٣١٢ .

من البصرة ولعله لا يقوم حتى يهب عامته ، ويقول ابن عساكر^(١) ، إن سائلا خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين فقرع الباب وأنشأ يقول :

لم يخب اليوم من رجاك ومن حرك من خطف مابك الحلقة
أنت ذو الجود أنت معدنه أبوك قد كان قاتل الفسقه

وكان الحسين واقفاً يصلى فخفف من صلاته وخرج إلى الأعرابي ، فرأى عليه أثر ضرر وفاقة ، فرجع ونادى بقنبر فأجابه ، لبيك يا ابن رسول الله ، قال ما تبقى معك من نفقتنا ، قال مائتا درهم أمرتني بتفرقتها في أهل بيتك ، فقال هاتها فقد أتى من هو أحق بها منهم فأخذها وخرج يدفعها إلى الأعرابي . وقد روى أحمد^(٢) بن سليمان بن علي البحراني أن الحسين كان جالسا في مسجد جده رسول الله (ﷺ) بعد وفاة أخيه الحسن عليهما السلام ، وكان عبد الله ابن الزبير جالسا في ناحيته من المسجد ، وعتبة بن أبي سفيان في ناحية أخرى ، فجاء أعرابي على ناقة فعقلها بباب المسجد ودخل ، فوقف على عتبة ابن أبي سفيان فسلم عليه فرد السلام فقال له الاعرابي ، إني قتلت ابن عم لي وطولبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئا ، فرفع رأسه إلى غلامه وقال : ادفع إليه مائة درهم . فقال الأعرابي ما أريد إلا الدية تماما ، ثم تركه وأتى عبد الله بن الزبير وقال له ما قال لعتبه فقال ابن الزبير لغلامه ادفع إليه مائتي درهم ، فقال الأعرابي ما أريد إلا الدية تماما ، ثم تركه وأتى الحسين عليه السلام ، فسلم عليه وقال يا ابن رسول الله إني قتلت ابن عم لي وقد طولبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئا . فقال له : يا أعرابي نحن قوم لا نعطي المعروف إلا على قدر المعرفة ،

(١) ابن عساكر ج ٤ ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٢) عقد اللآل في مناقب الآل ص ٧٣ .

فقال (الأعرابي) سل ما تريد فقال له الحسين . يا أعرابي ما النجاة من الهلكة ، قال التوكل على الله عز وجل . فقال وما الهمة قال الثقة بالله . ثم سأله الحسين غير ذلك وأجاب الأعرابي فأمر له الحسين بعشرة آلاف درهم وقال له هذه لقضاء ديونك وعشرة آلاف درهم أخرى . وقال وهذه تلم بها شعئك وتحسن بها حالك وتنفق منها على عيالك .

وكان الحسين مع جوده الذى امتاز به وكرمه الذى كان مضرب الأمثال لا يجاوز حد السخاء إلى الإسراف والتبذير^(١) . فمن أقوائه المألوقة « لا تتكلف ما لا تطيق ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد . ويروى أن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب قال له الحسن والحسين عليهما السلام ، إنك أسرفت في بذل المال . فقال بأبي أنتما وأمي . إن الله عودنى أن يتفضل على وعودته أن اتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني المادة .

وكان الحسين شجاعاً^(٢) مقداماً منذ صباه ، فقد روى أن من بين المفاخر التى افتخر بها بنو هاشم على بنى أمية قولهم « من مثل الحسين بن على عليهما السلام يوم (ألطف) ما رأينا مكثوراً قد أفرق من أخوته وأهله وأنصاره أشجع منه . كان كالليث المحرب يحطم الفرسان حطماً . ولقد أثر الموت تحت ظلال السيوف حفاظاً على مكانته وكرامته . وحسبك أنه قاتل مع قلعة من أنصاره جيوش يزيد وهو فى العراء وفى غير حصن وعلى غير ماء . وقليل ممن عرفوا

(١) الكامل للمبرد ج ١ ص ٨١ . القزويني : عجائب المخلوقات ص ٣٠٧ ، أسرار الحكماء لباقوت المستعصى ص ٥٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٥ مجلد ٣ ص ٤٨٢ ، اسعاف الراغبين ص ١٣٤ . مطالب السؤل فى مناقب آل الرسول لابن أبي طلحة ص ٣٩ وكشف الغمة للاربلى .

بالشجاعة بل يكاد لا يوجد منهم من يقدم على ما أقدم عليه الحسين يوم كربلاء .

وقد تواتر في كثير من المراجع^(١) أن الحسين كانت له صلوات يؤديها في اليوم واللييلة غير الصلوات المفروضة الخمس^(٢) .

ومن تواضعه ما رواه ابن عساكر^(٣) أنه مرَّ يوماً بمساكين يأكلون في الصفة فقالوا الغداء فنزل وقال إن الله لا يحب المتكبرين فتغدى معهم ، ثم قال لهم قد أجبتكم فأجيبوني ، فقالوا نعم فمضى بهم إلى منزله وقال للرباب خادمته ، أخرجي ما كنت تدخرين .

وجاء في مناقب أبي حنيفة^(٤) عن آدابه وآداب أخيه ، أن سبى رسول الله (ﷺ) كانا على شط الفرات ، إذ نظرا إلى شيخ أعرابي خفف الوضوء والصلاة ، فقالا لو قلنا له عن غلطه ربما لا ينقاد إلى الحق ، فقالا له ، نحن شابان وأنت شيخ ربما تكون أعلم بأمر الوضوء والصلاة منا ، فنتوضأ ونصلي عندك ، فإن كان عندنا قصور فعلمنا فتوضأ وصليا كما رأيا من جدهما (عليه السلام) فتنبه الشيخ إلى غلطه وتاب ورجع عنه .

أما عن علم الحسين رضي الله عنه وفضله فتحدثنا المراجع بأن الناس كانوا يقدمون على الحسين وينتفعون بما يُسمع منه ويضبطون ما يروون عنه ، فمن أقواله في الثمنون العامة كتابه إلى معاوية الذي جاء فيه^(٥) : « أما بعد فقد

(١) أبو الفدا ج ١ ص ٢٠٢ ، منهاج الكرامة ص ١٢٩ ، العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٦٧ .

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية .

(٣) التاريخ الكبير ج ٤ ص ٣٢٣ .

(٤) مناقب أبي حنيفة لمحمد بن محمد بن شهاب البزاز الكردي ج ١ ص ٣٩ .

(٥) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ٢٨٤ ، اختيار الرجال للطوسي ص ٣٢ .

بلغنى كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عنى أمور أنت لى عنها راغب وأنا
بغيرها عنك جدير وأن الحسنات لا يهدى لها ولا يسدد إليها إلا الله تعالى .
وأما ما ذكرت أنه رقى إليك عنى فإنه رقاہ إليك الملاقون المشاؤون بالنميمة
المفرقون بين الجمع وكذب الغاؤون ، ما أردت لك حرباً ولا عليك خلافاً
وإنى لأخشى الله فى ترك ذلك منك ، ومن الأعذار فيه إليك وإلى أوليائك
القاسطين الملاحدين ، حزب الظلمة وأولياء الشياطين ، ألسنت القتاتل حجر
ابن عدى أخا كندة وأصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم
ويستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون فى الله
لومة لائم ، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغاظة والمواثيق
المؤكدة جرأة على الله واستخفافاً بعهده . أو لست قاتل عمرو بن الحمق
صاحب رسول الله (ﷺ) بعد ما أمنتہ وأعطيته من العهود ما لو فهمته العضم
لزلت من رؤوس الجبال » « وقلت فيما قلت انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد
واتق شق عصا هذه الأمة ، وأن تردهم إلى فتنة ، وإنى لا أعلم فتنة أعظم على هذ
الأمة من ولايتك عليها ، ولا أعظم نظراً لنفسى ولدينى ولأمة محمد (ﷺ) .
أفضل من أن أجاهدك ، فإن فعلت فإنه قربة إلى الله وإن تركته فإنى استغفر الله
لدينى وأسأله توفيقه لارشاد أمرى إلخ » .

ومن أقواله الماثورة فى المواعظ والحكم : « حوائج الناس إليكم من نعم
الله عليكم فلا تملوا النعم فتعود نقما » . وقال « صاحب الحاجة لم يكرم وجهه
عن سؤالك فاکرم وجهك عن رده » وقال « الحلم زينة والوفاء مروءة والصلة

نعمة والاستكثار صلف والعجلة سفه والسفه ضعف والغلو ورطة ومجالسة أهل الدناءة شر ومجالسة أهل الفسوق ريبة » وقال رضى الله عنه في خطبة^(١) له :
« أيها الناس نافسوا في المكارم وسارعوا في المغام واكتسبوا الحمد بالمنح واعلموا أن المعروف يكسب حمداً ويعقب أجراً . ومن جاد ساد ومن بخل ذل وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجو وأعف الناس من عفا عن مقدرة ، وأوصل الناس من وصل من قطعه ، ومن أحسن أحسن الله إليه والله يحب المحسنين » .

كذلك تواترت الروايات على أن الحسين كان يقول الشعر وبخاصة في أغراض الحكمة وأنه كان خطيباً بما أوتي من طلاقة اللسان والفصاحة وحسن البيان .

وقد شهد الحسين مع أبيه موقعة الجمل ثم صفين ثم قتال الخوارج وكانت له في كل منها مواقف مشهودة ، وبقي مع والده حتى قتل . ويؤخذ من سيرة عليّ كرم الله وجهه أن الحسين حين كان معه بالعراق لم ينزل قصر الإمارة بالكوفة ، لأن أمير المؤمنين نفسه لم ينزله حين قدمها من البصرة بعد يوم الجمل في رجب سنة ست وثلاثين . ويقول ابن أبي الحديد^(٢) : إنه دخل الكوفة ومعه أشراف الناس من أهل البصرة وغيرهم فاستقبله أهل الكوفة وفيهم قراؤهم وأشرافهم وقالوا يا أمير المؤمنين أين تنزل ؟ أتتزل القصر ، قال لا ولكنني أنزل الرحبة فنزلها . وجاء في طبقات ابن سعد^(٣) ، نزل عليّ

(١) نهاية الأرب للنويرى ج ٣ ص ٢٠٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة مجلد ١ ص ٢٥٦ .

(٣) الطبقات لمحمد بن سعد ج ٦ ص ٦ (طبعة ليدن) .

الكوفة في الرحبة التي يقال لها رحبة عليّ في أخصاص كانت فيها ولم ينزل
القصر الذي كانت تنزله الولاة قبله .

وبعد وفاة عليّ بقي الحسين مع أخيه الحسن رضوان الله عليهما ، إلى أن
أسلم الأمر إلى معاوية . وكان الحسين غير راضٍ على ما فعله أخوه الحسن من
تسليم أمر الخلافة إلى معاوية فلم يوافق عليه أولاً وأشار بالقتال ، ولكنه نزل
بعد ذلك على رأي أخيه الأكبر ، فقد روى^(١) عن عمرو بن دينار . قال ابن جعفر
« قال لي الحسن إني رأيت رأيا وإني أحب أن تتابعني عليه ، قلت ما هو ،
قال رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلي ما بين معاوية وبين هذا الحديث .
فقد طالت الفتنة وسفكت فيها الدماء ، وقطعت الأرحام وقطعت السبل وعطلت
الفروج (أي الثغور) ، فقال ابن جعفر جزاك الله عن أمة محمد خيراً وأنا
معك فبعث إلى الحسين فأتاه فقال « أي أخي إني رأيت رأيا وأحب أن
تتابعني عليه ، قال ، ما هو فقص عليه الذي قال لابن جعفر ، فقال له
الحسين اعينك بالله أن تكذب علياً في قبره وتصدق معاوية . فقال الحسن
والله ما أردت أمراً إلا خالفتني إلى غيره والله لقد هممت أن أقذفك إلى بيت
فاطمينه عليك حتى أقضي أمري ، فلما رأى الحسين غضبه ، قال : أنت أكبر
ولد علي وأنت خليفتي وأمرنا لأمرك تبع فافعل ما بدا لك » ولم يراجع
الحسين بعدها والتزم طاعته .

ولعمري أن هذا لمثل كريم يضربه الحسين في آداب الأسرة . ثم خرج^(٢)

(١) ابن عساکر ج ٤ ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، البداية والنهاية ص ٢٣٧ ، أسد الغابة ج ٢ ص ١٣٩

(٢) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري في أحداث سنة ٤١ هـ ، ابن الاثير في أسد الغابة
ج ٢ ص ٢٠ .

الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر بحششهم وأثقالهم حتى أنوا الكوفة
ثم تحملوا إلى المدينة سنة إحدى وأربعين .

ويقول ابن كثير ^(١) . إنه صحب رسول الله (ﷺ) إلى أن توفى وهو عنه
راضٍ ، ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه وكذلك عمر وعثمان وصحب إياه وروى
عنه وكان معه في مغازيه كلها ، في الجمل وصفين . وكان معظماً موقراً ولم
يزل في طاعة أبيه حتى قتل . فلما آلت الخلافة إلى أخيه الحسن وأراد أن
يصالح معاوية . شق ذلك على الحسين فلما استقرت الإمارة لمعاوية كان
الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فكان معاوية يكرمهما إكراماً زائداً ،
ويقول لهما مرحباً وأهلاً ويعطيهم عطاءً جزيلاً . وقد أطلق لهما في يوم واحد
مائتي ألف وقال خذاها . وأنا ابن هند والله لا يعطيكماها أحد قبلي ولا بعدى ،
فقال الحسين والله لن تعطي أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلين أفضل منا .
ولما توفى الحسن كان الحسين يفد إليه ويقدم كل عام عليه .

خروج الحسين ومقتله

لما توفي معاوية سنة ٦٠ هـ كان على المدينة الوليد بن سفيان .
 مكة^(١) يحيى بن حكم بن صفوان بن أمية ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد
 وعلى الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري ، فكتب يزيد بن معاوية^(٢) إلى
 الوليد بن عتبة « من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة . أما بعد فإن ،
 معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوله ومكّن له فعاش
 بمقدر ومات بأجل : فرحمه الله فتد عاش محموداً ومات براً تقياً والسلام »
 ثم أضاف « أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة
 أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام^(٣) » فلما قرأ الوليد
 (وإلى المدينة) للحسين كتاب ونعى إليه معاوية ، فقال الحسين إنا لله وإنا
 إليه راجعون ورحم الله معاوية ، أما البيعة فإن مثلي لا يعطى بيعته سراً
 ولا أراك تقنع بها مني سراً قال أجل . فقال (الحسين) فإذا خرجت إلى
 الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا معهم فكان الأمر واحداً » . وكان الحسين
 رضوان الله عليه قد عوّل على ترك المدينة إلى مكة ، كما تركها قبله بليلتين

(١) جاء في رواية ابن جرير الطبري (تاريخ الطبري) وفي رواية ابن الأثير (الكامل) أنه كان على
 مكة عمرو بن سعيد بن العاص .

(٢) ابن قتيبة في الإمامة والسياسة . أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين ، ابن النعمان في الإرشاد
 ابن الأثير في الكامل ، ابن كثير في البداية والنهاية . ابن الأثير في الأنصاري البياسي في الأعلام
 بالحروب الواقعة في صدر الإسلام .

(٣) جاء في كتاب الأخبار الطوال للدينوري أن خطاب يزيد إلى المدينة ذكر فيه اسم عبد الرحمن
 ابن أبي بكر مع هؤلاء الثلاثة ولكن ابن أبي بكر مات قبل معاوية .

ابن الزبير ، دون مبايعة يزيد ، فخرج منها ومعه جل أهل بيته وأخوته وبنو أخيه . فلما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية وعلموا امتناع الحسين عن بيعة يزيد ونزوله مكة ، اجتمعت الشيعة وكتبوا إليه كتباً جاء فيها « إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق » ثم سرحوا عدة رسل بالكتب إليه . وتلاقت الرسل كلها عند الحسين فكان يقرأ الكتب ويسأل الرسل عن الناس . ولبت في مكة على هذه الحال أربعة أشهر ، ثم دعا ابن عمه مسلم ابن عقيل بن أبي طالب فأمره بالمسير إلى الكوفة ، فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بذلك ، وكتب إلى أهل الكوفة قبل ذلك كتاباً قال فيه : « أما بعد فقد أتتني كتبكم وفهمت ما ذكرت من محبتكم بقدمي عليكم ، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم ، فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي ملتكم وذوى الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت على به رسلكم وقرأت في كتبكم ، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله . فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط . والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله والسلام » .

ولما علم يزيد بخبر مسير مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، كتب إلى عبيد الله بن زياد وكان واليا وقتئذ على البصرة ، يأمره بالمسير إلى الكوفة وتولى إمارتها وأخذ شيعة الحسين بالشدة وبالقضاء على مسلم بن عقيل ، وكان مسلم قد نزل بالكوفة وتلقى البيعة للحسين من ألوف الناس ، قال عنهم ابن كثير ثمانية عشر ألفاً وقال ابن قتيبة ثلاثون ألفاً .

وما أن قدم ابن زياد إلى الكوفة حتى عمل على تحويل الناس عن مسلم ،
وسرعان ما قضى عليه وعلى من انضم إليه من أهل الكوفة وبعث برأسه ورؤوس
من قتل معه من صحبه إلى يزيد .

وفي اليوم الثامن من ذى الحجة جمع الحسين رأييه على الخروج ، فجاءه
عبد الله بن العباس يناشده في المقام ويعظم عليه القول في ذم أهل الكوفة
وقال له « إنك تأتى قوماً قتلوا أباك وطعنوا أخاك وما أراهم إلا خاذليك » .
فقال له « هذه كتبهم معي وهذا كتاب مسلم ^(١) باجماعهم ، فقال له ابن عباس ،
« إن كنت لابد فاعلا فلا تخرج أحداً من ولدك ولا حرملك ولا نسائك » .

ولقي الفرزدق بن غالب الشاعر : الحسين خارجاً من مكة مع أسيفه
وأتراسه فسلم عليه . فسأله « من أنت » قال « امرؤ من العرب » فسأله نبأ
الناس فقال الفرزدق عبارته المشهورة « قلوب الناس معك ^(٢) وسيوفهم مع
بنى أميه والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء » فقال له الحسين
صدقت ، لله الأمر والله يفعل ما يشاء .

وبينا الحسين في طريقه إلى الكوفة بلغه نبأ مقتل مسلم ؛ فقال له بعض
أصحابه « ننشدك الله ألا رجعت من مكانك ، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر
بل نتخوف أن يكونوا عليك » فوثب بنو عقيل وقالوا « والله لا نبرح حتى
ندرك ثأرنا أو نتذوق ما ذاق مسلم » . فقال الحسين « لا خير في العيش بعد
هؤلاء » فقال له بعض أصحابه « إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل
ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع »

(١) قتل مسلم بن عقيل لتسع خلون من ذى الحجة ، أى بعد خروج الحسين من مكة بيوم واحد .
(٢) جاء في مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني « أن أعرابيين لقيا الحسين بالثعلبية من بني أسد
فقالا له قلوب الناس معك وسيوفهم عليك .

وقد رأى الحسين بعد ذلك أن يترك لصحبه الخيار في المضي معه أو الانصراف فخطبهم ومما قاله لهم « ... وقد خذلنا شيعتنا .. فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف ، ليس عليه منا ذمام » فتفرقوا إلا أهل بيته وقليلًا ممن تبعوه في الطريق .

وهكذا انقسم أصحاب الحسين وأهله في أمر خروجه من مكة إلى الكوفة ، فمنهم من رأى أن يقيم حيث هو سيدًا لأهل الحجاز وعلى رأسهم عبد الله ابن العباس ، وأن لا يعتمد على أهل العراق فهم قوم غدر ولم يعملوا على نصره أبيه وأخيه من قبل . ومنهم من رأى أن أهل العراق هم شيعة على كرم الله وجهه ولا شك في محبتهم وانتصارهم للحسين ، ولكن ليس إلى حد بذل النفس والنفيس في سبيل نشر دعوته ونصرتة ، مما يصادق معه القول « قلوب الناس معك وسيوفهم عليك » . ومنهم من أصر على المضي في محاربة يزيد ، وجلهم من أهل مسلم بن عقيل للأخذ بثأره رغم نصيح بعض أهل الرأي للحسين بالرجوع إلى مكة بعد مقتل مسلم .

ومن هذا نرى أن فريقًا نصح بعدم مخاصمة يزيد بن معاوية ، وفريقًا آخر أصر على مقاتلة يزيد ، والفريق الثالث وقف موقفًا وسطًا . ولكن إذا لوحظ موقف الحسين من تنازل أخيه الحسن عن حقه في الخلافة لمعاوية ، وأنه قد طلب إليه أن يبايع يزيد بالخلافة ويزيد غير أهل لها ولا يعمل بشروطها ، وأن دعاة يزيد قد أبوا عليه أن ينصرف إلى حيث يشاء إلا بعد التسليم ؛ وهم يعلمون من هو في شجاعته وإقدامه ومكانته والاعتداد بكرامته ، إذا لوحظ ذلك كان لا مناص من المضي قدمًا في محاربة يزيد ومواجهة الموت وإباء التسليم أو النزول على حكمهم .

وسار الحسين حتى وصل أو وصلوا به إلى كربلاء ، وتتابع إرسال الجيوش والقواد لقتاله ، والتقى الحسين بجيش عبيد الله بقيادة الحر بن يزيد في ألف فارس ، وكانوا يلزمونهم ويصدونه عن كل جهة إلا نحو الكوفة مقر أميرهم عبيد الله بن زياد ، فقال يعظهم : « أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا بقول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله . ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالغي وأحلوا حرم الله وحرّموا حلاله ، وأنا أحق من غيري وأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، نفسي مع أنفسكم وأهلي من أهلكم فلکم في أسوة ، وإن لم تفعلوا ، ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي ، فلعمري ما هي لكم بنكير . والمغرور من اغتر بكم ، فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم . . . ومن نكث فيأثم ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام » .

وفي اليوم الثاني لنزوله كربلاء جاء عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف مقاتل ، موفداً من عبيد الله بن زياد لقتاله ، ثم انضم إلى جيش الحر بن يزيد . فلما سئل الحسين عما جاء به ، قال رضوان الله عليه : « كتب إلى أهل مصركم هذا أن أقدم عليهم فأما اذكرهوني فياني انصرف عنكم إلى مكة » فكتب عمر إلى ابن زياد بذلك . ثم التقى الحسين وعمر مراراً ، فكتب عمر إلى عبيد الله بن زياد « أما بعد فإن الله أطفأ الثائرة وجمع الكلمة وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه ، أو أن نسيره إلى أي

ثغر من الشغور شئنا أو يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده (١) وفى هذا لكم رضا وللأمة صلاح . فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال هذا كتاب رجل ناصح لأمره مشفق على قومه ، نعم قبلت ، وتصادف أن كان فى مجلسه وقت مجيء كتاب عمر ، شمر بن ذى الجوشن فقام إليه وقال له « أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك ، والله نثن رحل من بلادك ولم يضع يده فى يدك ليكونن أولى بالقوة والعزة ولتكونن أولى بالضعف والعجز ، فلا تعطه هذه المنزلة ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبت كنت ولى العتوبة ، وإن عفوت كان ذلك لك » فما كان من ابن زياد إلا أن أخذ برأى شمر فأرسله بكتاب إلى عمر جاء فيه « انظر فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلى مسلماً . وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون . فإن قتل الحسين فاوطىء الخيل صدره وظهره فإنه عاق شاق قاطع ظلوم ، فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع . وإن أنت أبيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر والسلام . »

وهكذا كانت النتيجة المحتومة . تكاثر الجيش على الحسين وصحبه وكانوا اثنين وثلاثين فارساً وأربعين رجلاً ، وكلهم مشهود له بالشجاعة وسداد الرمى ومضاء الضرب بالسيف ، وهم على قتلهم كفء لمبارزة فرسان جيش عبيد الله بن زياد واحداً بعد واحد لو جرى القتال على سنة المبارزة ؛ ولكنهم

(١) عقب الأستاذ عباس محمود العقاد على ذلك فى كتابه أبو الشهداء بأن الحسين ربما اقترح الذهاب إلى يزيد ليرى رأيه ولكنه لم يعدهم أن يبايعه أو يضع يده فى يده لأنه لو قبل ذلك لبايع فى مكانه واستطاع عمر بن سعد أن يذهب به إلى وجهته ولأن أصحاب الحسين فى خروجه إلى العراق قد نفوا ما جاء فى ذلك الكتاب ومنهم عقبة بن سميان . وإنى لأميل إلى هذا الرأى لأسبابه وأضيف إليه أنه يتفق وما فطر عليه الحسين من الاعتداد بشخصيته والاحتفاظ بكرامته ومنزلته

خشوا مغبتها فعدلوا عنها حين صاح فيهم عمر بن الحجاج : أتدرون من تقاتلون ؟ — تقاتلون فرسان المصير وقوما مستميتين . لا يبرز إليهم منكم أحد فانهم قليل ... لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم ^(١) . فرشقوا أصحاب الحسين بالنبل حتى عقروا الخيل وجرحوا الفرسان والرجال .

وقد استشهد كل صحبه رضوان الله عليه ، وانفرد وحده بقتالهم وكان يحمل عليهم فيتفرقون تحرجاً من قتله ، وكل منهم يخشى أن يصاب على يديه حتى صاح فيهم شمر بن ذى الجوشن « ويحكم ماذا تنظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم » ، فحملوا عليه من كل جانب وضربه زُرعة بن شريك التميمي على يده اليسرى فقطعها ، وضربه غيره على عاتقه فخر على وجهه فأخذ يقوم ويكبو وهم يطعنونه بالرماح ويضربونه بالسيف حتى لفظ نفسه الأخير رضوان الله عليه . ووجد بجسده ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة غير الرمية بالنبل والسهم . ونزل سنان بن أنس النخعي ^(٢) فاجتز رأسه ، وفي رواية أخرى أن شمر هو الذى ذبحه واجتز رأسه ثم عمدوا إلى سلب ما كان عليه من كساء فأخذ قميصه اسحاق بن حيوة الحضرمي وأخذ سراويله بحر بن كعب وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته وهي من خز ، فكان يسمى بعد ، قيس قطيفة ، وأخذ عمامته اخنس بن مرثد الحضرمي وأخذ نعليه الأسود الأودى وأخذ سيفه رجل من دارم ، وترك الحسين يكاد يكون عارياً ، ثم وطأت الخيل جثته كما أمر ابن زياد حتى رضوا صدره وظهره .

بحسبي ما أوجزت من تلك الأحداث المؤسفة التي انتهت بمأساة كربلاء ،

(١) أبو الشهداء للعقاد ص ١٣٧ .

(٢) قال بذلك الطبرى وابن الأثير .

أحداث تمثلت فيها أبشع الجرائم وأخسها ، لا يأتيها مسلم ولا كافر ولا بر ولا فاجر ، لا يأتيها من يشعر أنه إنسان مهما بلغت به بواعث الضغن والتشفي . وقد مضت عليها مئات السنين ولم تح آثارها في الشرق والإسلام . وهي كما قال الفخرى^(١) إنها « شر الطامات ، فلعن الله كل من باشرها ، وأمر بها ، ورضى بشيء منها ، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، وجعله من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

(١) الآداب السلطانية ص ١٠٤ .

رأس الحسين وقبره

ففى أى مكان كان رأسه فهو ساكن فى القلوب والضمائر ،
قاطن فى الأسرار والخواطر

يكاد يجمع المؤرخون وكتاب السيرة على أن جسد الحسين رضوان الله عليه دفن مكان مقتله فى كربلاء . وقد جاء فى كتاب الإرشاد^(١) ، أنه بعد أن اجتزت الرأس وأخذت إلى ابن زياد بالكوفة ، خرج قوم من بنى أسد كانوا نزولا بالغازية إلى الحسين وأصحابه ، فصلوا عليهم ودفنوا الحسين حيث قبره الآن بكربلاء^(٢) ، ودفنوا ابنه عليا عند رجله وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه حوله ، ودفنوا العباس بن عليّ فى موضعه الذى قتل فيه على طريق الغازية حيث قبره الآن .

وقال المسعودى فى مروج الذهب فى خلافة المنتصر بالله «إن آل أبى طالب كانوا فى محنة عظيمة قبل خلافته (أى المنتصر) وخوفاً على دمائهم ، قد منعوا زيارة قبر الحسين والغرى من أرض الكوفة ، وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد ، وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين^(٣) ، وفيها أمر المعروف (بالذيريج) بالمسير إلى قبر الحسين بن عليّ رضى الله تعالى عنهما ، وهدمه

(١) للشيخ المفيد .

(٢) جاء فى معجم البلدان لياقوت أن الحائر اسم لموضع قبر الحسين بن عليّ . وقال الفيروزباده فى القاموس : الحائر هى كربلاء ، أسد الغابة ج ٢ لابن الاثير .

(٣) وردت هذه الرواية فى المراجع الآتية : وفیات الأعيان ج ١ ص ٤٥٥ لابن خلكان ، طبقات الشافعية ج ١ ص ١٦٢ للسبكي ، الأخبار الطوال للقرمانى حوادث ٢٣٧ هـ ، أبو بكر الخوارزمي فى كتابة إلى جماعة الشيعة بنيسابور ص ١٣٨ ، أهر الفدا ج ٢ فى حوادث سنة ٢٣٦ هـ .

ومحو أرضه وإزالة أثره وأن يعاقب من وجد به ، فبذل الرغائب لمن تقدم على هذا القبر ، فكلُّ خشى العقوبة وأحجم ، فتناول (الذيريج) مسحاةً وهدم أعلى قبر الحسين ، فحينئذ أقدم الفعلة فيه وانهم انتهوا إلى الحفرة موضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها . ويضيف المسعودي " ولم تزل الأمور على ما ذكرنا إلى أن استخلف المنتصر فأمن الناس وتقدم بالكف عن آل أبي طالب ، وترك البحث عن أخبارهم وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضى الله عنه ، ولا قبر غيره من آل أبي طالب . »

وقد وصف ابن بطوطه الرحالة الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى رحلته إلى كربلاء فقال « سافرنا إلى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن على عليهما السلام ، وهى مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ويسقيها ماء الفرات ، والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر ، وعلى باب الروضة الحجاب والقوس لا يدخل أحد إلا عن إذنهم ، فيقبل العتبة الشريفة وهى من الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الأبواب أستار الحرير . »

أما عن رأس الحسين ، فقد كثرت الأقوال وتضاربت الروايات ، واختلفت كتب السيرة فى تحديد مكان وجوده ، لذلك رأيت أن أجمع ما استطعت جمعه منها ، وأن أضع المتشابه منها فى مجموعات ، لعل استطيع بعد مناقشتها أن أخرج منها بالقول الراجح .

والمراجع على اختلافها تكاد تتفق على أن عبيد الله بن زياد ، غنى بتجهيز على بن الحسين ومن كان معه من الحرم ، ووجه بهم إلى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس وآخرين فساروا حتى قدموا الشام ، ودخلوا على يزيد بن معاوية بمدينة دمشق ومعهم رأس الحسين ، ثم اختلفت بعد ذلك الروايات فى موطن

الرأس الشريف . فمنها أن الرأس أُعيد إلى الجسد بعد أربعين يوماً ودفن معه بـكربلاء ، ومنها أنه دفن بالمدينة ، ومنها أنه دفن عند باب الفرداديس بدمشق . وفي رواية أن الرأس دفن بمقابر المسلمين في عهد سليمان بن عبد الملك ، ثم نبش القبر بعد ذلك وأخذ منه الرأس ونقل إلى عسقلان ، ومنها نقل إلى القاهرة في آخر العصر الفاطمي . وتقول رواية إنه نقل إلى مدينة الرقة وأخرى إلى حلب . وقيل أن أبا مسلم الخراساني لما استولى على دمشق نقل الرأس إلى مرو . والأماكن التي ذكرت موطناً للرأس ثمانية في ثمان مدن هي ، كربلاء والمدينة ودمشق والقاهرة وعسقلان والرقة وحلب ومرو . وسنورد فيما يلي ما ورد في المراجع من الروايات التي تؤيد وجود الرأس في مدينة من المدن الثمان سالفة الذكر ، كما سنورد في الوقت ذاته ما يرد مخالفاً لبعض هذه الروايات .

كربلاء : تقول طائفة الشيعة الإمامية وبعض أهل السنة أن رأس الحسين مدفون مع الجسد بـكربلاء . قال رضى الدين^(١) « فأما رأس الحسين عليه السلام فروى أنه دفن بـكربلاء مع جسده الشريف . وكان عمل الطائفة (الإمامية) على هذا المعنى المشار إليه » وورد فيما ذكره سبط^(٢) ابن الجوزي في أقواله المتعددة عن الرأس قوله : « واختلفوا في الرأس على أقوال أشهرها أنه (أى الرأس) رُد إلى المدينة مع السبايا ثم رُد إلى الجسد بـكربلاء فدفن معه ، قاله هشام وغيره » ويقول ابن كثير^(٣) « فقد اشتهر عند كثير من المتأخرين أنه في مشهد على بمكان من ألطف عند نهر كربلاء ، فيقال إن

(١) رضى الدين بن طائوس في كتاب الملهوف على قتلى الطفوف ص ١٤٠ .

(٢) سبط ابن الجوزي في كتاب تذكره خواص الأمة ص ١٥٠ .

(٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٣ .

هذا المشهد مبنى على قبره فالله أعلم . وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عفا أثره حتى لم يطلع أحد على تعيينه بخبر . وقد كان أبو نعيم الفضل بن دكين ، ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين . وذكر هشام ابن الكلبي أن الماء لما أجرى على قبر الحسين ليمحي أثره نضب الماء بعد أربعين يوماً ، فجاء أعرابي من بني أسد فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمها حتى وقع على قبر الحسين فبكى وقال : بآبي أنت وأمي ، ما كان أطيبك وأطيب تربتك ، ثم أنشأ يقول :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

ويقول سبط بن الجوزي « وفي الجملة ففي أي مكان كان رأسه فهو ساكن في القلوب والضمائر ، قاطن في الأسرار والخواطر » .

المدينة : جاء في طبقات ابن سعد^(١) : « لما وضع الرأس (رأس الحسين) بين يدي يزيد بن معاوية دمعت عيناه وقال ، ويحكم ، قد كنت أَرْضَى من طاعتكم بدون قتل الحسين . رحم الله أبا عبد الله ، ثم أمر بالسيدات فأدخلن دار نسائه ، وأمر بتجهيزهن والعناية بهن أحسن عناية ، وأرسل معهن حرساً من ثلاثين فارساً ، حتى وصلن إلى المدينة وبعث معهن بالرأس الشريف إلى عامله بالمدينة عمرو بن سعيد فكفنها ، وأمر بدفنها بالبقيع عند قبر أمه وأخيه ، ويقول ابن كثير^(٢) : فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السير أنه بعث به

(١) محمد بن سعد في كتاب الطبقات الكبير ج ٥ ص ١٧٦ ، كما وردت هذه الرواية في المراجع الآتية : المؤيد صاحب حمة في تاريخه ج ١ ص ١٩١ ، عمر بن الوردى في تاريخه ج ١ ص ١٧٣ ، وقال كذلك علي بن عبد الملك السهمودي في وفاة الوفا بأخبار دار المصطفى ج ٢ ص ٩٦ ، امرأة الجنان ج ١ ص ١٣٦ .

(٢) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٤ .

ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ، ومن الناس من أنكر ذلك ، ويعقب ابن كثير على ذلك فيقول « وعندي أن الأول أشهر فالله أعلم » . ثم اختلفوا بعد ذلك في المكان الذي دفن فيه الرأس ، فروى محمد بن سعد « أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة فدفنه عند أمه في البقيع » .

وممن روى أن الرأس دفن بالمدينة الإمام البخاري^(١) ، فقد جاء في تاريخه « أن رأس الحسين حمل إلى المدينة ودفن بها في البقيع عند قبر أمه رضى الله عنها » . وقال ابن فضل الله العمري^(٢) : وقد جاء في أخبار الدولة العباسية ، أنهم حملوا أعظم الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن .

وقد ذكر المسعودي^(٣) ، عند الكلام على دفن الحسن بن عليّ ببقيع الفرقد مع أمه ما نصه : « وهناك إلى هذا الوقت^(٤) رخامة مكتوب عليها ، الحمد لله مبيد الأمم ومحبي الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، والحسن بن عليّ بن أبي طالب ، وعليّ بن الحسين بن عليّ ، ومحمد بن عليّ وجعفر بن محمد ، رضوان الله عليهم أجمعين » . وقد عقب الأمتاذ حسن عبد الوهاب^(٥) على هذا النص بقوله « إنه لو كان الإمام الحسين معهم لذكر اسمه بينهم » .

(١) نقل ابن عروة الحنبلي في الكواكب الدراري في ترتيب مسند أحمد على أبواب البخاري ، وعن ابن تيمية ص ٤١ .

(٢) ممالك الأبصار ج ١ ص ٢٢٠ .

(٣) الأشراف والتنبيه للمسعودي ص ٣٠١ ، ابن كثير في البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٤١ .

(٤) ألف المسعودي كتابه هذا سنة ٣٤٥ هـ .

(٥) تاريخ المساجد الأثرية ص ٨٠ .

دمشق : أما طائفة الشيعة الاسماعيلية وكذا كثير من أهل السنة فتقول
بدفن الرأس بدمشق . وممن ذكر ذلك ياسين بن مصطفى القرظي^(١) قال :
« المزارات المشهورة للصحابية بدمشق ونواحيها ، والمشهور منها بتربة باب
الفراديس المسماة بمرج أبي الدرداء الآن ، مسجد سمي مسجد الرأس داخل باب
الفراديس ، في أصل جدار المحراب لهذا المسجد رأس الشهيد الملك الكامل .
وغربي المحراب المذكور في الجدار طاقة على الطريق يقال إن رأس الحسين
رضي الله عنه دفن بها ، ولذا يقال له مشهد الحسين » .

وروى محمد بن قاسم بن يعقوب^(٢) « قبر الحسين بن علي رضي الله
عنهما بكر بلاء ورأسه بالشام في مسجد دمشق على رأس اسطوانة » .

وقال ابن فضل الله العمري^(٣) وكذا ابن الطولوني ما نصه « وله بدمشق
مشهد معروف داخل باب الفراديس وفي خارجه مكان الرأس على ما ذكروا » .
وروى الذهبي^(٤) عن أبي كرب قال « كنت في القوم الذين وثبوا على
الوليد بن يزيد وكنت فيمن نهب خزائنهم بدمشق فأخذت سفيطا وقلت فيه
غنائي ، فركبت فرسا وجعلته بين يدي وخرجت من باب توما ، ففتحته
فإذا بحريرة فيها رأس مكتوب عليه ، هذا رأس الحسين ، فحفرت له
بسيني ودفنته » .

وجاء في المقرئ^(٥) « مكث الرأس مصلوباً بدمشق ثلاثة أيام ثم انزل

(١) النبذة اللطيفة في المزارات الشريفة ص ١٩٧ .

(٢) كتاب روض الأخيار المنتخب من ربيع الإبرار (المؤلف للسلطان سليم) ص ٤٨ .

(٣) مسالك الأبصار ج ١ ص ٢٢٠ ، رسائل تاريخية ص ٣٧ .

(٤) تاريخ الإسلام ص ٦٧ .

(٥) الخطط ج ١ ص ٤٣٠ (طبعة بولاق) .

في خزائن السلاح حتى ولى سليمان بن عبد الملك ، فبعث إليه فجئى به وقد سجل وبقى عظما أبيض ، فجعله في سبط. وطيبه وجعل عليه ثوبا ، ودفنه في مقابر المسلمين ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز بعث إلى خازن بيت السلاح ، أن وجه إلى برأس الحسين بن عليّ . فكتب إليه أن سليمان أخذه وجعله في سبط وصلى عليه ، ودفنه فلما دخلت المسوذة (أى الدولة العباسية) سألوا عن موضع الرأس الكريم الشريف ، فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به .

ومن ذهب إلى دفن الرأس الشريف بدمشق عثمان مدوخ^(١) : اذ جاء في كتابه العدل الشاهد «أن بعض العلماء عمد إلى مكان قديم قريب من باب الفراديس وشرع في هدمه ليجمعه خزانة لحفظ الكتب ؛ فعثر على طاق في الجدار محكم السد بحجر كبير ، مكتوب عليه بالنقش في الحجر ؛ ما فهموا منه أن هذا مشهد رأس الإمام الحسين السبط ؛ فرفعوا ذلك إلى والى الشام يومئذ (في العصر العثماني) ؛ فذهب ورأى ذلك بنفسه ، وأمرهم أن لا يحدثوا في هذا شيئا. ثم رفع الأمر إلى السلطان المرحوم عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان ، فصدر أمره العالى بكشف هذا المكان ، بحضور جمهور من العلماء والأمراء ووجوه الناس ؛ فأحضروا إلى الشام ما أمر به السلطان ؛ وكشفوا هذا الحجر الذى عليه الكتابة ، فوجدوا فجوة خالية عن الدفن ، وبعد أن رأوا الحاضرون أمر بسدها كما كانت ، ورفع ذلك إلى المرحوم السلطان عبد المجيد خان ؛ فصدر مرسومه العالى بإعمال طوق من الفضة حول الحجر ، وكنت أعلم مقدار زنة النخبة ، وأظن أنه سبعة آلاف درهم والله أعلم بالحقيقة . »

(١) كتاب العدل الشاهد في تحقيق المشاهد ص ١٣٢ .

ولما دخل خليل الظاهري^(١) مدينة دمشق سنة ٨٣١ هـ قال « المشهد الحسيني بدمشق بصحن المسجد الأموي » .

وذكر ابن أبي الدنيا^(٢) عن طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن عمر بن صالح (ويقول عنهما ابن كثير - وهما ضعيفان -) أن الرأس لم يزل في خزانة يزيد بن معاوية حتى توفي ، فأخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق . ويقول ابن كثير : ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفراديس الثاني .

وذكر ابن عساكر في تاريخه ، في ترجمة ريا حاضنة يزيد بن معاوية ، « أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه تمثل بشعر ابن الزبير يعنى قوله :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل

قال : ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ثم وضع في خزائن السلاح ، حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك جيء به إليه وقد بقي عظما أبيض ، فكفنه وطيبه وصلى عليه ودفنه في مقبرة المسلمين ، فلما جاءت المسودة - نبشوه وأخذوه معهم . وذكر ابن عساكر أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بني أمية ، وقد تجاوزت المائة سنة فالله أعلم » .

حلب : وهناك أقوال ضعيفة تقول بوجود الرأس في حلب ، فقد جاء في تاريخ حلب^(٣) أن الرأس مدفونة في حلب في وسط جبل جوشن ، وقد بنى

(١) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك .

(٢) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٤ .

(٣) ابن الشحنة : تاريخ حلب ص ٨٧ .

عليه الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين ، ولكنه لم يذكر متى وكيف
جاء بالرأس الشريف .

مرو : وقال المقدسي^(١) عند كلامه عن مرو « وعلى فرسخين من مرو
يوجد رباط ، قالوا إن فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنه . وقد عقب
على هذا القول همر بن أبي المعالي أسعد بن عمار^(٢) : « أما قولهم ، إنه
(الرأس) في خزائن بني أمية إلى أن ظهرت الخلافة العباسية ، وأن أبا مسلم
نقله إلى خراسان ، فهذا بعيد جداً ، لأن أبا مسلم ، لما فتح الشام كان
بخراسان ، والذي فتح دمشق هو عبد الله بن علي بن العباس ، فكيف
يتصور أن ينقله ، أو يمكن من ينقله إلى مولدهم بخراسان . ثم يضيف :
« ولو أنه ظفر به في خزائن بني أمية لأظهره للناس ليزدادوا لبني أمية بغضاً » .

عسقلان : أما عن وجود الرأس الشريف بعسقلان ثم نقله منها إلى
مصر في عصر الدولة الفاطمية ، فقد كثرت فيه الأقاويل والروايات .

قال الصبان^(٣) « واختلفوا في رأس الحسين بعد مسيره إلى الشام إلى أين
صار وفي أي موضع استقر ، فذهبت طائفة إلى أن يزيد أمر أن يطاف برأسه
الشريف في البلاد ، فطيف به حتى انتهى إلى عسقلان فدفنه أميرها بها . فلما
غلب الإفرنج على عسقلان ، افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال
جزيل ، ومشى إلى لقائه من عدة مراحل ، ووضع في كيس حرير أخضر على
كرسي من خشب الأبنوس ، وفرش تحته المسك والطيب ، وبني عليه مشهده
الحسيني المعروف بالقاهرة قريباً من خان الدخيلي » .

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٣٣٣ .

(٢) الفاضل بن الصدوق الملقب في مقر رأس الحسين (عن كتاب تاريخ المساجد الأثرية) .

(٣) اسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين ص ١٤٣ .

وجاء في طبقات الأولياء للشعراني عند ذكره الحسين نفس الرواية السابقة إذ يقول « دفنوا رأسه ببلاد المشرق ثم رشا عليها طلائع بن رُزْبِك بثلاثين ألف دينار ونقلها إلى مصر وبني عليها المشهد الحسيني وخرج هو وعساكره حفاة إلى نحو الصالحية من طريق الشام يتلقون الرأس الشريف ثم وضعه طلائع في كيس حرير أخضر على كرسي أبنوس وفرشوا تحته المسك والعنبر والطيب قدر وزنه مراراً » .

القاهرة : وقد أيد رواية وجود الرأس الشريف بعسقلان ونقله منها إلى مصر جمهور كبير من المؤرخين والرواة ، منهم ابن ميسر^(١) ، والقلقشندي وعليّ ابن أبي بكر المشهور بالسايح الهروي وابن إياس ، وسبط الجوزي . وقد أورد تفاصيل هذه الرواية المقرريزي^(٢) بقوله « في شعبان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة خرج الأفضل ابن أمير الجيوش بعساكره إلى بيت المقدس وبه سُكان وابلغارى إبنا أرتق ، في جماعة من أقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الأتراك ، فراسلهما الأفضل يتلمس منهما تسليم القدس إليه بغير حرب ، فلم يجيباه لذلك ، فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق وهدم منها جانباً فلم يجدوا بدا من الإذعان له وسلماه إليه ، فخلع عليهما وأطلقهما وعاد في عساكره وقد ملك القدس ، فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنهما ، فأخرجه وعطره وحمله في سبط إلى أجلّ دار بها . وعمر المشهد فلما تكامل حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشياً إلى أن أحله مقره » ثم يعود المقرريزي فيقول « وقيل إن المشهد بعسقلان

(١) ابن ميسر أخبار مصر ص ٣٨ ، صبح الأعشى للقلقشندي ج ٣ ص ٣٥١ ، ابن إياس ج ١

ص ٦٧ ، مرآة الزمان لسبط الجوزي ج ٨ ص ٤١٣ ، الإشارات إلى أماكن الزيارات للسايح الهروي .

(٢) المقرريزي ج ١ ص ٤٢٧ .

بناه أمير الجيوش بدر الجمالى وكمّله ابنه الأفضّل . وكان حمل الرأس إلى القاهرة من عسقلان ووصله إليها في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها والقاضى المؤتمن بن مسكين مشارفها ، ووصل فى القصر يوم الثلاثاء فى جمادى الآخرة ، وحمل فى السرداب إلى قصر الزمرد ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة فكان كل من يدخل الخدمة يقبل الأرض أمام القبر . »

وممن ذهب إلى دفن الرأس الشريف بمشهد القاهرة عثمان مدوخ^(١) ، إذ قال « إن الرأس الشريف له ثلاثة مشاهد تزار ، مشهد بدمشق دفن به الرأس أولاً ثم مشهد بعسقلان بلد على البحر الأبيض نقل إليه الرأس من دمشق ثم المشهد القاهرى بمصر بين خان الخليلى والجامع الأزهر . »

وجاء فى كتاب مرشد الزوار إلى طريق الأبرار « ذكر بعض العلماء ممن عاصر الفاطميين أن هذا الرأس الذى وضع بهذا المكان يعنى المشهد الذى بالقاهرة ، هو رأس الإمام الحسين رضى الله عنه ، كان بعسقلان ، فلما كان فى أيام الظاهر الفاطمى ، كتب عباس إلى الظاهر^(٢) يقول له ، أما بعد فإن الفرنج أشرفوا على أخذ عسقلان ، وأن بها رأسا يقال إنه رأس الحسين بن على رضى الله عنهما ، فأرسل إليه من تختار ليأخذه ، فبعث إليه مكنون الخادم فى عشارى من عشارى الخدمة فحمل الرأس من عسقلان وأرسى به فى الموضع

(١) العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد ص ٨٤ .

(٢) تولى الخليفة الظاهر ملك مصر بعد أبيه الخليفة الحاكم وتوفى سنة ٤٢٧ وفى ذلك الوقت لم تكن الفرنجة قد بدأت بمحاربة المسلمين فى بلاد الشام بل أنهم أتوا إلى بلاد الشام من انطاكية سنة ٤٩٠ فى خلافة المستعلى بن الخليفة المستنصر بن الخليفة الظاهر .

المعروف بالكافوري من الخليج الحاكمي فحمل وادخل إلى القصر واستقر فيه كما هو الآن ، وبني الظاهر مسجد الفاكهاني^(١) ليجعله فيه وبني طلائع بن رزيك مسجداً بظاهر باب زويله أيضاً وهو المسمى بجامع الصالح ليجعله فيه ثم اجتمع رأيهم على أن يجعلوه بالقصر في قبة تعرف بقبة الديلم وكانت دهليزاً من دهاليز الخدمة » .

وقد سبق أن ذكر المقریزی^(٢) وكذا القلقشندي أن الصالح طلائع بن مسجده لكي يدفن فيه الرأس الشريف ، فلما انتهى منه لم يمكنه الخليفة من ذلك ، وقال لا يكون إلا داخل القصور الزاهرة ، وبني المشهد الموجود الآن .

وقد جاء في كتاب تاريخ المساجد الأثرية^(٣) ، أنه في سنة ١٩٤٥ كشفت بجوار الجهة الشرقية للواجهة البحرية لجامع الصالح بقايا مبان عليها كتابات أثرية منها (ادخلوها بسلام آمنين) ومثل هذه العبارة تكتب عادة على مداخل المدافن ولذلك فإنه يرجح أن تكون هذه البقايا من المشهد الذي بناه الصالح طلائع مجاوراً لمسجده لكي يدفن فيه رأس الحسين . ويستشهد في ذلك بما أورده ابن دقماق^(٤) عند كلامه عن الصالح طلائع بقوله : « وهو الذي بنى جامع الصالح بظاهر باب زويلة وبني مشهد الحسين رضى الله عنه سنة ٥٥٣ هـ » .

ويشكك ابن كثير^(٥) في وجود الرأس بالقاهرة فيقول « وادعت الطائفة المسمون

(١) منشيء مسجد الفاكهاني هو الخليفة الظافر ابن الخليفة الحافظ ابن الخليفة الأمر ابن الخليفة

المستعلي ابن الخليفة المستنصر ابن الخليفة الظاهر .

(٢) المقریزی ج ٢ ص ٢٩٣ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٥١ .

(٣) حسن عبد الوهاب ص ١٠٤ .

(٤) الجواهر الثمين مجلد (١) ص ٤٨ .

(٥) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٤

بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة اربعمائة إلى ما بعد سنة ستين وسبعمائة^(١) ، أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر ، والذي يقال له تاج الحسين بعد سنة خمسمائة . ويضيف ابن كثير فيقول « وقد نص غير واحد من أهل العلم على أنه لا أصل لذلك ، وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك بطلان ما ادعوه من النسب الشريف ، وهم في ذلك كذبة خونة ، وقد نص على ذلك القاضي الباقلاني وغير واحد من أئمة العلماء في دولتهم في حدود سنة اربعمائة^(٢) » .

وهناك رواية ضعيفة أوردها السخاوي^(٣) تفيد أن الرأس جيء به إلى مصر منذ البداية ، فهو يقول « اختلف المؤرخون فقال بعضهم إن رأس الحسين بالمدينة الشريفة وقال بعضهم كانت (الرأس) بمشهد عسقلان فلما أخذتها الفرنجة نقلت إلى هذا المشهد (يعنى مشهد القاهرة) والله أعلم بالصواب » ثم يضيف « وقيل ، لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، بأرض كربلاء طيف برأسه وسير في البلاد إلا في أرض مصر ، فإن أهلها لم يمكنوهم من الدخول على تلك الحالة البشعة ، بل تلقوهم بمدينة الفرما ، وهى أول مدائن مصر وحملوها (أى الرأس) في الهودج وستروها بالستور وأوسعوا لهم في الكرامة وأنزلوهم خير الأماكن بمصر وآووهم أمنا وبنوا لموتاهم المشاهد واتخذوها مزارات » . ويكفى لبيان ضعف هذه الرواية أنها لو صححت من أن رأس الحسين جيء به إلى مصر منذ العصر الأموى في القرن الأول للهجرة ، لما كان هناك

(١) حكمت الدولة الفاطمية من سنة ٣٥٨ هـ حتى سنة ٥٦٧ هـ

(٢) في حدود سنة أربعمائة لم تكن الرأس قد نقلت إلى مصر . هذا وعدم الدقة في التواريخ التي

وردت في هذه الرواية يقلل كثيرا من قيمتها .

(٣) تحفة الأحباب ص ٦٨ .

داع ولا مقتض لما بذل من جهد ومال لإحضار رأس أخرى من عسقلان والاحتفال بمتدّمها لدفنّها بالقاهرة في العصر الفاطمي في القرن السادس الهجري .

الرقّة : وقد جمع المؤرخ سبط الجوزي ^(١) خمسة أقوال مشهورة عن رأس الحسين (أولها) أنه دفن مع الجسد بـكربلاء (ثانيها) أنه دفن بالمدينة عند قبر أمّه (ثالثها) أنه دفن بدمشق (رابعها) أنه بمسجد الرقة على الفرات بالمدينة المشهورة ، وقال لما أحضر الرأس بين يدي يزيد بن معاوية ، قال لأبعثنه إلى آل أبي معيط . عن رأس عثمان وكانوا بالرقّة فبعثه إليهم فدفنوه في بعض دورهم ؛ ثم ادخلت تلك الدار في المسجد الجامع ، قال وهو إلى جانب سدره هناك . (خامسها) أن الخلفاء الفاطميين نقلوه من باب الفرداديس إلى عسقلان ثم نقلوه إلى القاهرة وهو فيها وله مشهد عظيم يزار .

والجديد في كلام سبط الجوزي وقد انفرد به ، هو وجود الرأس بالرقّة ، وهذا قول ضعيف ، ذلك أن مدينة الرقة التي فتحها العرب سنة ١٨ هـ على يد قائدهم عياض بن جهم ^(٢) واستمرت منذ ذلك الوقت خاضعة للحكم الإسلامي ، لم يثبت طوال العصر الأموي أن أحداً من خلفاء بني أمية بنى بها مسجداً جامعاً كما ذكر سبط الجوزي وأنه أقيم على الدار التي دفن بها الرأس . والثابت أن ما أنشئ في العصر الأموي هو كما ورد في المقدسي وياقوت ^(٣) الحموي ، قصران لهشام بن عبد الملك في مكان يبعد عن الرقة بفرسخ .

وفي عام ١٥٥ هـ أسس الخليفة العباسي ^(٤) المنصور مدينة جديدة تقع إلى

(١) تذكرة خواص الأمة ص ١٥٠ .

(٢) البلاذري ص ١٧٣ ، الطبري ج ١ ص ٢٥٧ .

(٣) أحسن التقاسيم ص ٧٨ ، معجم البلدان ص ٦٥ .

(٤) البلاذري ص ١٧٩ ، ياقوت ج ٢ ص ٢٨٠ ، ابن الفقيه ص ١٣٢ .

الغرب من المدينة القديمة سماها الرفيقة . وفي شمالها بنى المنصور المسجد الجامع ، ولم يذكر أحد من علماء الآثار ، العرب منهم والمستشرقين ^(١) أنه أُقيم على أنقاض دار قديمة أو أن به تصميمًا لمدفن ما . على أن المدينة القديمة سرعان ما أصبحت خرابًا يبابا وأخذت المدينة الجديدة مكانها كعاصمة للبلاد ^(٢) .

* * *

بعد هذا الاستعراض لمعظم ما قيل عن موطن الرأس ، نستطيع أن نناقش هذه الأقاويل وتلك الروايات :

فعن القول بوجود الرأس بالمدينة ، فهناك ما ينقضه بدليل مادي ذكره المسعودي ^(٣) فيما نقلناه عنه ، وهو أنه كان يوجد حتى القرن الرابع الهجري رخامة مكتوب عليها العبارة الآتية « الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سيدة نساء العالمين والحسن بن عليّ بن أبي طالب وعليّ بن الحسين بن عليّ ومحمد بن عليّ وجعفر بن محمد رضوان الله عليهم أجمعين » . فلو أن الرأس كان مدفونًا معهم لما أغفل ذكر اسم سيد الشهداء .

أما قول غالبية الشيعة الإمامية الإثني عشرية بأن الرأس مدفون مع الجسد في كربلاء فقول لا تؤيده مراجعة الحوادث ، فمن المستبعد عقلاً أن يعيد يزيد الرأس إلى كربلاء حتى لا يزيد النار اشتعالاً ، وهو يعلم بأنها لا تزال مركزاً لشيعة الحسين والمؤيدين لمذهبه ، هذا بالإضافة إلى ما جاء في أحداث سنة ٢٣٦ هـ ، كما تقدم القول من أن الخليفة المتوكل ^(٤) أمر (الذيريج)

(١) Die Reise im Euphrat und Tigris gebiet . Sarre und Herzfeld p. 59

(٢) Creswell . Early Muslim Architecture Vol. II p, p, 39 45,

(٣) ياقوت ج ٢ ص ٧٣٤ .

(٤) أبو الفدا ج ٢ : طبقات الشافعية للسبكي ج ٢ ص ٢١٦ ، القرمانى حوادث سنة ٢٣٧ .

بالمسير إلى قبر الحسين بن علي رضوان الله عليهما وهدمه . فتناول الذيريج مسحاة وهدم أعالي قبر الحسين وانتهى هو ومن معه إلى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها « وبعيد أن نتصور أن الرأس قد بلى في ذلك الوقت المبكر ، إذا لاحظنا أن أرض كربلاء رملية تجتفظ بالعظام لآلاف السنين .

وكذلك القول بوجود الرأس برباط مدينة مرو بخرسان منقوض من أساسه^(١) ، لأن أبا مسلم الخراساني الذي قيل إنه نقل الرأس من دمشق لما استولى عليها وبني عليه الرباط بمرو لم يكن موجوداً بالشام وقت فتحها ، ولأنه من غير المقبول أن يأذن الخليفة عبد الله بن علي بن عباس لمولاه أبا مسلم بنقل الرأس الشريف لكي يدفنه بمرو ولأن الخليفة نفسه لو ظفر بالرأس لأظهره للناس ليزدادوا - كما قيل بحق - غضباً على بني أمية .

وأما القول بأن الرأس وضع أول الأمر في خزائن السلاح بمدينة دمشق ففي رأي أنه أقرب الأقوال إلى القبول ومسايرة للأحداث للأسباب الآتية :
أولاً : أن مقتل الحسين حدث خطير وله ما بعده ، ولو طيف بالرأس في البلاد بقصد التشفي ، كما ورد في بعض المراجع ، لأدى ذلك من غير شك إلى فتنة بل وليس من المستبعد أن يؤدي إلى خلع يزيد نفسه ، لأن الناس جميعاً ، حتى أولئك المناصرين ليزيد طمعاً في الكسب المادي ، كانوا يحترمون الحسين ويعظمونه في حياته ويستعظمون ما حدث له ، ويأسفون على تفريطهم في نصرته بعد وفاته . يضاف إلى ذلك أن يزيد نفسه ندم على قتله ودبعت عيناه لما وضع الرأس بين يديه وقال ، ويحكم ، قد كنت أرضى من طاعتكم

(١) تاريخ المساجد الأثرية لحسن عبد الوهاب ص ٨٠ .

بدون قتل الحسين ، رحم الله أبا عبد الله^(١) « فكيف مع ذلك يأمر بأن يطاف بالرأس في البلاد !

ثانيا : من مصلحة يزيد أن يحرص على إخماد فتنة قتل الحسين واقتضى حرصه أن يحتفظ برأسه في مكان أمين . وليس هناك مكان أكثر أمنا في الدولة من خزائن السلاح . أما رواية دفن الرأس في دمشق في عصر يزيد فلم يكن من الحكمة في شيء لأنه كان في استطاعة الشيعة أن ينبشوا القبر ليحصلوا على الرأس .

ثالثا : ومن المعقول ومن المرجح أيضا أن يكون الرأس قد ظل في خزائن السلاح بدمشق حتى ولى سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ فحمل الرأس كما ورد في بعض المراجع في ثوب وعطره ، ثم صلى عليه ودفنه في مقابر المسلمين ، أي بعد أن هدأت الفتنة ومضى عليها أكثر من ثلاثين عاما .

أما الرواية التي تقول بوجود الرأس بعسقلان ، فيؤخذ عليها أن مرجعا لم يحدد الوقت الذي نقل فيه الرأس إليها ، اللهم إلا تلك الرواية التي تقول بأن الرأس قد طيف به في البلاد بأمر يزيد ، فلما وصل عسقلان دفن هناك . وقد بينا فيما تقدم منافية هذه الرواية لواقع الحال واستبعدنا أن يصدر ذلك عن يزيد مراعاة لمصلحته الخاصة .

وإذا أسقطنا من حسابنا هذه الرواية فكيف جاء الرأس إلى عسقلان ؟ . هناك من يقول بأن القبر الذي بناه سليمان بن عبد الملك للرأس نُبش بعد ذلك وأُخذ منه الرأس ونقل في وقت ما إلى عسقلان . ونُبش القبر قد يكون

(١) مرآة الجنان ج ١ ص ١٣٦ .

صحيحاً ؛ لأنه أمر متوقع ولا يبعد حدوثه ؛ ولكن ما السبب في اختيار مدينة عسقلان بالذات لكي تكون مقر الرأس ، وهي مدينة لم تحدثنا كتب التاريخ بأنها كانت مركزاً من مراكز الشيعة ، اللهم إلا إذا أريد أن يكون الرأس في مكان قريب من بيت المقدس من جهة وقريب من الساحل من جهة أخرى ، وهذا يتوافر في موقع عسقلان . وقد يكون من أغراض ناقل الرأس إلى عسقلان هو إخراجها من المشرق ؛ حيث لاقى الشيعة الشيء الكثير من اضطهاد الأمويين أولاً ثم العباسيين ثانياً ، ليتمكن نقلها في يسر إلى شمال أفريقيا وبلاد المغرب حيث اتجه عدد عظيم من الشيعة .

ومهما يكن من أمر فقد بات في حكم المؤكد أنه لم يكن في القرن الخامس الهجري وجود للرأس في دمشق بل كان في مدينة عسقلان للأسباب الآتية :

أولاً : يؤيد وجود الرأس بعسقلان في العصر الفاطمي نص تاريخي منقوش على منبر المشهد الذي أعاد بناءه بدر الجمالي وأكمل ابنه الأفضل في عصر الخليفة المستنصر .

ولما نقل الرأس إلى مصر ، نقل المنبر إلى المشهد الخليلى بالقدس ، والمنبر ما زال موجوداً حتى الآن هناك ، والمنبر من الخشب الجوز التركى الممتاز وقد زخرفت جوانبه وكذا بابه بحشوات خشبية عليها زخارف نباتية وكتابية محفورة حفرًا غائرًا دقيقًا غاية في الإبداع ، أما أسلوب الخط فهو خط كوفي صلب ذو زوايا وتنتهى حروفه القائمة بزخارف نباتية ؛ ولذا فقد أطلق عليه اسم (خط كوفي مزهر) ؛ وقد كان هذا الأسلوب من الخط سائداً في العصر الفاطمي . أما النص الكتابي فقد جاء فيه : « الحمد لله وحده لا شريك له محمد رسول الله علىّ ولى الله صلى الله عليهما وعلى ذريتهما الطهرة سبحان

من أقام لموالينا الأئمة نسبهما مجتاً رفع راية وأظهر معجزا كل وقت وآية بين . وكان من معجزته تعالى إظهاره رأس مولانا الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب صلى الله عليه وعلى جده وأبيه وأهل بيتهم بموضع بعسقلان كان الظالمون سترود فيه . وإظهاره الآن شرفاً لأوليائه الميامين وانشرح صدور شيعته المؤمنين ، ورزق الله فتى مولانا وسيدنا معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطهرين .

ثانيا : جاء في المقریزی^(١) أن المؤرخ ابن المأمون ذكر في حوادث سنة ٥١٦ هـ أن الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله أمر باهداء قنديل من ذهب وآخر من فضة إلى مشهد الحسين بعسقلان وأهدى إليه الوزير المأمون قنديلا ذهبياً له سلسلة فضية .

ثالثا : لو كان الرأس موجوداً في مكان آخر غير عسقلان سواء في الشام أو خارجها لما عز على خلفاء الدولة الفاطمية الوصول إليه ، وهم كما نعلم من الشيعة الاسماعيلية ، وقوتهم الدينية تعتمد في أكثر ما تعتمد على نسبهم لفاطمة الزهراء . أما قوتهم السياسية فقد فاقت قوة الدولة العباسية ، إذ امتدت الدولة الفاطمية من مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن شرقاً إلى شمال أفريقيا وبلاد المغرب غرباً ، بل إنه حدث في عهد الخليفة المستنصر أن نادى البساسيري أحد أعوانهم من الشيعة بسقوط الدولة العباسية في بغداد^(٢) والبصرة وواسط وجميع الأعمال وذكر اسم الخليفة المستنصر الفاطمي على منابرهما في خطبة الجمعة ، وفي هذا أكبر شاهد على تلك القوة .

(١) المقریزی ج ١ ص ٤٠٨ .

(٢) المقریزی ج ٢ ص ١٧١ .

رابعاً : ما ذكره عثمان مدوخ في كتاب العدل الشاهد في القرن (١٩ م) ، من العثور بالقرب من باب الفراديس على طاق مسدود بحجر عليه كتابة تفيد أنه مشهد الحسين ، فلما رفع الحجر وجدت الفجوة خالية من الدفن ، مما يؤيد نقل الرأس منها .

خامساً : جاء في المقرئى^(١) ، « وبني طلائع مسجداً لها (يعنى الرأس) خارج باب زويله من جهة الدرب الأحمر وهو المعروف بجامع الصالح طلائع الآن ، وكشف الحجب عن تلك الذخيرة النبوية فوجد ، دمها لم يجف ووجد لها رائحة أطيب من رائحة المسك ، فغسلها في المسجد المذكور على ألواح من خشب » . وجاء في الببلاوى^(٢) « بأعلى حائط مسجد الصالح طلائع ألواح الآن يقال إنها هي التي كان عليها الغسل » . ومهما يكن في رواية المقرئى من سرد أسطوري ، فمما لا شك فيه ، أنه قد أحضرت إلى القاهرة رأس ، وليس من المستبعد أن تكون قد غسّلت في مسجد الصالح طلائع ، ويؤيد هذه الرواية ما كشفت عنه الحفائر التي أجريت سنة ١٩٤٥ ، من وجود مبان بجوار الجهة الشرقية للواجهة البحرية لجامع الصالح طلائع عليها كتابات أثرية منها (ادخلوها بسلام آمين) ومثل هذه العبارة تكتب عادة على مداخل المدافن ، ولذلك فانه من المرجح أن تكون هذه الكتابات من بقايا المشهد الذي بناه الصالح طلائع مجاوراً لمسجده لكي يدفن فيه رأس الحسين كما ذكر ابن دقماق .

(١) المقرئى ج ٢ ص ٢٨٥ .

(٢) التاريخ الحسينى للببلاوى ص ١٧ (مطبعة التقدم العلمية سنة ١٣٢٤ هـ) .

سادسا : جاء في كتاب العدل الشاهد^(١) في تحقيق المشاهد « أن المرحوم^(٢) عبد الرحمن كتبخدا الفزدغلي ، لما أراد توسيع المسجد المجاور للمشهد الشريف قيل له إن هذا المشهد لم يثبت فيه دفن ، فأراد تحقيق ذلك فكشف المشهد الشريف بمحضر من الناس ونزل فيه الأستاذ الجوهري الشافعي والأستاذ الشيخ الملوّى المالكي وكانا من كبار العلماء العاملين وشاهدا ما بداخل البرزخ ثم ظهرا وأخبرا بما شاهداه ، وهو كرسي من الخشب الساج عليه طشت من ذهب فوقه ستارة من الحرير الأخضر تحتها كيس من الحرير الأخضر الرقيق داخله الرأس الشريف فانبنى على إخبارهم تحقيق هذا المشهد وبني المسجد والمشهد وأوقف عليه أوقافا يصرف على المسجد من ريعها » .

مما تقدم نستطيع أن نقول بوجود رأس بمشهد عسقلان ، ومن المرجح أن يكون هو رأس الحسين رضوان الله عليه ، ونستطيع أن نؤكد في ثقة وإطمئنان بأن هذا الرأس قد نقل إلى مشهد الحسين بالقاهرة .
هذا ولا أجد في هذا المقام خيرا من العبارة التي جاءت في المقریزی^(٣) اختتم بها موضوع الرأس الشريف : « ولحفظ الآثار وأصحاب الحديث ونقل الأخبار ، ما إذا طلع وقف منه على المسطور وعلم منه ما هو غير المشهور ، وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية وهي بصحة الدعوى ملية والعمل بالنية » أو كما قال سبط الجوزي ، ففي أي مكان كان رأس الحسين أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر قاطن في الأسرار والخواطر .

(١) العدل الشاهد في تحقيق المشاهد لعثمان مدوخ ص ١٢٤ .

(٢) لقد عمر كتبخدا المشهد سنة ١١٧٥ هـ الخطط الترفيقية .

(٣) المقریزی ج ٢ ص ٢٨٥ .

المشهد الحسيني بالقاهرة

نقلت رأس الحسين رضوان الله عليه من عسقلان إلى القاهرة كما يقول المقریزی - في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة الموافق (٣١ أغسطس سنة ١١٥٣ م) وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها ، وحضر فى القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخر المذكور (الموافق ٢ سبتمبر سنة ١١٥٣) . ويضيف المقریزی : « فقدم به (الرأس) الاستاذ مكنون فى عشارى من عشاريات الخدمة وأنزل به إلى الكافورى (حديقة) ثم حمل فى السرداب إلى قصر الزمرد ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة » . ويضيف ابن عبد الظاهر « أن طلائع ابن رزيك بنى جامعہ خارج باب زويلة ليدفنه (الرأس) به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك إلّا عندنا فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام إليه وذلك فى خلافة الفائز على يد طلائع فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة (سنة ١١٥٤ م) » . يفهم من هذين النصين أن الرأس بقى عامًا مدفونًا فى قصر الزمرد ، حتى أنشئت له خصيصًا قبة (هى المشهد الحالى) وذلك سنة ٥٤٩ هـ .

ولما جاءت الدولة الأيوبية جعل صلاح الدين بالمشهد حلقة تدريس وفقهاء وفوضها للفقهاء البهاء الدمشقي ، وكان يجلس للتدريس - كما جاء فى المقریزی - عند المحراب الذى يقع الضريح خلفه . ولما تولى الوزارة معين الدين حسين ابن شيخ الشيوخ بن حموية فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب بنى ايوانًا

للتدريس فقد جاء في المقریزی « ولما وزر معين الدين بن حموية ورد إليه أمر هذا المشهد ، جمع من أوقفه ما بنى به ايوان التدريس الآن - يعني عصر المقریزی (القرن التاسع الهجرى) - وبيوت الفقهاء الملوية خاصة » .

وإني أؤيد الرأي الذى ذهب إليه الأستاذ حسن عبد الوهاب من اعتباره المسجد " حالى حلّ محل المدرسة التى بنيت فى العصر الأيوبي . وقد أعطانا الرحالة ابن جبیر الذى زار مصر فى العصر الأيوبي سنة ٥٧٨ هـ (سنة ١١٨٤ م) وصفاً شاملاً دقيقاً للقبة والمدرسة جاء فيه « فمن ذلك المشهد العظيم الشأن الذى بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما . وهو فى تابوت من فضة مدفون تحت الأرض . قد بنى عليه بنيان حفيلى يقصر الوصف عنه ، ولا يحيط الإدراك به ، مجلل بأنواع الديباج ، محفوف بأمثال العمدة الكبار شمعا أبيض ومنه ما هو دون ذلك ، قد وضع أكثره فى أتوار فضة خالصة ومنها مذهبة . وعلقت عليه قناديل فضة ، وحف أعلاه كاه بأمثال التفافيح ذهباً فى مصنع شبيه الروضة يقيد الأبصار حسناً وجمالاً . فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مما لا يتخيله المتخيلون . والمدخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثالها فى التأنق والغرابة ، وحيطانها كلها رخام على الصفة المذكورة ، وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها وهما أيضاً على تلك الصفة بعينها ، والأستار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع » .

وفى العصر الأيوبي انشأ أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالرزور منارة على باب المشهد سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) . وهى منارة مائة بالزخارف الجصية والنقوش البديعة ، وهى تعلو الباب الأخضر وقد تهدم

معظمها ولم يبق منها إلا القاعدة المربعة وعليها لوحتان تأسيسيتان ونص الأولى :
« الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور ابتغاء وجه الله
ورجاء ثوابه . وكان تمامها على يدي ولده محمد سنة ثلاثة وثلاثين وست مائة
عفا الله عنه » . ونص الثانية « بسم الله الرحمن الرحيم الذى أوصى بإنشاء
هذه المئذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين تقريباً إلى الله ورفعاً لمنازل
الإسلام الحاج إلى بيت الله أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى المعروف
بالزرزور ، تقبل الله منه . وكان المباشر بعمارته ولده لصلبه الأصغر الذى أنفق
عليها من ماله بقية عمارتها خارجاً عما أوصى به والده المذكور . وكان فراغها
فى شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائه » (انظر لوحة رقم ١) . وقد احترق
هذا المشهد فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٠ هـ ، وكان سبب
الحريق كما يرويه المقرئى وأبو المحاسن « أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ
شيئاً فسقطت منه شعلة فوقف الأمير جمال الدين نائب الملك الصالح
بنفسه حتى طفيء » .

وقد قام بترميمه بعد هذا الحريق القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى
ووسعه والحق به ساقية وميضأة ووقف عليه أراضى خارج الحسنية قريب
الخندق . وفى العصر المملوكى سنة اثنتين وستين وستمائه رفع إلى الملك الظاهر
ركن الدين بيبرس قضية موضوعها ، أن مسجداً على باب مشهد الحسين رضى
الله عنه وإلى جانبه مكان من حقوق القصر بيع وحمل ثمنه للديوان وهو ستة
آلاف درهم ، فأمر السلطان برد الدراهم وأبقى الجميع للمسجد ، فأتسع نطاقه
وزاد رونقا وبهاء بما صرف عليه من تلك الأموال . وفى عهد الملك الناصر محمد
ابن قلاوون أمر بتوسيع المسجد وذلك ببناء إيوان وبيوت للفقهاء العلوية وكان
ذلك عام أربعة وثمانين وستمائه .

وفي العصر العثماني أمر السلطان سليمان خان بتوسيع المسجد وذلك لما رآه من الإقبال العظيم من المصلين والزائرين . كذلك عنى الوالي العثماني السيد محمد باشا الشريف الذي ولي مصر في سنة ١٠٠٤ هـ إلى سنة ١٠٠٦ هـ ، بترميم المشهد وإصلاح زخارفه ، أما الأمير حسن كتحدا عربان الجلفي فإنه وسع المشهد وزاد في مساحته وصنع له تابوتاً من أبنوس مطعم بالصدف والعاج وجعل عليه سترا من الحرير المزركش ، نقله إليه في احتفال كبير ، ويصف الجبرتي ذلك الاحتفال فيقول : ولما تموا صناعته وضعه على قفص من جريد وحمله أربعة رجال وعلى جوانبه الأربع أربعة عساكر من الفضة المطلية بالذهب ومشت أمامه طائفة الرفاعية بطبولهم وأعلامهم وبين أيديهم المباخر الفضية وبخور العود والعنبر وقماقم ماء الورد يرشونه على الناس وساروا بهذه الهيئة حتى وصلوا المشهد الشريف ووضعوا ذلك البستر على المقام . وأما الأمير عبدالرحمن كتحدا فقد قام بإصلاحات كثيرة ، ففي سنة ١١٧٥ هـ أعاد بناء المسجد وعمل به صهريجاً وحنفية بفسحة وأضاف إليه إيوانين ، كما رتب اسدنته والقائمين عليه مرئيات كثيرة ظل معمولاً بها حتى سنة ١٢٠٦ هـ حيث أصبحت أوقاف المسجد تحت نظارة السيد محمد أبي الأنوار الوفاي ، فألحق بالمسجد ضرراً كبيراً . ويقول الجبرتي في ترجمة المذكور ، إن أبا الأنوار كان له دار بجوار المسجد ولوجودها قبالة الميضأة والمراحيض كان يتضرر من سكناها فعزم على إبطال دورة المياه من تلك الجهة ، فاشترى داراً قبلي المسجد وأدخل منها جانباً فيه بمقدار باكية ورفعها درجة ليميز الحديث من العتيق وجعل به محراباً وأنشأ فيما بقي من الدار الميضأة والمراحيض وفتح لها باباً من داخل المسجد وأبطل الدورة القديمة لانحراف مزاجه منها وتأذيه من رائحتها .

وتحول عبور الناس إلى الحديثة من داخل المسجد ، ولم تمض أيام قلائل حتى أضرت الروائح الكريهة بمن في المسجد من المصلين والزائرين ، وظهرت بالمسجد أقذار البلل من أرجل الأوباش لقربها منه ، فلغظ الناس وشنوا الغارة وشنوا القالة ، ولم يحضر في أوقات الصلاة من أترك خان الخليلي والتجار أحد ، ثم قاموا قومة واحدة وأغلقوا الباب وأبطلوا تلك الميضأة والمراحيض الحديثة بالقوة ومنعوا الناس من الدخول وساعدتهم المنصفون من أجناسهم : فاضطر أبو الأنوار - كما يقول الجبرتي - إلى إعادة الميضأة القديمة كما كانت وجعل الحديثة مربوطاً للحمير يستغل أجرته بعد أن أزالها ومحا أثرها .

ولما قدم مصر السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٩ هـ وزار المقام الحسيني الشريف ، أمر الخديو اسماعيل بعمارته وتشبيده على أتم شكل وأحسن نظام ، وقد استغرقت هذه العملية عشر سنوات إذ تمت سنة ١٢٩٠ هـ . وقد أسهب على مبارك في خططه في وصف الإنشاءات التي قام بها الخديو اسماعيل (ولم يذكر أنها تنفيذاً لأمر السلطان عبد العزيز) فقد قال « وفرش بالفرش النفيسة وتنويره بالشموع والزيوت الطيبة (والأنفاس الغازية) في قناديل البلور ورتبوا له فوق الكفاية من الأئمة والمؤذنين والمبلغين والبوابين والفراشين والكناسين والوقادين والسقاين ونحو ذلك ووقفوا عليه أوقافاً جمّة يبلغ إيرادها نحو الألف جنيه في السنة » ويستطرد على مبارك في بيان مدى الاهتمام بالمسجد الشريف فيقول « لما رأى أهميته وازدحام الناس عليه وضيقه بهم لأن أرباب مظاهر الدين يسعون من كل فج على العربات والخيول والبغال والحمير حتى تزدهم أبوابه وطرقه فيضرب ذلك بالمارة خصوصاً في المواسم ، ففتتح بجواره سنة ١٢٩٥ هـ (سنة ١٨٧٨ م) شارع السكة الجديدة حتى

وصل إلى تلؤل البرقية « . وكان على مبارك هو الذى قام بعملية الرسم إذ يقول « وندبني لعمل رسم للجامع يكون به وإفيا بمقصده الحسن ، فبذلت الهمة في ذلك وعملت له الرسم اللائق بعظم شأنه بحيث لو وضع عليه لكان مبرراً من العيوب مع الاتساع العظيم داخلا وخارجا ، إذ جعلته منفصلا من كل جهة من المساكن بشوارع وميادين رحيبة . وجعلت شكله قائم الزوايا وجعلت حده الأيمن بحذاء جدار القبة الأيسر بالنسبة للمصلى فيها بحيث يكون الجداران واحدا ، وحده الأيسر نهاية الحد الأيسر للصحن الذى به الحنفية الآن ويصير هذا الصحن من ضمن الجامع ، وحده الذى به المحراب والمنبر يكون بحذاء جدار القبة الذى به محرابها بحيث يكون الجداران واحداً ، والحد الرابع الذى يلى خان الخليلي هو الذى له الآن . وجعلت الصحن والحنفية عن يمين الجدار الأيمن أعنى في محل الإيوان القديم بجوار عمارة العناني وتكون عن يمين ذلك المطهرة والاخلية والساقية بحيث يوخذ لها بعض من عمارة العناني ، فيكون الجامع آمنا من انعكاس روائح الأخلية إليه كما هو الشأن في وضع الأخلية ، وفي هذا الرسم صار الضريح الشريف خارجاً من الجامع في الزاوية التي عن يمين المحراب داخلا في الصحن من جهته اليسرى . وجعلت للضريح باباً إلى الجامع وباباً إلى الصحن وباباً إلى شارع الباب الأخضر لزيارة النساء . وجعلت سعة الشارع في غربية وشرقية نحو ثلاثين متراً وفي بحرية نحو أربعين « . أما الذى قام بتنفيذ المشروع فكان راتب باشا إذ كان ناظر الأوقاف يومئذ . فقد تسرع في بناء المسجد جميعه ما عدا القبة والضريح الشريف وتم البناء سنة ١٢٩٠ هـ ، أما المنارة فقد تمت سنة ١٢٩٥ هـ . غير أن راتب باشا لم يلتزم برسم على مبارك ، ولذلك فإنه انتقده نقداً لاذعاً

- وهو محق في ذلك إذ يقول : إن راتب باشا بنى الجامع غير قائم الزوايا ، فإن ضلعه الأيمن قصير عن ضلعه الأيسر وكذا الضلعان الآخران غير متساويين بحيث أوجب ذلك وضع الأساطين منحرفة بحيث لو وافقتها صفوف المصلين كما هو العادة لانحرفوا عن القبلة ولو سامتوا القبلة كما هو المطلوب لقطعوا صفوف الأساطين ، وصار الجامع مع سعته وارتفاعه غير مستوف لحقه من النور والهواء لسوء رسم الأبواب والشبابيك وعدم أخذها حقها من الارتفاع والاتساع مع قلتها وقلة الملاقف » وقد تكلفت هذه العمارة - على حد قول على مبارك - تسعا وسبعين ألف جنيه صرفت من خزينة الأوقاف ، هذا عدا ما تبرع به الامراء وعلية القوم ، فقد أحضرت له العمدة الرخام من القسطنطينية وثلاثة أبواب مبنية من الرخام الأبيض جهة خان الخليلي ، ومثلها الباب الأخضر الذي بجوار القبلة . وبالجامع منبر خشبي بديع مطلق بطلاء مذهب ، وهو في الأصل منبر جامع أزيك الذي كان عند العتبة الخضراء فلما تخرب المسجد نقل إلى مشهد الحسين . وفي مؤخرة المسجد دكة تبليغ كبيرة ، أما صحن الجامع فيحتوى على أربعة وأربعين عموداً عليها بوائك حاملة للسقف وهو من الخشب المطلى بزخارف نباتية وهندسية متعددة الألوان ومذهبة غاية في الدقة والإبداع ، وفي وسط السقف ثلاث مناور مرتفعة مسقوفة كذلك . وبجدران المسجد الأربعة يوجد ثلاثون شباكاً كبيراً من النحاس المطلى بالذهب ، ويعلوها شبابيك أخرى صغيرة دوائرها من الرخام . وللمسجد مئذنتان إحداها قصيرة وقديمة وهى التى بناها أبو القاسم ابن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزوزور سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) فوق القبلة - كما سبق أن أشرنا - وقد طوقتها لجنة حفظ الآثار بعزامين

من الحديد محافظة على بقائها ، أما المئذنة الثانية فتقع في مؤخر المسجد وهي مرتفعة ورشيقة على الطراز العثماني الذي يشبه المسلة أو (القلم الرصاص) وعليها لوحان بخط السلطان عبد المجيد خان كتبهما سنة ١٢٦٦ هـ بأحدهما سورة الأنعام الآية (٩٠) (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِمَ اقْتَدِهْ قُلْ لَا اسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) . والآخر « أحب أهل بيتي إلى الحسن والحسين » .

كذلك فرشت أرضية مصلى الباب الأخضر بالسجاد والبسط التركية وبشرقي المسجد باب موصل إلى قاعة الآثار النبوية ، التي أنشأها عباس حلمي الثاني سنة ١٣١١ هـ بعد أن بقيت هذه الآثار ست سنوات محفوظة في الدولاب الجميل الذي صنع سنة ١٣٠٥ هـ في الطرف الجنوبي للجدار الشرقي للمسجد . وهي قاعة متسعة الأرجاء مفروشة بالسجاد الدقيق الصنع المستورد من إيران وتركيا ، تضاء بالمصابيح والثريات البلورية النادرة . وقد كسيت جدرانها بالرخام (المجزع) وبها محراب صغير ، وسقفها من الخشب المنقوش ونوافذها من الجص المخرم والمعشق بالزجاج الملون . أما دولاب الآثار الشريفة فقد وضع في الجهة القبليّة من القاعة ، وهو عبارة عن فجوة كبيرة في الجدار قوى ظهرها بقضبان من الحديد وقد كسيت جدرانها وأرضيتها وسقفها بالجوخ الأخضر . وفي وسطها لوح من الزجاج لتوضع فوقه باقى الأمانات ، وقد عمل لهذه الفجوة باب من خشب الجوز المطعم بالعاج والصدف والأبنوس وكتب بأعلاه بأحرف من العاج « إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا » . وللقاعة الشريفة بابان أحدهما إلى المسجد والآخر يؤدي إلى القاعة . وقد كتب على جدران الغرفة من الداخل على الرخام البسملة وسورة « ألم نشرح » وبعد ذلك النص الآتى :

« ذكر ما هو محفوظ بهذه الخزانة المباركة من آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم وآثار خلفائه رضى الله عنهم أجمعين . تشمل هذه الخزانة من الآثار النبوية على قطعة من قميصه الشريف ومكحلة ومروود وقطعة من القضيبي وشعرتين من اللحية الشريفة وبها أيضاً مصحفان كريمان بالخط الكوفي أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه والآخر بخط سيدنا الإمام على كرم الله وجهه . ذكر ما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاته ثوباً حبره وإزار عماني ، وثوبان صحاريان وقميص صحارى وقميص سحولى وسراويل وجبه يمنية وخميصه وكساء أبيض وقلانس ، فذك وثلاث أرض وادى القرى وسهم وخمس أرض خيبر وحصته من أرض النضير . »

أما في عهد ثورتنا المباركة ، ثورة ٢٣ ربيع سنة ١٩٥٢ ، فقد عنيت عناية خاصة بتجديد مسجد الحسين وزيادة مساحته ، وفرشه وإضاءته حتى يتسع لزائريه والمصلين به . فقد كان المسجد القديم يضيق بهم وخاصة في المواسم والأعياد ، فزيدت مساحته حتى بلغت مساحة الصحن ٣٣٤٠ متراً مربعاً ، بعد أن كانت مساحته ١٥٠٠ متر مربع ، أى بإضافة ١٨٤٠ متراً مربعاً إليه وقد أخذت أبعاد الأروقة وقطاعات العقود وكذا النوافذ والأبواب التي استجذت ، من الطبيعة حتى جاءت التوسعة كامتداد طبيعي للمسجد القديم .

وقد روعى كذلك أن تكون المباني مشابهة للقديم ومن نفس الخامات بقدر الامكان ، فقد بنيت الجدران التي يبلغ سمكها ٨٠ سم من الحجر المتخلف (من المباني القديمة) ، من الخارج والآخر من الداخل . كما كسيبت

الحوائط من الداخل بمونة الحجر الصناعى حتى تكون مضاهية للحوائط القديمة .

وقد أضيف للمسجد مبنى مكون من دورين ، خاصاً بإدارة المسجد ، يقع فى الجهة الشرقية منه بجوار غرفة المخلفات . كما انشئت مكتبة خاصة بالمسجد تبلغ مساحتها ١٤٤ متراً مربعاً تقع فى الجهة الشرقية أيضاً ، على امتداد القبة والمصلى الخاص بالنساء .

ولما كانت الواجهة الرئيسية للمسجد القديم - وهى الواجهة القبلىة - ليست على استقامة واحدة ، فقد أضيف إليها مثلث فى الطرف الجنوبى الشرقى مساحته ٣٥ متراً مربعاً ، فجاءت الواجهة الرئيسية على استقامة واحدة . وبدأت هذه التجديدات سنة ١٩٥٩ وتمت سنة ١٩٦٣ وبلغت جملة تكاليفها (٨٣) ألف جنيه ، هذا بالإضافة إلى السجاد اليدوى الذى صنع خصيصاً بمدينة المحلة الكبرى ، والذى بلغت تكاليفه ما يقرب من (٤٠) ألف جنيه .

هذا وقد اعتمدت وزارة الأوقاف مبلغ (٤٠) ألف جنيه الآن ، لإقامة واجهة جديدة تتقدم الواجهة القديمة ، تليق وصاحب المقام ، خاصة بعد أن أزيلت كل المباني التى كانت تحجبه عن الميدان الذى خطط خصيصاً من أجله . وسيكون طول هذه الواجهة ٤٥ متراً وعرضها ٨ أمتار ، وروعى فى الواجهة الجديدة أن تكون أقصر من القديمة ، حتى تظهر شرفات الواجهة القديمة . وقد صممت هذه الواجهة بحيث جاءت آية فى الدقة والإبداع

وتتكون الواجهة من حائط تزخرفه سبعة عقود مدببة ، يرتكز كل منها على عمودين من الرخام . ويحيط بهذه العقود شريط من الزخارف الجصية البديعة . ويستعمل ثلاث من هذه العقود كأبواب ، أما الأربعة الباقية فهي نوافذ . وستكون النوافذ مملوكة بالبرنز المخرم ، وكذا النصف العلوى من الأبواب . وستتدلى من الحوائط المحصورة بين العقود مشكاوات بديعة التصميم ، ويعلو كل منها دائرة من الزخارف الجصية فى توازن وتمائل محكم . وستقام مثذنة فى الطرف الجنوبى الشرقى مماثلة للمثذنة الموجودة فى الطرف الجنوبى الغربى ومن نفس الطراز (انظر لوحة الغلاف) . كما صنع منبر جديد للمسجد من الخشب العزى والجزى التركى والزان ، ويتكون من حشوات مجمعة ومطعمة بالصدف والعاج والأبنوس ، وقد بلغت تكاليفه ١٥٠٠ جنيه . كما تصنع الآن مقصورة جديدة للمشهد الحسينى من النحاس المخرم والمكفت بالفضة والذهب . ورصدت الوزارة كذلك مبلغ (٥٠) ألف جنيه لإقامة دورة مياه جديدة تقع فى الجهة البحرية من المسجد .

القبة

يقول الاستاذ كرزويل ، الذى قام بالكشف على المشهد من الناحية المعمارية ، أن القبة كلها ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر فيما عدا الضريح الشريف . وهذا يؤيد ما ذهب إليه الجبرقى وعلى باشا مبارك ، فقد ذكر أن عبد الرحمن كتحدا أعاد بناء الضريح الشريف سنة ١١٧٥ هـ كما هو ثابت على العتب الرخامى و نصه :

مسجد للحسين أصل المعالى لا يضاهيه فى البقاع علاء
فيه فضل الرحمن للعبد نادى زر وأرخ لك الهنا والرضاء
والقبة ليست مربعة تماماً ولكنها تميل إلى الاستطالة قليلاً ، ولذلك فقد كانت
هناك صعوبة فى إقامتها ، أمكن التغلب عليها بفتح نافذة ذات ثلاث
فتحات بين المثلثات الكروية الموجودة فى أركان الضلع القصير ، و نافذة ذات
ست فتحات بين المثلثات الكروية الموجودة فى أركان الضلع الطويل . وقد
غطيت فتحات النوافذ بجص مخرم ومعشق بزجاج ملون . وتتكون زخارف
النوافذ الجصية من كتابات نسخية كلها آيات قرآنية وأحاديث نبوية .
أما القبة فإنها تتركز على عقود نصف دائرية ومقرنصات فى الأركان شبه
دائرية ، وكل هذه الأجزاء مزخرفة بنقوش زيتية غاية فى الدقة ، تشبه إلى حد
كبير تلك النقوش التى عملها على بك الكبير فى قبة الإمام الشافعى ، فهى
بذلك عثمانية الطراز . وفوق المحراب نقش قسيمة بماء الذهب كتبها الخطاط
البلخى سنة ١١٨٧ هـ ، ومطلع القصيدة .:

ألاً إن تقوى الله خير البضائع ومن لازم التقوى فليس بضائع

كما نجد نفس التاريخ منقوشاً على الشريط الذى يحيط بقاعدة القبة ،
ومعنى ذلك أن هذه الزخارف عملت بعد اثنى عشرة سنة من العمارة التى قام
بها عبد الرحمن كتحدا انظر لوحة رقم (٢) .

على أن أقدم أجزاء الضريح هو الباب الذى يعرف بالباب الأخضر، ويقع
بالقرب من الركن الجنوبي للضريح وبالركن الجنوبي الغربى بالنسبة لجدار
القبة ، وهو عبارة عن حائط طوله ٩٢متر وارتفاعه ٨٥متر ، تخترقه
بوابة مستطيلة الشكل عرضها ١٨٩متر وارتفاعها ٢٣٣متر (انظر لوحة
رقم ١) ويعلو البوابة عقد عاتق به حنية بداخلها دائرة مفرغة بزخارف دقيقة ،
وتعلوها بقايا شرافات جميله . وتشبه هذه البوابة وزخارفها باب جامع الأقمر .
ولذا فإن كرزويل يرجع هذا الجزء إلى آخر العصر الفاطمى ، ومعنى ذلك أن هذا
الجزء يرجع تاريخه إلى تاريخ مجيء الرأس الشريف إلى مصر تقريباً . وقد
عرف هذا الباب باسم باب الحسين ، كما ورد فى خريطة الحملة الفرنسية .
أما الآن فإنه يعرف باسم الباب الأخضر . وفوق هذا الباب توجد مثانة قصيرة
ترجع إلى العصر الأيوبى ، فقد ثبت عليها لوحة تذكارية مؤرخة سنة ٦٣٤ هـ
وسبقت الإشارة إليها . والمثانة مبنية بالآجر ، وتتكون من مربع طول ضلعه
٢٥متر وارتفاعه ١٢٧٦متر ، ينتهى بقاعدة مثمنة الشكل تقوم عليها الدورة
الثانية للمثانة وهى مثمنة الشكل وارتفاعها ٢٥٠متر ، وفى كل وجه من
أوجه المثلثين توجد فتحة طويلة . ويعلو هذه الدورة رقبة مثمنة تعلوها قبة مضلعة
يبلغ ارتفاعها مع الرقبة ٢٣٠متر وعلى ذلك يكون ارتفاع المثلثات كلها ١٧٥متر .
أما مربع القبة من الداخل فقد كسيت واجهته المطلية على المسجد بالرخام
الدقيق المطعم بفسيفساء من الصدف ، وكذا غطى محيطها من الداخل بالرخام

والصدف في رسوم هندسية غايه في الدقة والإبداع ، وترجع هذه الزخارف الرخامية والصدفية إلى القرن (٨) هـ . أما الأجزاء العليا من مربع القبة فقد زخرف بنقوش زيتية مذهبة تشبه تلك التي نقشت على القبة نفسها ، وكأها نرجع إلى القرن (١٢ هـ) ثم جددت هذه النقوش سنة ستة عشرة بعد الثلاثمائة والألف وقد سجل على الباكية الشريفة ما يأتي :

ركن هذا المقام جنة عدن	من أتاه يفوز بالمأمول
ركن هذا المقام ركن سديد	نال فيه الداعون حسن القبول
ركن هذا المقام كعبة مصر	زاد مجداً بالسيد بن البتول
ركن هذا المقام حاز فخاراً	بالإمام الحسين سبط الرسول

وتحتوى القبة على أربعة أبواب ، بابان في الجهة الغربية يؤديان إلى المسجد ، وباب بجوار المنبر مكتوب بأعلاه بالخط الثلث البارز الجميل المذهب على الرخام « الإجابة تحت قبته والشفاء في تربته والأئمة في ذريته وعترته » وباب يؤدى إلى غرفة الآثار ، كتب بأعلاه « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » .

كذلك كتب الشيخ عبد الله الشبراوى عام ١١٥٦ هـ أبياتاً من الشعر على الباب الخارجى نصها :

يا كرام الأنام يا آل طه	على من يهيم فيكم ملام
بابكم كعبة الهدى وحماكم	منهل فيه للأنام إزدحام
باب فضل لما سما أرخوه	من دنا نحو بابكم لا يضام
رضى الله عنكم آل طه	وصلاة منى لكم وسلام

وفي العمارة التي قام بها السيد علي أبو الأنوار والتي سبقت الإشارة إليها ،
أجرى فتح باب في الجهة البحرية للقبّة ، وله مصرعان من النحاس المخرم
بنقوش جميلة ، وبتواشيح الباب أربعة دوائر كتب فيها على التوالي - لا إله
إلا الله محمد رسول الله - الإمام علي - الإمام الحسين - الإمام الحسن . ويعلو
الباب عتبان كتب على أحدهما :

أنشأ علي أبو الأنوار سيدنا بابا لسبط رسول الله ذي الرشد
وحسن اشراف نور الله أرخه باب حماه عظيم الجاه والمدد
وقد غطيت كل الأبواب والنوافذ بأستار من الحرير الأخضر الجميل
وفي وسط القبّة توجد المقصورة ، على بابها أربع حلقات من الفضة النقية
الخالصة .

يقول الشيخ علي الببلاوي ، إن الزائرين يدعون عند تحريكها ويقولون :
لن يخيب اليوم من رجائك من حرك من دون بابك الحلقة

وحول المقصورة توجد مشكاوات من الزجاج الموه بالميناء المنقوشة بزخارف
جميلة ومكتوب عليها اسم الملك الظاهر أبي سعيد ، كما تحتوى على كتابات
قرآنية « الله نور السموات والأرض » ويبلغ عدد هذه المشكاوات ثلاثا
وعشرين ، كانت قيمتها في ذلك الوقت أكثر من ألفي دينار .

وبالقبّة قبلة قديمة محلاة بقطع من الفسيفساء الرخامية ويكتنفها عمودان
ن حجر السماق وبجانبيهما قاعدتان من الرخام كانتا معدّتين فيما مضى لوضع
الشماعد ومكتوب فوق القبلة قصيدة مطلعها :

ألا إن تقوى الله خير البضائع ومن لازم التقوى فليس بضائع

وسبق أن ذكرنا أن جميع جدران القبة مكسوة بالرخام الملون الجميل إلى ارتفاع نحو قامتين انظر لوحة رقم (٣) ، وفوق ذلك ألواح من الخشب المطلي بنقوش زيتية متعددة الألوان ومذهبة ، وبأعلى النقوش كتب عليها قصيدة الإمام ابن جابر الأندلسي المشهورة والتي مطلعها :

في كل فاتحة للقول معتبرة حق الثناء على المبعوث بالبقرة
وهي مكتوبة بالخط الثلث المذهب وتحيط بالقبة وتعلوها قصيدة أخرى
يقال إنها تنسب إلى الحسين رضي الله عنه ويقول الشيخ الببلاوى إنها
لسان حاله ، ومطلعها :

خيرة الله من الخلق أبي بعد جدى وأنا ابن الخيرتين
عبد الله غلاما ناشئا وقريش يعبدون الوثنيين
والدى شمس وأمي قمر وأنا الكوكب بين النيرين
وفوق القصيدتين شريط من الخشب يحيط بالقبة كتب عليه سورة
الفتح من القرآن الكريم .

أما حجرة التابوت فهي تقع في الطبقة الثالثة من أرض القبة وقد وضعت الرأس فيها على كرسى من الأبنوس ، وهي ملفوفة في برنس أخضر وحولها نحو نصف أردب من الطيب الذي لا يفقد رائحته بتوالي السنين . وقد جاء في التاريخ الحسيني ، أن بعض عظماء العصور الخالية أراد أن يرفع النقاب عن خبايا أسرار هذه الروضة المباركة فأنزل رجلين ليكشفوا الخبر ، فخرج أحدهما أعمى والآخر أخرس ولذلك لم تحصل المحاولة مرة ثانية . وفوق الحجرة طبقة أخرى يسلك إليها من فجوتين على كل فجوة باب متين . والحجرة مسقوفة بقضبان من الحديد الصلب وتحتوى على مكان فسيح . يحده الشرق

باب يوصل إلى الحجرة المباركة التي تحتوى على تركيبة عظيمة على القبر الشريف. ويحيط بها تابوت من خشب الساج الهندى ، ويحتوى التابوت على ثلاثة جوانب فقط ، لأن التركيبة التي تحيط به كانت ملتصقة بالجدار الشرقى . ولما تصدع بعض جدران الروضة الشريفة قامت وزارة الأوقاف سنة ١٣٢١ هـ بترميمها وإعادةها إلى حالتها الأولى ، كما أخرج التابوت الخشبي ورمم وأعيد إلى حالته الأولى وهو محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة . وقد عنى الأستاذ حسن عبد الوهاب بدراسة وقراءة ما نقش عليه من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية دراسة مستفيضة . ويبلغ طول التابوت ١٨٥ متر وعرضه ١٣٢ متر وارتفاعه ١٣٥ متر وهو مكون من جنب ورأسين ومقسم إلى مستطيلات رأسية وأفقية يحيط بها أشرطة تحتوى على كتابات بعضها بالخط الكوفى والبعض الآخر بالخط النسخى الذى انتشر فى مصر فى العصر الأيوئى . أما زخارف هذه الحشوات ، فهى عبارة عن نقوش نباتية غاية فى الروعة والانتقان (انظر لوحة رقم ٦) ويحيط بالحشوات السداسية شريط من الخط الكوفى به كلمات منها « الملك لله » « وما توفيقى إلا بالله » ، « ثقتى بالله » ، « نصر من الله وفتح قريب » ، « العزة لله » ، « وما بكم من نعمة فمن الله » الخ . . .

ويقول حسن عبد الوهاب إن هذا التابوت يشبه إلى حد كبير تابوت الإمام الشافعى مما يدل على أنه معاصر له ، ولذلك فإنه يرجح أنهما صنعاً فى عصر واحد وبيد صانع واحد ، وبما أن تابوت الإمام الشافعى مؤرخ سنة ٥٧٤ هـ أى أنه صنع فى عصر صلاح الدين الأيوئى ، لذلك يرجح حسن عبد الوهاب أن تابوت الحسين صنع بأمر صلاح الدين ، ذلك لأنه عنى عناية خاصة بمشهد الحسين وأنشأ مدرسة بجواره .

رابط الآثار

لم يترك رسول الله (ﷺ) كما ورد في صحيحى بخارى ومسلم وغيرهما من كتب الحديث « ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمةً ولا شاةً ولا بعيراً إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة بقوله (ﷺ) ، نحن معشر الانبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة . ولكنه ترك (ﷺ) مخلفات شخصية كثيرة كتيابه وأمتعة بيته وغيرها ، وقد ورد الشيء الكثير عن هذه المخلفات في كتب السير والتاريخ . وكثير من هذه المراجع كان يحاول وصف هذه المخلفات وبيان عددها بل وذكر اسمائها ، فمن ذلك ما ورد أن عمامته (ﷺ) كانت تسمى (السحاب) ، ومقصه يسمى (الجامع) ، وقضيباً كان يأخذه في يده يسمى (المشوق) ، وكان له قدح من خشب أتل يسمى (النسعة) . أما سيفه فكان يعرف (بذى الفقار) . ولم يكتف كتاب السيرة بذلك ، بل منهم من حاول جاهداً أن يصل بنسبة هذه المخلفات في تسلسل ، إلى من آلت إليهم أولاً من آل البيت وغيرهم من خلفائه وصحبه (ﷺ) . ولم تخل هذه المحاولة من أسلوب أسطوري في كثير من الأحيان ، ولكن الذى لا شك فيه هو وجود المخلفات ذاتها ، وأن في اجماع كتب السيرة ما يقطع بوجودها ، وقد بقيت على مر العصور . وكل ما يلاحظ (الآن) على تلك المراجع جميعها ، أن أحداً منها لم يتناول هذه المخلفات بالدراسة العلمية الفنية ، حتى يستطيع معها الباحث أن يثبت نسبتها للرسول (ﷺ) يقيناً أو ترجيحاً أو نفيها ، كما يلاحظ على بعضها عدم الاهتمام بمعاينة هذه المخلفات والاكتفاء بنقل اسمائها عن مراجع سابقة . لذلك أصبح من الواجب على من يتصدى للكتابة عن

هذه المخطفات الشريفة ، أن يتناولها بالدرس دراسة علمية ، تجمع بين الفنية والأثرية ، يستطيع معها إلى جانب دراستها من الناحية التاريخية أن يقطع برأى علمي صحيح عنها . وسيكون هذا منهجى فى دراسة بعض هذه المخطفات ، وأعنى بها تلك التى لا تزال موجودة بمسجد سيدنا الحسين رضوان الله عليه .

وقصة مخطفات الرسول عامة ، سارت فى جملتها فى سلسلة تاريخية معقولة مقبولة ، بدأت بطبيعة الحال بأن آلت إلى آل بيته ، ومن أعقبهم بطريق الميراث ، أو إلى الصحابة عن طريق الإهداء ، وبقيت كذلك حتى جاءت الدولة الأموية ، فاستطاع خلفاؤها أن يحصلوا على كثير منها ، بطريق الشراء فى أغلب الأحيان بقصد التبرك والتشريف . ولما زالت الدولة الاموية سنة ١٣٢هـ ، وآل الملك للعباسيين ، كان من الطبيعى أن يحرصوا على أن تؤول إليهم كذلك مخطفات الرسول (ﷺ) ، فهم أولاد عمه وأولى بها . ولقد بلغ حرص العباسيين واهتمامهم بهذه المخطفات حداً اعتبروا معه بعضها كالبردة والقضيب شارة من شارات الخلافة ، وقد ذكر ذلك كثير من المؤرخين^(١) . فقد ورد أن القضيب والبردة أثران نبويان ، كانا من شارات الخلافة فى الدولة العباسية ، وكان الرسم أن يأخذ الخليفة القضيب بيده فى الموكب ، وكانت البردة تطرح على كتفه فى الموكب جالساً أو راكباً . وقال ابن كثير « كان الخليفة يلبسها (أى البردة) يوم العيد على كتفه ويأخذ القضيب المنسوب إليه (أى الرسول ﷺ) فى إحدى يديه » . بل بلغ من عناية العباسيين بهذين الأثرين الشريفين وحرصهم

(١) خطط المقرئى ج ١ ص ٤٤٨-٤٥٥ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٧٣ ، ج ٤ ص ٧-٨ ، مروج الذهب ج ٢ ص ١٦٣ ، أخبار الدول للقرمانى ص ٨٦ ، البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٧ ، الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٦٤ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٨ ، تاريخ الطبرى ج ١٢ ص ٦٥٥ ، ابن خلكان ج ٢ ص ٢٣٢ ، الكواكب السيارة لابن الزيات ص ١٤٤ ، حاشية اليعقادى ج ١ ص ٥٥ .

عليهما ، أنهم كانوا كلما قام منهم خليفة اهتم بهما اهتمامه بالبيعة ، فإذا كان غائباً بعثوا بهما إليه مع بشير الخلافة يبرّدونه » .

ومن هذه المخلفات مجموعة فريدة لا تزال موجودة بمصر ، وهي محفوظة في حجرة خاصة بالمسجد الحسيني بالقاهرة . وقد رأيت قبل وصفها ودراستها فنياً وأثرياً ، أن أقدم لها بما ورد عن بيانها وتاريخها ، والأماكن التي نقلت إليها حتى وصلت إلى مستقرها المحفوظة به الآن وهو المسجد الحسيني .

أجمع كل من كتب من المؤرخين ^(١) عن المخلفات النبوية الموجودة بالقاهرة ، على أنها كانت عند بني إبراهيم بينبع ، ويقال إنهم تلقوها بالميراث عن آبائهم وأجدادهم الأولين . في أجيال متعاقبة تمتد إلى زمن الرسول (ﷺ) . وفي القرن السابع الهجري ، اشترى هذه المخلفات من بني إبراهيم وزير مصر ، اسمه الصاحب تاج الدين من بني حنّ ، ثم نقلها إلى مصر وبني لها رباطاً ^(٢) على النيل ، عرف فيما بعد برباط الآثار ، وسماه ابن دقماق ^(٣) بالرباط الصاحبى التاجي ، نسبة إلى بانيه الصاحب تاج الدين . ويعرف الآن باسم (أثر النبي) . وقد بلغ من حرص المصريين ، على هذا التراث الأثري العظيم وتقديرهم له ، أن جعلوا من بين وظائف الدولة الهامة وظيفة شيخ الآثار النبوية ، فقد قال

(١) خطط المقرئى . الفلّشندى في صبح الأعشى . ابن كثير في البداية والنهاية . السيوطى في حسن المحاضرة . الجبرئى . الخطط التوفيقية . رحلة ابن بطوطة .

(٢) الرباط : نوع من الأبنية العسكرية كان يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الإسلام بخد السيف . وكانت الأربطة منتشرة في صدر الإسلام قبل أن ينتشر الدين ويستتب الأمن وتأمين الامبراطورية الإسلامية على حدودها . وقد كانت في تصميمها تشبه التحصينات الحربية فعظمها عبارة عن أبنية مستطيلة الشكل وفي أركانها أبراج للمراقبة ، ولما زالت عن الأربطة صفتها الحربية أصبحت بيوتا للتقشف والعبادة يسكنها الصوفية .

(٣) الانتصار لواسطة عقد الأمصار ص ١٠٢ ، المقرئى ح ٤ ص ٢٩٣ .

ابن اياس^(١) في حوادث المحرم من سنة ٨٨٩ هـ « وفيه توفي الشيخ ولى الدين أحمد شيخ الآثار النبوية وقاضى نجر دمياط . وكان ديناً خيراً حسن السيرة لا بأس به » .

وجاء في الضوء اللامع^(٢) أنه في سنة ٨٧٠ هـ ، استقر العز الكنانى بالشيخ ولى الدين أبو زرعه أحمد بن محمد ، شيخاً على الآثار ، ثم نقل قاضياً لدمياط وتوفى بها .

أما عن الرباط الذى بنى خصيصاً لكى يضم المخلفات ، فيقول المقرئى^(٣) فى وصفه : هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق . وجاء فى المقرئى أيضاً نقلاً عن أبى المتوج قال : هذا الرباط عمره الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد ولد الصاحب بهاء الدين على بن حنا بجوار بستان المعشوق ومات رحمه الله قبل تكملته ووصى أن يكمل من ريع بستان المعشوق فإذا كملت عمارته يوقف عليه ، ووصى الفقيه عز الدين بن مسكين فعمر فيه شيئاً يسيراً . وأدركه الموت إلى رحمة الله تعالى وشرع الصاحب ناصر الدين محمد ولد الصاحب تاج الدين فى تكملته فعمر فيه شيئاً جيداً . ثم يذكر المقرئى السبب فى تسميته باسم رباط الآثار فيقول : « وإنما قيل له رباط الآثار لأن فيه قطعة خشب وحديد يقال إن ذلك من آثار الرسول (ﷺ) اشتراها الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهل ينبع وحملها إلى هذا

(١) تاريخ مصر ج ١ ص ٩٩ .

(٢) السخاوى ج ١ ص ٧٣٨ .

(٣) الخطوط ج ٤ ص ٢٩٥ .

الرباط. وهى به إلى اليوم (أى عصر المقريزى فى القرن ١٥ م) يتبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها وأدركنا لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات واسكانه عدة منافع ممن يتردد إليه أيام كان ماء النيل تحتته دائما فلما انحسر الماء من تجاهه وحدثت المحن من سنة ست وثمانمئة قل تردد الناس إليه وفيه إلى اليوم بقية . ولما كانت أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون قرر فيه درسا للفقهاء الشافعية وجعل له مدرسا وعنده عدة من الطلبة ولهم جار فى كل شهر من وقف وقفه عليهم وهو باق أيضا . وفى أيام الملك الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط ، وهذا الرباط خزانة كتب وهو عامر بأهله . »

وبمثل قول المقريزى فى وصف رباط الآثار ، قال كثير من المؤرخين ، وخاصة أولئك الذين جاءوا بعده ، مع اختلاف بسيط ، بالنسبة لعدد المخلفات النبوية الباقية ، وكذا بالنسبة للإضافات والتجديدات والترميمات التى أجريت فى الرباط فى عهدهم ، والأحداث التى مرت به ، فقد نقل ابن دقماق عبارة ابن المتوج التى نقلها المقريزى ، إلا أنه اختلف مع المقريزى فى ثمن المخلفات ، فقال إن الصاحب تاج الدين بن حنا اشتراها بمبلغ مائتين وخمسين ألف درهم وجعلها فى خزانة فى هذا الرباط ، واختلف معه فى عدد المخلفات ، فبينما يذكر المقريزى أنها « قطعة خشب وحديد » فقط . - يقول ابن دقماق إنها قطعة من العنزة (الحربة القصيرة) وقطعة من قصعة ومروود وملقط ومخصف . أما ابن كثير فيقول : وبلغنى أن بالديار المصرية مزاراً فيه أشياء من آثار النبى (ﷺ) اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين فمن ذلك مكحلة وميل ومشط .

وغير ذلك والله أعلم . وقد نقل أحمد تيمور عن البرهان^(١) الحلبي ما نصه :
وفي آخر مصر مكان على النيل مبنى محكم البنيان وله طاقات مطلة على النيل
ومكان ينزل إليه وبركة من ماء النيل ومطهرة بماء النيل وفيه خزانة من خشب
وعليها عدة ستور الواحد فوق الآخر . وداخل الخزانة علبة صغيرة من جوز
فيها الآثار الشريفة قطعة من قصعة وقطعة من العنزة وميل من نحاس أصفر
ومخصف صغير ومقطب صغير لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها . وقد زرناه غير مرة ،
وهو مكان مليح في غاية النزهة وما بعده إلا بساتين وقد زرناه مرة فرآني الإمام
جلال الدين بن الخطيب داريا الدمشقي بسوق كتب القاهرة ، فسألني :
أين كنتم ؟ فقلت : زرنا الآثار وكان معنا بعض الأدباء ، فقال : هل نظم أحد
في ذلك شيئاً ؟ فقلت : لا . فقال : أنا زرته من أيام وكتبت فيه بيتين .
فأنشدني ذلك وهما :

يا عين إن بعد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشط مزاره
فلك الهنا فلقد ظفرت بطائل إن لم تريه فهذه آثاره

كذلك ورد ذكر رباط الآثار والمخلفات النبوية في كتب الرحالة الذين
زاروا مصر ، فهذا ابن بطوطة^(٢) الذي جاء إلى مصر في القرن الثامن الهجري
يصف الرباط فيقول : فبت ليلة خروجي إلى الصعيد برسم الحجاز الشريف ،
بالرباط الذي بناه الصاحب تاج الدين بن حنا بدير الطين وهو رباط عظيم
بناه على مفاخر عظيمة وآثار كريمة أودعها فيه وهي قطعة من قصعة رسول الله
(ﷺ) والميل الذي كان يكتحل به والدرفش وهو الأشفي الذي كان يخصف

(١) الآثار النبوية ص ٣٢ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٥٥ .

به نعله ، ومصحف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي بخط يده رضى الله عنه . ويقال إن صاحب اشترى ما ذكرناه من الآثار الكريمة النبوية بمائة ألف درهم وبني الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والجراية لخدم تلك الآثار الشريفة . »

ويحدثنا السيوطي^(١) في القرن الحادى عشر الهجرى عن الرباط فيقول : ولم يزل الرباط عامراً مأهولاً بالمصلين والزوار ، حتى تبدلت الدول واختلت الأحوال فنزلت منه الآثار الشريفة خوفاً عليها من السراق ، وتغيرت معالمه بتجديد بنائه . والذي وقفنا عليه من ذلك تجديده زمن إبراهيم باشا الدفتردار المتولى على مصر سنة ١٠٧١ هـ ، كما ورد فى تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق ، ففيه أنه لما عزل وأنزلوه من القلعة صلى الجمعة يوم ١٢ شوال سنة ١٠٧٣ هـ فى مسجد أثر النبي الذى بمصر القديمة وكان قد وسعه وجده وبني تحته رصيفاً لدفع ماء النيل عن بنائه ورتب له مائة عثمانى ، وأرصد له طينا ، وعين به قراء ووظائف وحراساً قاطنين به . »

ثم يحدثنا الجبرتي فى القرن الثالث عشر الهجرى عما آل إليه حال الرباط فيقول : « وفى رجب من سنة ١٢٢٤ هـ أمر الخواجه محمود حسن بزرجان باشا بعمارة القصر والمسجد الذى يعرف بالآثار النبوية ، فعملها على وضعها القديم ، وقد كان آل إلى خراب . »

ويعلم من أقوال السيوطي أن الآثار الشريفة نقلت من الرباط لما تصدع بنيانه وخشى عليها من السراق وكان نقلها كما يؤخذ من عبارة الجبرتي فى حوادث سنة ١٢٠٣ هـ « أخبر بعض الناس قاضى العسكر أن بمدفن السلطان

(١) السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٤٨ .

الغورى بداخل خزانة فى القبة آثار النبي (ﷺ) ، وهى قطعة من قميصه وقطعة عصا وميل ، فأحضر مباشر الوقف وطلب منه إحضار تلك الآثار وعمل لها صندوقاً ووضعها فى داخل بيقجة وضَمَّها بالطيب ووضعها على كرسى ورفعها على رأس بعض الأتباع وركب القاضى والنائب وصحبته بعض المتعممين مشاة بين يديه يجهررون بالصلاة على النبي (ﷺ) حتى وصلوا بها إلى المدافن ووضعوها فى داخل الصندوق ورفعوها فى مكانها بالخزانة .

ويؤيد رواية الجبرقى تلك القصة التى ذكرها ابن إياس فى حوادث سنة ٩٢٦ هـ « فلما كان يوم الأحد سادس رمضان نزل ملك الأمراء وتوجه إلى المقياس وكان مضى من مسرى ستة وعشرون يوماً ، فأقام ملك الأمراء فى المقياس ذلك اليوم وفرقوا أجزاء الربعة على الحاضرين من الفقهاء ، فقرأوا فيها عشرين دوراً ، ثم قرأوا صحيح البخارى هناك ، وأشيع أن ملك الأمراء فرق هناك على الفقهاء مالا به صورته وأحضر الأطفال الأيتام وفرق عليهم مبلغاً به صورته وأحضر من الآثار الشريفة القميص من المدرسة الغورية ووضعها فى فسقية المقياس وغسلوه من الماء الذى بها ، وكثر هناك الضجيج والبكاء والتضرع إلى الله تعالى بالزيادة . »

أما المؤرخ حسن بن حسين المعروف بابن الطولونى فيقول إن السلطان الغورى بنى القبة المواجهة لمدرسته للآثار النبوية وقد نقل عنه على مبارك^(١) هذا النص : «وبرز أمره الشريف بعمارة قبة معظمة تجاه المدرسة التى أنشأها بخط الشرايشيين بسوق الجمالون وسوق الخشبية بمباشرة الجنب العالى الأميرى الفاضلى السيفى ثانى بك الخازندار وناظر الحسبة الشريفة ، وما مع ذلك ، وأن تكون القبة المعظمة

(١) الخطط التوفيقية ج ٢ ص ٢٤ .

المأمور بعملها إن شاء الله تعالى مناظرة في الحسن والإتقان لما سبق . كما رتبها
بنظره الشريف ليكون فيها ما خصه الله تعالى من تعظيمها بالمصحف العثماني
والآثار الشريفة النبوية وغير ذلك من مصاحف وربعات .

ويقول أحمد تيسور^(١) ما نصه « فيعلم من هذا أن الآثار الشريفة نقلت
من رباطها إلى هذه القبة في أيام الغورى أى في أوائل القرن العاشر (الهجرى)
غير أننا لم نقف فيما بأيدينا من النصوص على تعيين السنة التى نقلت فيها ،
ويغلب على الظن أنها مذكورة في المدة الضائعة من تاريخ ابن اياس المطبوع
بمصر ، وهى من سنة ٩٠٦ هـ إلى آخر سنة ٩٢١ هـ . »

وقد بقيت الآثار النبوية بقبة الغورى أكثر من ثلاثة قرون ، حتى كانت
سنة ١٢٧٥ هـ فرئى نقلها إلى المسجد الزينى ، فقد ذكر السيد محمود
البيلاوى^(٢) : « أقول وقد استمرت الآثار النبوية الشريفة بقبة الآثار الى سنة
١٢٧٥ هـ وبعد ذلك نقلت إلى مسجد السيدة زينب رضى الله عنها وبقيت به
قليلا كما أخبرنا بذلك ثقة الشيوخ الكبراء ، ثم نقلت بموكب حافل إلى
خزينة الأمتعة بالقلعة واستمرت بها إلى سنة ١٣٠٤ هـ ثم نقلت إلى ديوان
عموم الأوقاف ثم فى سنة ١٣٠٥ هـ نقلت إلى سراى عابدين العامرة واقتضت
إرادة سمو الخديوى السابق المعظم ساكن الجنان المرحوم توفيق باشا أن تنقل
إلى المسجد الحسينى فأعد لها (مكان) فخيم وهو دولا بجميل الصنع فى الحائط
الشرقى للمسجد من الجهة القبلىة ، فلما كمل أمر رحمه الله بعمل موكب
فخيم لها يمشى فيه عظماء الحكومة وكبراء الأمة لمناسبة انتقالها من سراى

(١) الآثار النبوية ص ٣٨ .

(٢) التاريخ الحسينى ص ٣٦ .

عابدين العامرة إلى المسجد الحسيني ، فكان ذلك وتم انتقالها منها إليه في يوم الخميس ، الخامس والعشرين من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٠٥ هـ . فكان موكباً لم يسبق له مثيل ولم تر الديار المصرية قبله أو بعده موكباً سنياً أو احتفالاً بهيجاً هائلاً دينياً مثله « وقد لخص السيد محمود الببلاوى في كتابه ما جاء عنه في الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) . وقد رأيت إتماماً للفائدة ولكي نعطي صورة متكاملة لذلك الموكب ، أن أنقل في وصف جلال هذا الموكب ، بعض فقرات عنه : لما علم الأهلون بتوجه الأفكار العلية إلى الاحتفال بنقلها في يوم الخميس الماضي هرع الناس من بيوتهم في صباح ذلك اليوم وازدحموا بجوانب الطرقات التي تمر منها الموكب وغصت البيوت والمساكن ونوافذها بالمنتظرين ، ثم توافد على السراى العامرة دولة الغازى مختار باشا وأصحاب الدولة حسين كامل باشا ومحمود باشا ومنصور باشا ونوبار باشا ورئيس مجلس النظار والنظار الكرام وقنصل دولة إيران وأفاضل العلماء والذوات والأعيان والتجار وموظفو الحكومة على الإطلاق . وقد كانت الآثار الشريفة في قاعة الاستقبال الكبيرة الخديوية على أسرة مكسوة بفاخر الديباج الأخضر وحواليها آلات البخور الثمينة ، ولما قرب الميعاد استدعى الجنب العالى إلى مجلسه الكريم أصحاب الفضيلة قاضى مصر ودفتيها وشيخ الجامع الأزهر والمشايخ الأخيار ، المهدي والبكرى والسادات وتلا بعض مشاهير القراء آيات من القرآن المجيد ثم تقدم الجنب العالى ورفع الخرقه الشريفة على يديه وكلف كلا من أصحاب الدولة مختار باشا وحسين باشا ومحمد ثابت باشا رئيس الديوان الخديوى ومحمد رؤوف باشا ناظر الأوقاف برفع بقية الآثار وسار أمامهم والباقون حوله إلى أن وصلوا إلى باب السلاميك الموصل إلى

ميدان عابدين وهناك تقدم السيد عبد الباقي البكرى واستلم من يده هذه الأمانة وانتظم مع الحاملين بقية الآثار الشريفة فأدى فوارس العساكر ورجالهم وموسيقاهم واجب التعظيم وأطلقت المدافع من القلعة إعلاناً بقيام الموكب المنيف . ثم سار الموكب وفي مقدمته أربعة فوارس وضابط يتلوهم كافة أرباب الأشاير الموجودة في العاصمة وبعدهم فريق من فوارس الجيش . وقد انتظم في هذا الموكب أكثر من ثلاثين ألف سمة وعدد المحتفلين والمتبركين في طريقه مائتا ألف أو يزيدون . وسار الموكب من سراى عابدين إلى شارع عبد العزيز فالتبة الخضراء فشارع محمد على فميدان باب الخلق ثم أخذ طريق تحت الربع فالسكرية فالعقادين فالغورية فالسكة الجديدة إلى أن وصل إلى المشهد الحسينى فأودعت الآثار الشريفة في حرزها المصون واستلم مفاتيحها ناظر الأوقاف وتليت آى القرآن الكريم ودارت الشربات على الحاضرين » .

ثم يضيف السيد محمود الببلاوى « فاستمرت الآثار الشريفة بالدولاب سالف الذكر حتى أمر الخديو بإنشاء قاعة الآثار الحالية فتمت على أحسن شكل وأتقن نظام في شهر ربيع الأول سنة ١٣١١ هـ وهى قاعة فخيمة فسيحة الأرجاء مفروشة بالأبسطة النفيسة وبها ثريات ومصابيح وقد كسيت جوانبها بالرخام المجزع وبها قبلة صغيرة لطيفة وسقف من أدق الأسقف صناعة وشبابيك من الجبس المحشو بالزجاج الملون . وقد وضع دولاب الآثار الشريفة في الجهة القبليّة من هذا المكان وهو فجوة كبيرة في الجدار مكلفة بالأنوار ، قوى ظهرها بقضبان من الحديد وقد كسيت حوائطه وأرضه وسقفه بالجوخ الأخضر . وبه لوح فخم من البلور لتوضع فوقه باقى الأمانات . والدولاب من الخشب الجوزى المطعم بالأبنوس والعاج وقد كتب أعلاه بأحرف من العاج

(إن الله يأمركم أن تأدوا الأمانات إلى أهلها) . ولهذه القاعة بابان واحد يؤدي إلى المسجد وهو محلى بالصفائح الفضية المنقوشة وآخر يؤدي إلى القبة الشريفة . وقد كتب بدائر القاعة الشريفة على الرخام ، البسملة وسورة ألم نشرح ، وبعد ذلك ما يأتى « ذكر ما هو محفوظ بهذه الخزانة المباركة من آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم وآثار خلفائه رضى الله عنهم أجمعين تشتمل هذه الخزانة من الآثار النبوية على قطعة من قميصه الشريف ومكحاه ومروود وقطعة من القضييب الشريف وشعرتين من اللحية الشريفة وبها أيضا مصحفان كريمان بالخط الكوفى ، أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه والآخر بخط سيدنا الإمام على كرم الله وجهه . ذكر ما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاته ثوبا حبره وازار عمانى وثوبان صحاريان وقميص صحارى وقميص سحولى وسراويل وجبة يمانية وخميصة وكساء أبيض وقلانس فذك وثلاث أرض وادى القرى وسهم من خمس أرض خيبر وحصته من أرض بنى نضير . أمر بإنشاء هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى مولانا المعظم عباس حلمى الثانى أدام الله أيامه . »

يستفاد مما تقدم ، أن بنى إبراهيم من أهل ينبع قد عنوا بحفظ هذه الآثار الشريفة ، وتوارثها خلفهم عن سلفهم ولاحتفهم عن سابقهم ، واستمرت لديهم وفى عقبهم حتى اشتراها منهم الوزير المصرى صاحب تاج الدين ابن حنا ، وكان ذلك فى القرن السابع الهجرى فى عهد السلطان الظاهر بيبرس ، وقد بنى لها الصاحب تاج الدين رباطا على شاطئ النيل بمصر القديمة ، عرف (برباط الآثار) أو (أثر النى) ، وأوقف عليه الأوقاف ، وعين له الشيوخ ،

للحفاظ على هذا التراث الكريم وصيانة الرباط . وظل الرباط تتناوله يد الإصلاح والترميم ، جيلا بعد جيل حتى تصدع ، وخشى على المخطفات النبوية من السراق . فبنى لها السلطان قنصوه الغورى فى أوائل القرن العاشر الهجرى . قبة عظيمة تجاه مدرسته بشارع الغورية ، وظلت المخطفات محفوظة بقبة الغورى أكثر من ثلاثة قرون ، حتى نقلت منها إلى مسجد السيدة زينب رضوان الله عليها سنة ١٢٧٥ . ثم نقلت بعد ذلك إلى خزانة الأمتعة بالقلعة ، وبعد فترة قصيرة نقلت منها إلى ديوان الأوقاف ، ثم إلى سراى عابدين سنة ١٣٠٥ هـ ، وفى السنة ذاتها نقلت فى مركب عظيم إلى مشهد الحسين رضوان الله عليه ، بعد أن أعد لها بأمر الخديو توفيق ، دولا فى الركن الجنوبى من الحائط الشرقى للمسجد . وفى سنة ١٣١١ هـ أمر الخديو عباس حلمى الثانى ، بإنشاء قاعة خاصة لمخطفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وتقع هذه القاعة وراء الحائط الشرقى للمسجد الحسينى والحائط الجنوبى للقبة ، وهى باقية فيها إلى اليوم تقصد بالزيارة فى أيام معلومة .

أما عن بيان هذه الآثار ، فقد اختلفت الروايات فى عددها وأعيانها ، ولعل ذلك يرجع إلى أن المؤرخين لم يعنوا برؤيتها ، فاعتمد معظمهم على النقل من المراجع السابقة أو على السماع ، وقليل منهم من تحفظ فاختتم عبارته بقوله (وغير ذلك) . ومهما يكن من أمر هذه الروايات ، فإنى سوف لا أعتمد إلا على المخطفات الموجودة فعلا ، والمحمولة بمسجد سيدنا الحسين ، وهى كما جاء فى التاريخ الحسينى ، ثمان درر يتيمة الأولى والثانية شعرتان من اللحية النبوية الشريفة

وهما محفوظتان في زجاجة والثالث والرابعة المكحلة وهي أشبه بالمعلقة الفضية الصغيرة والمرود الشريف والخامسة قطعة من القضييب الشريف ، والسادسة قطعة من القميص النبوي الشريف . والدرة السابعة مصحف شريف بخط الإمام عليّ كرم الله وجهه والدرة الثامنة مصحف جليل بخط ذى النورين عثمان بن عفّان رضي الله عنه .

وسأتناول فيما يلي كلا منها بالدراسة والتحليل والله ولى التوفيق .

مخلفات الرسول

ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأموال الثابت والمنقول وإن لم يورث ، فمن الثابت أرض فدك وخيبر ، وقد ورد أن السيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول ، طلبت إلى أبي بكر بعد أن بويع بالخلافة ما ترك أبوها ، وقالت « مالى لا أرث أبى » فأجابها أبو بكر ، بأنه عليه الصلاة والسلام قال « نحن الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » . وقد عمل أبو بكر بهذا الحديث ، وجعل هذه الأرض وغيرها لبیت مال المسلمين . وأما المنقول فليس من شك أن الرسول ترك من الثياب والأدوات وأمتعة البيت ، ما كان يلبس أو يستعمل في حياته اليومية ، وإن كان عددا قليلا ، وكذلك مما كان يستعمله في شئون الدولة ، بعد أن استقر له الأمر في المدينة . وواضح من الحديث المتقدم أنه لم يرث الرسول الكريم ، أحد من أمهات المسلمين ولا من غيرهن فيما ترك ، وأن ما تركه من مخلفات وزع صدقات على من يستحقها من المسلمين .

وعلى كثرة ما كتب في السيرة العطرة ، فإن مرجعا لم يذكر لنا من هم أولئك الذين تصدق عليهم أبو بكر ، أو تصدقت عليهم أمهات المسلمين ، بمخلفات النبي الكريم ، لنتتبع أخبارهم ومعرفة مصير ما آل إليهم من تلك المخلفات . ولعل السبب في ذلك يرجع كما قيل - إلى أن سيرة الرسول نفسها لم تدون إلا بعد زمن طويل من وفاته ، فلم يكن عجبا أن لا يتناول الأولون ممن دونوا هذه السيرة ، ما خلف رسول الله من منقولات ، لأن حياته الحافلة ورسالاته العظيمة وغزواته ، وما إلى ذلك من جلائل الأعمال ، شغلهم عما سواها ، واستغرق كل بحوثهم ومدوناتهم فلم يقفوا عند المخلفات النبوية ، ولم يذكروا

من ذهب إلى من آلت . فلما جاء المؤرخون المتأخرون بدأوا يكتبون عن هذه الآثار في مصنفاتهم ما وقفوا عليه من أنبائها .

لذلك أصبح من العسير معرفة تاريخ المخطافات الموجودة بمسجد الحسين قبل القرن السابع الهجرى ، أى قبل مجيئها إلى مصر ، بعد أن اشتراها الوزير ناج الدين محمد بن الصاحب أحد أفراد بنى حنا ، من بنى إبراهيم بمدينة ينبع ، كما أننا لم نعثر على ترجمة لأى شخص من أفراد بنى إبراهيم ، لهذا لم نربدا من معالجة هذه المخطافات من الناحية التطبيقية الفنية ، وتحليلها تحليلًا كيميائيًا بالإضافة إلى ما جاء عنها في المراجع التاريخية حتى نستطيع أن ندلى فيها برأى .

والمخطافات الموجودة بمسجد الحسين الآن هى : ثلاث قطع من النسيج ، وقطعة من القضييب وهى التى عبر عنها الجبرتى بقطعة عصا ، والمكحلة والميل (المروء) وقد ضم إليها بعض الشعر من الرأس ومن اللحية النبوية الشريفة ، وقد حُفظت جميعها فى أربعة صناديق من الفضة ، ملفوفة فى قطع من الحرير الأطلس الأخضر الموشى بخيوط من الذهب والفضة : وسأتناول كلا منها على حدة بالدراسة والتحليل .

* * *

القَمِيصُ

للكلام على قطعة القميص الموجودة بمسجد الحسين ، والتي يقال إنها من مخلفات الرسول (ﷺ) ، رأيت أن أحصر كل ماورد في المراجع التاريخية وكتب السيرة عن لباس النبي ، حتى نستطيع أن نعرف كنه القطع التي بين أيدينا .

ذكر ابن سيد الناس^(١) عن ابن فارس قال « ترك رسول الله (ﷺ) يوم مات ثوبي حبرة وإزارا عمانيا وثوبين صحاريين و قميصا صحاريا وآخر سحوليا وجبة يمانية وكساء أبيض وقلانس صغار لاطئة ثلاثا أو أربعا . وإزار طواه خمسة أشبار وخميصه وملحفه مورسة » ثم أضاف ابن سيد الناس « ورداء مربع طواه أربعة أذرع وإنما اختلف في عرضه فقيل ذراع وشبر وقيل ذراعان وشبر » .

أما عن كفن رسول الله (ﷺ) فقد جاء في عيون الاثر^(٢) « وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة » ثم يعود فيذكر الرواية الآتية عن غسل النبي (ﷺ) فيقول « وكانوا قد اختلفوا في غسله فقالوا ما ندرى أنجرد رسول الله من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه . فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم وكلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو : اغسلوا النبي (ﷺ) وعليه ثيابه . فقاموا إلى رسول الله (ﷺ) وغسلوه وعليه قميصه يصبون عليه الماء فوق القميص ويدلكون القميص دون أيديهم » .

وذكر الملواني^(٣) في مخطوطه عند الكلام عن أثواب الرسول صلوات الله عليه

(١) ابن سيد الناس ج ٢ ص ٣١٩ .

(٢) عيون الأثر ج ٢ ص ٣٣٩ .

(٣) الملواني : تحفة الاحباب ص ٢٢ مخطوط دار الكتب المصرية مصور عن سواهج (تاريخ رقم ٥٦٢٣)

وأثائه ما يلي : « ترك صلى الله عليه وسلم يوم مات ثوبى حبره وإزارا عمانيا وثوبين صحاريين وقميصا صحاريا وآخر سحوليا وجبه يمينيه وخميصه وكسا أبيض وقلانس صغار لاطية ثلاثة أو أربعة وملحفة ومقراض وسواك . وكان له فراش من آدم حشود ليف وقدح مضرب بفضة في ثلاث مواضع وقدح آخر وتور من حجارة ومخضب من شب يعمل فيه الحنة والكتم ويوضع على رأسه إذا وجد فيه حرار . وقدح من زجاج ومغتسل من صفر وقصعة وصاع يخرج به زكاة الفطر ومد وسرير وقطيفة وخاتم من فضة نقشه محمد رسول الله وقيل إنه كان من حديد ملوى بفضة . وأهدى له النجاشي خفين سارجين فلبسهما ، وكان له كسا أسود وعمامة يقال لها السحاب فوهبها علياً فربما قال إذا رآه مقبلا وهي عليه أتاكم على في السحاب . وكان له ثوبان للجمعة غير ثيابه التي يلبسها في سائر الأيام ومنديل يمسح به وجهه من الوضوء . »

وقد جاء في كتب السيرة والمراجع التاريخية ذكر بعض لباس الرسول في ثنابا الحديث عن أهله وخلفائه من الأمويين ، فقد ذكر أنس ابن مالك^(١) « ولما صار من أمر عثمان ما صار كانت عائشة تُخرج قميص رسول الله (ﷺ) وشعره وتقول « هذا قميصه وشعره لم يبليا وقد بلى دينه » وقال ابن أبي الدنيا^(٢) : حدثني هارون بن سفيان عن عبد الله السهمي حدثني ثمامة ابن كلثوم أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس ، إن من زرع قد حصد ، وإنى قد وليتكم ولن يليكم أحد بعدى خير منى ، وإنما يليكم من هو شر منى كما أن من وليكم قبلى خير منى . ويا يزيد إذا دنا أجلى فول غسل رجلا لبيبا ، فإن اللبيب من الله بمكان ، فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ، ثم

(١) القرمانى ص ٨٦ .

(٢) البداية والنهاية ج ٢ ص ١٤١ .

اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله (ﷺ) وقراضه من شعره وأظفاره فاستودع القراضة أنى و وأذن وعينى ، وأجعل الثوب مما يلي جلدى دون لفافى » .

أما عن بردة الرسول ومن آلت إليه فيذكر السلفى^(١) « لما كان زمن معاوية رضي الله عنه كتب إلى كعب يقول : بعنا بردة رسول الله (ﷺ) بعشرة آلاف درهم فأبى عليه ، فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألف درهم وأخذ منهم البردة التي هي عند خلفاء آل العباس ، وهكذا قاله خلائق آخرون » . أما الذهبي فقد ذكر في تاريخه : أما البردة التي عند خلفاء آل العباس فقد قال يونس بن بكير عن ابن أسحق في غزوة تبوك « إن النبي (ﷺ) أعطى أهل إيلاه بردة مع كتابه الذي كتب فيه أمانا لهم ، فاشتراها أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار » . وقال الإمام أحمد بن حنبل عن عروة ابن الزبير رضي الله عنه « إن ثوب رسول الله (ﷺ) الذي يخرج فيه للوفد رداء خضرمى طواه أربعة وعرضه ذراعا وشبر ، فهو عند الخلفاء وقد خلق وطوه بثياب تلبس يوم الاضحى والفطر » .

ويقول ابن لهيعة « وكانت هذه البردة عند الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها على أكتافهم في المواكب جلوسا وركوبا ، وكانت على المقتدر (الخليفة العباسى) حين قتل وتلوثت بالدم وأظن أنها فقدت في فتنة التتار فإننا إلى الله وإنا إليه راجعون » ويختتم كثير من المؤرخين قصة بردة العباسيين بهذه الرواية^(٢) « وكانت بردة كعب بن زهير لم تزل عند الخلفاء يتوارثونها

(١) السيوطى ص ٨ .

(٢) القرماني ص ٨٦ ، السيوطى ص ٨ ، عيون الأثر ج ٢ ص ٢٧٥ ، أبو الفدا ج ١ ص ١٥٣ وغيرهم

ويطرحونها على أكتافهم في المواكب والأعياد جلوسا وركوبا وكانت على المستعصم لما خرج للملاقاة هولاكو كبير التتار ، وقضيب النبي (ﷺ) بيده فآخذهما منه هولاكو وأحرقهما في طبق وألقى رمادهما في دجلة وقال « إني ما جرقتهما استهانة بهما أنما حرقتهما تطهيرا لهما » .

من هذه المقتطفات التي أوردناها ، نرى أن بعض ملابس الرسول بقيت عند اهله وخلفائه ، حتى منتصف القرن السابع الهجري سنة ٦٥٦ هـ ، التي قضى فيها التتار على الدولة العباسية . وقياسا على ذلك ، فليس من المستبعد أن يكون لدى بني إبراهيم بمدينة ينبع ، بعض لباس الرسول التي اشتراها منهم الوزير تاج الدين بن الصاحب ، وجاء بها إلى مصر في القرن السابع الهجري .

بعد هذا رأيت أن أجمع بقدر الإمكان كل ما قيل عن أنواع اللباس التي تركها الرسول عند وفاته ، كل منها على حدة للرجوع إليها عند دراسة ما وجد منها في المخطفات .

فبالنسبة للخميصة ، جاء في صحيح البخاري عن عبد الله ابن العباس : لما نزل برسول الله (ﷺ) طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال « وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . وعن السيدة عائشة قالت : صلى رسول الله (ﷺ) في خميصة له لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما سلم ، قال « اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم فإنها الهنتى آتفا عن صلاتي » .

وعن أم سلمة بنت خالد ، قالت : أتى النبي (ﷺ) بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال « من ترون أن تكسو هذه » فسكت القوم فقال « ايتوني بأمر خالد » فأتي بها تحتل ، فأخذ الخميصة بيده فالبسها وقال « أبلى واخلى » وكان فيها علم أخضر أو أصفر .

فإذا بحثنا في معاجم اللغة لنقف على وصف الخميصة ، نجد أن
المخصص^(١) يذكر عن ابن سيده عن أبي عبد الله فيقول الخميصة كساء أسود
له علمان . وجاء في الإفصاح^(٢) العلم . هو رسم الثوب ورقمه .

وعن الإزار جاء في صحيح البخاري (في باب البرانس) من لا يجد إزارا
فليلبس سراويل . وجاء في النويري^(٣) « فأعطاني هذا الإزار وقال قد
أحرمت فيه عشرين حجة » وجاء في صحيح البخاري ، أن النبي قال « إنها
ستفتح عليكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها
الرجال إلا بالإزار » . وفي وصف الإزار يقول دوزي^(٤) (Dozy) لعل
المقصود هنا بالإزار هو الثوب الذي يقوم مقام السراويل . وقال صاحب
العين^(٥) ، الإزار ما يلتحف به .

أما عن الجبة، فيذكر البخاري في صحيحه في باب (من لبس جبة ضيقة
الكمين في السفر) عن السيدة عائشة « انطلق النبي (ﷺ) لحاجته ثم أقبل
فتلقيته بماء فتوضأ وغسل في جبة شامية فمضمض واستنشق وغسل وجهه
فذهب يخرج يديه من كميته فكانا ضيقين فأخرج يديه من تحت الجبة .
فغسلهما ومسح يديه برأسه وعلى خفيه » . وجاء في باب (لبس جبة الصوف
في الغزو) عن أنس قال « كنت مع النبي (ﷺ) في سفر فقال (أملك
ماء » فقلت « نعم » فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل

(١) المخصص ج ٤ ص ٧٩ .

(٢) الإفصاح ص ١٦٥ .

(٣) تاريخ مصر ص ٥٢ .

(٤) قاموس الملابس عند العرب ص ٣٧ . (Dozy)

(٥) المخصص ج ٤ ص ٧٧ .

ثم جاء فأفرغت عليه الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف ، فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه ثم أهويت لأنزع خفيه فقال « دعهما فإنى ادخلتهما طاهرتين » فمسح عليهما . « وجاء في مجامع الأنهر^(١) ، أنه روى عن النبي (ﷺ) أنه لبس جبة مكفوفة بالحرير . ويفسر دوزى^(٢) (Dozy) كلمة مكفوفة فيقول أى أن بطرفيها شريطين من الحرير .

وبالنسبة للحبرة يقول البخارى فى باب (البرود والحبر والشمايل) عن أنس الذى روى بدوره عن قتادة قال « قلت له أى الثياب كان أحب إلى النبي (ﷺ) قال : الحبرة . وعن السيدة عائشة قالت « إن رسول الله (ﷺ) حين توفى سجد ببرد حبرة » وجاء فى عيون الأطهار^(٣) ، أن النبي (ﷺ) ترك عند وفاته ثوبى حبرة . وفى وصف الحبرة جاء فى المخصص^(٤) عن ابن سكين قال : ثوب حبر ، أى ثوب موشى ، هو من التحبير وهو التزين ، وثوب محبر . وجاء فى الإفصاح^(٥) الحبرة بالفتح أو الكسر ، ضرب من برود اليمن . وجاء فى القاموس المحيط ، أن قماش الحبرة لا يصنع إلا باليمن .

(١) مجامع الأنهر ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٢) قاموس الملابس عند العرب ص ١٠٩ . (Dozy)

(٣) عيون الأطهار ج ٤ ص ١٨٨ .

(٤) المخصص ج ٤ ص ٦٧ .

(٥) الإفصاح ص ٧٣ .

وعن الملحفة قال صاحب العين ، وكذا الإفصاح^(١) ، الملحفة الملاعة ،
واللحاف الذى فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه . وقد سبق أن ذكرنا
أن الرسول صلوات الله عليه ترك فيما ترك « ملحفة موره » وجاء في الإفصاح
في تفسير كلمة موره : الورس هو أصفر خالص الصفرة ، ورس ثوبه صبغه
بالورس وهو موره .

أما عن الرداء فيقول صاحب العين^(٢) وكذا الإفصاح : الرداء من الملاحف
والرداء هو المعطف . كذلك ترك الرسول (ﷺ) فيما ترك قلانس صغارا
لاطئة ، والقلانس كما جاء في الإفصاح^(٣) جمع قلنسوة تلبس في الرأس .
وعن القلنسوة ذكر ابن بطوطة^(٤) في رحلته إلى الدولة البيزنطية يصف
جماعة من الراهبات فيقول : دخلت مع الرومى الذى عينه الملك للركوب معى
إلى مانستار يشقه نهر وفيه كنيسة فيها نحو خمسمائة بكر عليهن المسوح
ورؤوسهن مخلوقة عليها قلانس اللبد ولهن جمال فائن وعليهن أثر العبادة ..
ويذكر في مجال آخر عند كلامه عن الملك المراهب جرجس قال « فإذا هذا
الملك ماشيا على قدميه وعليه المسوح وعلى رأسه قلنسوة لبد » . وعند كلامه
عن المرأة^(٥) يقول « وربما كان مع المرأة منهن زوجها فيظنه من يراد بعض
خدامها ولا يكون عليه من الثياب إلا فروة من جلود الغنم وفى رأسه قلنسوة

(١) المخصص ج ٤ ص ٧٦ ، الإفصاح ص ١٥٩ .

(٢) المخصص ج ٤ ص ٧٧ ، الإفصاح ص ١٥٩ .

(٣) الإفصاح ص ١٦٧ .

(٤) رحلة ابن بطوطة ص ١٥٢ .

(٥) المرجع السابق ص ١٤١ .

تناسب ذلك يسمونها الكلا . وفي موضع آخر يتكلم عن الفتيان^(١) فيقول
على رأسهم قلانس بيض من الصوف بأعلا كل قلنسوة قطعة موصولة بها في
طول ذراع وعرض أصبعين فإذا استقر بهم المجلس نزع كل واحد قلنسوته
ووضعها بين يديه وتبقى على رأسه قلنسوة أخرى من الزردخاني ومسواة
حسنة المنظر .

نخرج من مجموع الروايات السابقة بأن القلنسوة تطلق على أغطية
الرأس المتعددة الأشكال والخامات ، للرجال المدينين والدينين على السواء
وكذا النساء والفتيان .

ومن أنواع اللباس التي تركها النبي (ﷺ) القميص ، فقد جاء في كتب
السيرة ، أنه ترك عند وفاته قميصا صحاريا وآخر سحوليا . والقميص كما قيل
هو الجلباب وهو الملاعة ، أما كلمة سحول^(٢) فقد قال أبو عبيد : السَّحْلُ
الثوب من القطن ، وقال السَّحْلُ ثياب بيض واحدها سحل . وقال صاحب
العين : السَّحْلُ ثوب لا يبرم غزاه طاقتين طاقتين . ويقول ابن سيده السَّحْلُ
ضرب من برود اليمن وهي السحولية ، وسحول موضع هناك . وجاء في عيون
الاطهار^(٣) : أما السحولى فهو نسيج من القطن الأبيض المصنوع بقرية سحول .
وجاء في مراصد الاطلاع^(٤) : سحول قرية من اليمن يحمل منها ثياب قطن
بيض تسمى السحولية .

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) المحمص ج ٤ ص ٧١ ، ٧٣ ، الإفصاح ص ١٦١ :

(٣) عيون الاطهار ج ٤ ص ١٨٨ .

(٤) مراصد الاطلاع ص ٢٩٥ .

أما عن الصحارى فقد جاء في عيون الأطهار ، أنه من الجائز أن يكون هذا القيص الصحارى من صنع مدينة زهار .

وبعد ذلك قمت بدراسة ما جاء في المراجع التاريخية خاصا بوصف أنواع اللباس التي تركها النبي (ﷺ) سواء من ناحية الشكل أو المادة الخام أو مكان الصناعة لعل أستطيع أن أسمى قطع النسيج الموجودة بمسجد الحسين ، والتي أطلق عليها الجبرتي كلمة (قميص الرسول) .

وسأتناول وصف قطع النسيج المذكوره وعددها ، فهي ثلاث قطع كبيرة ، تمتاز كلها بأنها بيضاء اللون وخالية تماما من الزخارف الملونة ، وكذا الزخارف النسجية ، إذ أنها جميعا منسوجة على أنوال يدوية بسيطة . ونلاحظ في قطعة منها آثار الخياطة ، والقطعتان الآخريان خلو منها . أما من حيث المواد الخام^(١) ، فهناك قطعتان من القطن ، قد تكونا أجزاء من ثوب سحولى ، وأما القطعة الثالثة وهى كبيرة الحجم فمن الكتان غير المبيض ، ليس من المستبعد أن تكون جزءا من الكساء الأبيض أو من الرداء المربع ، وإن كنت أرجح أن تكون من النسيج المصرى المعروف بالقباطى ، الذى تردد ذكره فى كثير من المراجع التاريخية ، وعرفه العرب قبل الإسلام ، إذ كتبوا عليه معلقاتهم ، وبعد الإسلام . فقد جاء فى المقرئى^(٢) ، أن المقوقس أهدى إلى رسول الله (ﷺ) فيما أهدى قباء وعشرين ثوبا قبطيا « وذكر الفاكهى فى أخبار مكة » رأيت كسوة - يعنى كسوة الكعبة - من قباطى مصر مكتوب عليها اسم الخليفة العباسى المهدي ، ومؤرخة سنة تسع وخمسين ومائة ، ومكان صناعتها

(١) لقد حلت الخيوط فى العمل الكمائى لمصلحة الآثار .

(٢) المقرئى ج ١ ص ٤٦ .

تنيس» . ويذكر البلاذري^(١) في رواية له عن عبد الله بن عمرو بن العاصي في صدد فرض الجزية على أهل مصر عند فتحها ، والزم جميع أهل مصر لكل رجل منهم (أى للمسلمين) جبة صوف وبرنسا أو عمامة وسراويل وخفين في كل عام أو عدل الجبة الصوف ثوبا قبطيا .

من هذا أستطيع أن أرجح أن قطعتي القطن قد تكونا من ثوب أو قميص سحولى ، أما القطعة الثالثة فليس ببعيد أن تكون جزءا من قميص من القباطى (انظر لوحة رقم ٨) .

القضيب

ومن المخلقات النبوية المحفوظة بمسجد الحسين ، القضيب ، وقد ورد ذكره في كثير من المراجع فيما خلف الرسول (ﷺ) من الأدوات المنقولة ، فقد جاء في عيون^(١) الأثر ، في باب الكلام على سلاح الرسول « وكان له من القسي خمس : الروحاء والصفراء من نبع والبيضاء من شوحط . أصابهما من بني قنيقاع ، والزوراء والكتوم لانخفاض صوتها إذا رمى عنها .

ويقول القرمانى^(٢) : وكان له (للرسول) مخرصة تسمى العرجون وقضيب يسمى الممشوق من شوحط .

ويذكر أبو الفداء^(٣) في تاريخه عند الكلام على سلاح الرسول فيقول : « وكان لرسول الله (ﷺ) من السلاح سيفه المسمى ذا الفقار غنمه يوم بدر وكان لمنبه بن الحجاج السهمي وقيل لغيره وسمى ذا الفقار لحفر فيه . وغنم من بني قنيقاع ثلاثة أسياف ، وقدم معه إلى المدينة لما هاجر سيفان شهد بأحدهما بدرا وكان له ثلاثة أرماع وثلاثة قسي ودرعان غنمها من بني قنيقاع وكان له ترس فيه تمثال فأصبح وقد أذهب الله . »

ويقول ابن سيد الناس عند الكلام على معجزات الرسول . ودخل مكة عام الفتح والأصنام معلقة وبيده قضيب فجعل يشير به إليها ويقول : جاء الحق وزهق الباطل وهى تتساقط . »

(١) ابن سيد الناس ج ٢ ص ٣١٨ .

(٢) القرمانى ص ٨٩ .

(٣) أبو الفداء ج ١ ص ١٥٨

مما تقدم يتضح لنا أن النبي صلوات الله وسلامه عليه ، كان عنده مجموعة من القسي وان اختلف المؤرخون في بيان عددها ، فالبعض يقول ثلاثة والبعض الآخر يقول خمسة ، ومهما يكن من أمر عددها ، فالذي يعنينا هنا ، هو أن الرسول (ﷺ) كان عنده أكثر من عصا أو قضيب ، ذلك لأن معظم المراجع التاريخية تؤكد أن (هولاكو) عند استيلائه على الدولة العباسية ، أحرق البردة والقضيب - وهما كما هو معروف من شارات الخلافة العباسية - وذر رمادهما في نهر دجلة . فليس من المستبعد إذن بل قد يكون من المرجح أن باقى القسي كانت محفوظة عند المسلمين يتوارثونها تيمنا وبركة .

وإذا بحثنا عن وصف تلك القسي وأنواعها من الخشب ، فلا نكاد نستدل إلا على نوعين لاثنين منها ، فقد ورد أن من بين القسي التي تركها الرسول (ﷺ) الصفراء من النبع ، والنبع كما ورد في كتب المعاجم^(١) شجر له جنى أحمر مدحرج كالحبة الخضراء يسمى الفتح . ويضيف المخصص^(٢) ، وهو صلب جدا ، وفروعه صفراء اللون ، وتتخذ منه القسي .

كذلك ذكرت البيضا من الشوخط ، والشوخط^(٣) نباته نوع من نبات الأرز ويمتاز بأن قصبانه تسمو كثيرا من أصل واحد وورقه رقاق طوال مثل ورق الطرخون ، وله ثمرة مثل العنبة الطويلة إلا أن طرفها أدق ، وهى لبنة تؤكل وهو من عتق العيدان التي تتخذ منها القسي .

(١) الإفصاح ص ٦٢٣ .

(٢) المخصص ج ١١ ص ١٤٠ .

(٣) الإفصاح ص ٦٢٣ والمخصص ج ١١ ص ١٤٠ .

أما الثلاثة الباقية من القسي فلم يذكر عنها غير أوصاف لا تعين على معرفة ، أو تسمية نوع خشبها ، فهناك الروحاء ، والزوراء ، والكتوم لانخفاض صوتها .

أما القضيبي الموجود بمسجد الحسين بالقاهرة ، فقد تبين لي بعد فحصه^(١) أنه من خشب الشوحط ، وهو نوع من خشب الأرز الذي كان ينمو على جبال بلاد الشام في أوائل العصر الإسلامي . والقطعة الباقية من القضيبي يبدو عليها القدم الشديد ، وكان من الممكن تحديد عمر الخشب عن طريق التحليل ، لولا أن القضيبي كان قد غطي بطبقة من الراتنج^(٢) ، وذلك بطبيعة الحال لوقيته من التلف أو التآكل والتسويس ، وخاصة بعد أن ذهب الكثير منه . أما الغلاف المعدني (لوحة رقم ٩) الذي يغلف معظم القضيبي ، فقد تبين بعد التحليل أنه من الفضة الجيدة . وعلى ذلك فليس من المستبعد أن يكون هذا الجزء الباقي من القضيبي لأحد من تلك القسي التي تركها الرسول (ﷺ) وقد يكون من العصا التي وصفت بالبيضاء من الشوحط .

(١) لقد قام بفحصه والكشف عن نوع خشبه المعمل الكيمائي التابع لمصلحة الآثار .

(٢) قد تكون هذه الطبقة من الجام لك أو القلفونية .

المكحلة

وأما المكحلة فقد ورد ذكرها كذلك فيما خلف الرسول (ﷺ) من أدوات الزينة ، فعن^(١) يزيد بن هارون عن ابن العباس « أن النبي (ﷺ) كانت له مكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا في كل عين » . ويقول ابن سيد^(٢) الناس « وكان له قدح يسمى الريان وآخر مضرب بقدر أكثر من نصف المدفية وثلاثة ضباب من فضة وحلقة كانت للسفر . وثالث من زجاج ومغسل صفر (أى من نحاس) وربعة اسكندرانية من هدية المقوقس^(٣) يجعل فيها مشطا من عاج ومكحلة ومقراطا وسواكا ومرآة » . كذلك ورد ذكر المكحلة والمرود أو الميل في كثير من المراجع التاريخية على أنهما من مخلفات الرسول (ﷺ) الموجودة بالقاهرة في مواضع متعددة ، فقد ذكر المقرئى^(٤) عن عبارة نقلها عن ابن المتوج عند كلامه عن رباط الآثار ، إذ يقول « وهو مسجد الآثار الشريفة اشتراها الصاحب تاج الدين من الشريف (مسافة متروكة^(٥) بيضاء) بمبلغ مائتين وخمسين ألف درهم وجعلها في خزانة في هذا الرباط وهي قطعة من العنزة^(٦) ، وقطعة من القصعة ومرود وملقط ومخصف .. » .

(١) الشئائل المحمدية للقرمذى ص ٤٧ .

(٢) عيون الأثر ج ٢ ص ٣١٩ .

(٣) المقرئى ج ١ ص ٤٦ .

(٤) المراجع السابق ج ٢ ص ٤٢٩ .

(٥) يعلق أحمد تيمور على ترك المسافة البيضاء فيقول : البياض في النسخة بمقدار كلمتين ولأرب أن الساقط أحد بنى إبراهيم الذى اشترى منه الصاحب هذه الآثار .

(٦) العنزة مفتحتين هي الحربة القصيرة .

ويضيف ابن كثير^(١) « وبلغني أن بالديار المصرية مزاراً فيه أشياء كثيرة من آثار النبي (ﷺ) اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين ، فمن ذلك مكحلة وميل ومشط وغير ذلك والله أعلم » .

ويقول القلقشندي^(٢) عند كلامه عن الربط والخوانق « أما الخوانق والربط فلم تعهد بالفسطاط ، غير أن الصاحب بهاء الدين بن حنا عمر رباط الآثار الشريفة النبوية بظاهر قبلي الفسطاط واشترى الآثار الشريفة ، وهي ميل من نحاس ، وملقط من حديد وقطعة من العنزة وقطعة من القصعة بجملة مال واثبتها بالاستفاضة وجعلها بهذا الرباط للزيارة » .

وذكر البرهان^(٣) الحلبي عند كلامه على رباط الآثار « وفيه خزانة من خشب وعليها عدة ستور الواحد فوق الآخر وداخل الخزانة علبة صغيرة من جوز فيها من الآثار الشريفة قطعة من قصعة وقطعة من العنزة وميل من نحاس أصفر ومخصف صغير وملقط لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها » .

ووصف ابن بطوطة^(٤) في رحلته إلى مصر رباط الآثار فقال « هو رباط عظيم بناه على مفاخر عظيمة وآثار كريمة أودعها فيه ، هي قطعة من قصعة رسول الله (ﷺ) والميل الذي كان يكتحل به ، والدرفش وهو الأشفى الذي كان يخصف به نعله » .

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٦ .

(٢) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٤٧ .

(٣) نور النبراس ج ٢ ص ٦٤٧ .

(٤) ابن بطوطة ج ١ ص ٢٥ .

وإذا بحثنا في كتب السيرة عن اكتحال الرسول (ﷺ) بالكحل وجدنا في صحيح البخارى والقرمانى^(١) ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ما نصه : « وكان صلى الله عليه وسلم يكتحل قبل أن ينام ثلاثا في كل عين ، قال « إن خير كحالكُم الإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر » . والإثمد كما جاء في معاجم^(٢) اللغة : الإثمد حجر الكحل أو حجر يكتحل به . ، ويضيف ابن سيده^(٣) ، وهو شئ يشبه الكحل وليس به » .

ويؤخذ من الأقوال السابقة أن الإثمد الذى كان يكتحل به رسول الله (ﷺ) لم يكن للزينة كما قد يتبادر إلى الذهن بل هو من قبيل الدواء للمحافظة على سلامة العين ، ولذلك فقد كان صلوات الله وسلامه عليه يستعمله عند النوم . ويؤيد هذا ما جاء في المخصص في شرح الإثمد إذ يقول : اللأصف وهو اسم للإثمد يكحل به في بعض اللغات ، والإثمد هو الحلو وهو حجر بعينه يستشفى به من الرمى » .

واستعمال الإثمد كان يتطلب بطبيعة الحال ، مكحلة يوضع بها مسحوق الإثمد ومروود أو ميل (وهو المكحل أو المكحال) للاكتحال به » .

والمكحلة (لوحة رقم ١٠) المحفوظة مع التراث الشريف ، تبين لنا بعد تحليل^(٤) معدنها أن الجزء المقعر الذى يشبه الملعقة من النحاس الأصفر ، وإن

(١) القرمانى ص ٨٦ .

(٢) الافصاح ص ١٥٦ .

(٣) المخصص ج ٤ ص ٥٨ .

(٤) حلل بالمعمل الكيميائى التابع لمصلحة الآثار .

كان لونها الآن قد أصبح يميل إلى السواد وذلك من أثر القدم ، أما باقى اليد فقد كسيت بغلاف من الفضة من المرجح أن تكون قد أضيفت فيما بعد أما المروء أو الميل فإنه من الحديد وقد غلف جزء من نهايته الغليظة بغلاف من الفضة ، وليس من المستبعد أن يكون قد أضيف مع غلاف المكحلة كذلك .

وبما أن المراجع التى تعرضت لوصف المكحلة والمروء ، ذكرت أنهما من النحاس أو النحاس الأحمر كما ورد فى بعضها ، وقال البعض الآخر أنهما من الحديد ، وقد تبين من التحليل أن المكحلة والمروء صنعتا من هاتين المادتين فليس من المستبعد أن تكون المكحلة والمروء من مخلفات الرسول .

الشعر

ومن بين المخلفات النبوية بضع شعرات تنسب إلى رسول الله (ﷺ) ولكي نتحقق من صحة نسبتها إليه ، لا بد لنا من الرجوع إلى ما ورد في كتب الحديث وكتب السيرة عن شعره (ﷺ) . وقد تناولته هذه المراجع في بيان مستفيض ، فتكلمت عن صفته ولونه وسدله وفرقه ، وعن ترجيله ودهانه وعن شبيهه وخضابه ، وعن حلقه وتقصيره . على أنه يكفي في بحث هذا الموضوع أن نأخذ مما ورد في كل منها ما تتطلبه الدراسة ويقتضيه البحث .

فقد ورد في صحيح^(١) مسلم عن قتادة قال « قلت لأنس بن مالك كيف كان شعر رسول الله (ﷺ) ، قال كان شعراً رجلاً^(٢) ليس بالجعد^(٣) ولا السبط^(٤) بين أذنيه وعاتقه . وعن قتادة في رواية أخرى للترمذي^(٥) ، قال : قلت لأنس كيف كان شعر رسول الله (ﷺ) قال لم يكن بالجعد ولا بالسبط ، كان يبلغ شعره شحمة أذنيه » .

وعن أبي اسحاق قال سمعت البراء^(٦) يقول : كان رسول الله (ﷺ) رجلاً مربوعاً بعيد ما بين المنكبين عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه عليه حلة

(١) شرح مسلم للنووي على هامش القسطلاني ج ١١ ص ١٢٢ .

(٢) شعر رجل بفتح الراء وكسر الجيم وهو الذي بين الجعودة والسبوطه .

(٣) جعد الشعر يجعد جعودا كان فيه التواء وتقبض .

(٤) وشعر سبط بفتح الباء وكسرها أى شعر مرسل غير جعد .

(٥) الترمذي في الشمائل المحمدية ص ٣٥ .

(٦) شرح الشمائل ص ٣٥ ، النووي على هامش القسطلاني ص ١٢١ .

حبراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه عليه الصلاة والسلام. وفي رواية ما رأيت من ذى لمة أحسن منه .

ومن حديث لعائشة^(١) كان له (ﷺ) شعر فوق الجُمَّة ودون الوفرة ، وفي رواية لأبي داود^(٢) وأخرى لإبراهيم الحربي تقولان : كان شعر رسول الله (ﷺ) فوق الوفرة ودون الجُمَّة . وقال النووي شارح مسلم في باب (صفة شعره) وصفاته وحليته (الجُمَّة أكثر من الوفرة . فالجُمَّة الشعر الذي نزل إلى المنكبين والوفرة ما نزل إلى شحمة الأذنين . ونقل عن الفاضل للجمع بين الروايات أن ما يلي الأذن هو الذي بلغ شحمة أذنيه وهو الذي بين أذنيه وعاتقه . وما خلفه هو الذي يضرب إلى منكبيه . والعاتق ما بين المنكب والعنق . وقال إن ذلك لاختلاف الأوقات فإذا غفل عن نقصيرها بلغت المنكب وإذا قصرها كانت إلى انصاف الأذنين فكان الشعر يقصر ويطول حسب ذلك .

وفي السدل والفرق . ورد عن ابن عباس^(٣) قال : كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم . وكان المشركون يفرقون رؤوسهم وكان (ﷺ) يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به فسدل ناصيته ثم فرق بعد . وفي رواية

(١) تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ج ٢ ص ٨

(٢) شرح مسلم على هامش القسطلاني ج ١١ ص ١٢١ .

(٣) تيسير الوصول ج ٢ ص ٨٠ .

للترمذى^(١) عن ابن عباس أيضا أن رسول الله (ﷺ) كان يسدل شعره ، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم ، وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ثم فرق رسول الله (ﷺ) رأسه . وقال النووى^(٢) جاء في الحديث أنه كان للنبي (ﷺ) لمة فإن انفردت فرقتها وإلا تركها . .

وفي ترجيل^(٣) الشعر ودهانه ، ورد عن عائشة^(٤) ، قالت كنت أرجل رأس رسول الله (ﷺ) ، وعنهما^(٥) قالت أن رسول الله (ﷺ) كان يحب التيمن في طهوره إذا تطهر وفي ترجمه إذا ترجم وفي انتعاله إذا انتعل . وعن عبد الله^(٦) بن معقل قال نهى رسول الله (ﷺ) عن الترجل الاغبا : وعن أبي قتادة^(٧) قال ، قلت يا رسول الله لي جمه أفأرجلها ، قال نعم ، وأكرمها ، فكان أبو قتادة ربما دهنها في اليوم مرتين من أجل قوله (ﷺ) نعم وأكرمها . وعن أنس^(٨) بن مالك كان رسول الله (ﷺ) يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته .

(١) الشمايل المحمدية ص ٣٦ — يسدل شعره أى يرسل شعره حول رأسه . وقيل على الجبين فيكون كالقصة .

(٢) النووى على هامش القسطلانى ج ١١ ص ١٢٠ — واللمة شعر جاوز شحمه الأذن سواء وصل إلى المنكبين أو لا ، وقيل أنها بين الجمرة والوفرة .

(٣) الرجل أو الترجيل تسريح الشعر وتحسينه .

(٤ و ٥) وللترمذى في الشمايل المحمدية ص ٣٨ و ٣٩ .

(٦) الترمذى في الشمايل المحمدية ص ٣٨ و ٣٩ .

(٧) تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ج ٢ ص ٧٩ .

(٨) الترمذى في الشمايل المحمدية ص ٣٨

وفي شيبه وخضابه ، ورد عن أبي جُحيفة قال : قالوا يا رسول الله نراك قد شبت قال ، شيبتي هود وأخواتها . وعن جابر بن سمرة وقد سئل عن شيب رسول الله (ﷺ) قال كان إذا دهن رأسه لم ير منه شيب وإذا لم يدهن رأى منه شيء . وفي رواية له ، كان قد شَمِطَ^(١) ، مقدم رأسه ولحيته . وعن أنس بن مالك قال ما عدت في رأس رسول الله (ﷺ) ولحيته إلا أربع عشرة شعرة بيضاء . وعن عبد الله بن عمر قال إنما كان شيب رسول الله (ﷺ) نحو من عشرين شعرة بيضاء .

وعن عثمان بن وهب قال سئل أبو هريرة ، هل خضب رسول الله (ﷺ) قال نعم . وعن ابن وهب قال : دخلنا على أم سلمة فأخرجت إلينا من شعر رسول الله (ﷺ) فإذا هو مخضوب بالحناء والكتَم^(٢) . وفي قول للنووي نقلا عن القاضي ، قال : ويحتمل أن تلك الشعرات تغيرت بعده لكثرة تطيب أم سلمة لها إكراما .

وعن أنس ما خضب رسول الله (ﷺ) وإنه لم يبلغ من الشيب إلا قليلا . قال ولو شئت أن أعد شَمِطَات كُن في رأسه لفعلت . وفي رواية ، لم يخضب رسول الله (ﷺ) إنما كان البياض في عنقه^(٣) وفي الصدغين وفي الرأس نبذ^(٤) . وقال النووي نقلا عن القاضي ، اختلف العلماء هل خضب النبي (ﷺ) أم لا ، فمنعه الأكثرون بحديث أنس وهو مذهب مالك ، وقال

(١) شَمِطَات بفتحات أى الشعرات البيض التى بجوارها غيرها من الشعر الأسود . انفق العلماء على أن المراد بالشَمِط هنا هو ابتداء الشيب . يقال شَمِطَ أو أَشَمِطَ .

(٢) الكَتَم بالفتح نبات يصبغ الشعر بكسر بياضه أو حمرة إلى الدهمة (أى السواد) .

(٣) العنقفة هى ما بين الذقن والشفه .

(٤) فى الرأس نبذ أى شعرات متفرقات .

بعض المحدثين خضب لحديث أم سلمة ولحديث عمر أنه رأى النبي (ﷺ) يصبغ بالصبغة ، وهو وارد في الصحيحين . ويضيف النووي ، والمختار أنه (ﷺ) صبغ في وقت وتركه في معظم الأوقات ، فأخبر كل بما رأى وهو صادق .

ومما يؤيد رواية تخضيب الرسول صلوات الله عليه لشعره ، أنه كان يوجد بين الأشياء التي تركها يوم وفاته ، كما جاء في تحفة^(١) الأجباب : « ترك صلى الله عليه وسلم يوم مات مخضب من شب يعمل فيه الحنة والكتم ويوضع على رأسه إذا وجد فيه حرارة »

في حلقه وتقصيره - ورد عن ابن عمر^(٢) أن رسول الله (ﷺ) حلق رأسه في حجة الوداع . وعن نافع^(٣) أن عبد الله قال حلق رسول (ﷺ) وحلق طائفة من أصحابه وقصر بعضهم . قال عبد الله أن رسول الله (ﷺ) قال رحم الله المحلقين مرة أو مرتين ، ثم قال والمقصرين .

وعن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ﷺ) اللهم اغفر للمحلقين ، قالوا يا رسول الله وللمقصرين ، قال اللهم اغفر للمحلقين ، قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين ، قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال وللمقصرين .

وعن يحيى بن الحصين عن جدته أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة .

(١) الموائى : تحفة الأجباب (مخطوط رقم ٥٦٢٣) تاريخ دار الكتب مصور عن سواهج .

(٢) صحيح مسلم ص ٢٣٣ ج ٢ على هامش القسطلاني .

(٣) المرجع ذاته ص ٢٢٩ .

وعن أنس^(١) أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحرت ثم قال للحلاق خذ وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعطيه للناس . وفي رواية أعطى الجانب الأيمن لمن يليه والأيسر لأم سليم . وفي رواية أنه دفع الأيسر إلى أبي طلحة وقال له أقسمه بين الناس .

وقد أخذ النووي بالرواية الأخيرة فقال « قد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم حلق بمنى وفرق أبو طلحة شعره بين الناس ، وأشار إلى ما في هذا الحديث من فوائد كثيرة منها التبرك بشعر النبي صلى الله عليه وسلم وجواز اقتنائه للتبرك . وقد رأينا فيما تقدم أن أم سلمة زوجة النبي عليه الصلاة والسلام كانت تحتفظ بشعرات من شعره وكذلك كانت عائشة أم المؤمنين تحتفظ بشيء من شعره ولباسه ، فقد ذكر أنس بن مالك « لما صار من أمر عثمان ما صار ، كانت عائشة تخرج قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعره وتقول هذا قميصه وشعره لم يلبسوا وقد بلى دينه .

هذا ولم يكن اقتناء الآثار النبوية مقصورا على أمهات المؤمنين فحسب ، فإن كل ما تركه النبي عليه الصلاة والسلام كان صدقة لمن يستحقها من المسلمين . وفيما يختص بشعره (ﷺ) فقد رأينا أنه كان يفرق على الحاضرين من المسلمين عند حلقه ، وأن أبا طلحة رضى الله عنه كان يقوم بمهمة تفريقه . وكما رأينا من قبل ، أن معاوية بن أبي سفيان كان يحتفظ فيما يحتفظ . من آثاره بقراضة من شعره ، وأوصى ابنه يزيد إذا دنا أجله أن يستودعها أنفه وفمه

(١) تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ص ٢٧٧ ج ١ .

وأذنيه وعينيه . ولعل هذه القراضة كان قد ادخرها معاوية يوم أن قصر^(١) من شعر رسول الله (ﷺ) في عمرة ، قال النووي^(٢) إنها عمرة الجعرانة . فقد ورد عن ابن عباس قال : قال لى معاوية أعلمت إني قصرت من رأس رسول الله (ﷺ) عند المروة بمشقصي^(٣) ، قلت له لا أعلم هذا إلا حجة عليك .

وإذا كان معاوية قد احتفظ بقراضة من الشعر ، فإن غيره قد احتفظ بالشعرة والشعرات قصيرات أو طويلات ، إذ كان شعره (ﷺ) يقصر أو يطول تبعا لاختلاف الأوقات كما قدمنا . فقد ورد عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت : قدم رسول الله (ﷺ) مكة قَدَمَةً (أى مره من القدم) وله أربع غدائر^(٤) . وفي رواية لها : رأيت رسول الله (ﷺ) في صفائر أربع .

بعد هذا العرض الشامل لشعر الرسول (ﷺ) وقد ثبت منه أن النبي صلوات الله وسلامه عليه كان يفرق شعره بين الناس ، الأمر الذي يفهم منه كما قال النووي ، أنه (ﷺ) أجاز اقتناء شعره للتبرك ، وعلى ذلك فليس من المستبعد أن نجد من شعره قراضات وشعرات طويلات أو قصيرات في كثير من أنحاء العالم الإسلامي .

(١) التقصير هو أخذ أطراف الشعر (القسطلاني ج ٤ ص ٢٨٨) .

(٢) النووي شارح مسلم على هامش القسطلاني ج ٧ ص ١٤٦ .

(٣) المشقص : هو نصل السهم إذا كان طويلا ليس بعريض — وقيل هو كل نصل فيه عَنَزَةٌ وهو النائي وسط الحربة — وقيل هو سهم فيه نصل عريض يرى به الوحش .

(٤) كل من الغديرة والصفيرة بمعنى الذوابة وهي الخصلة من الشعر إذا كانت مرسله ، فان كانت ملوية فعقيصة . ويقال الغديرة هي الذوابة والصفيرة هي العقيصة (الشامل ص ٣٥ ، ٣٦) .

فقد ذكر العلامة ابن حجر^(١) الهيثمي ما نصه « بمكة شعرة من شعره المكرم مشهورة تزار » كذلك يقول السخاوي^(٢) في ترجمة المرشدي المولود سنة ٧٦٣ هـ بمكة والمتوفى سنة ٨٢٩ هـ ما نصه « كان خيراً ديناً ورعاً زاهداً متجعماً عن الناس ، زار النبي (ﷺ) أكثر من خمسين سنة مشياً على قدميه ، وكذا زار بيت المقدس ثلاث مرات ولقى بها رجلاً صالحاً كانت عنده ست شعرات مضافة للنبي (ﷺ) فرّقها عند موته على ستة أنفس بالسوية . »

ويقول النابلسي^(٣) بوجود شعرة في مقام التوحيد بدمشق فيذكر « هو المقام المنسوب للسيد سعد الدين الجبّاي رضي الله عنه ، تشرف والده بهذه الشعرة بالنقل عن والده وهكذا بالتسلسل عن أجدادهم . »

وهناك مجموعة كبيرة من شعرات الرسول (ﷺ) محفوظة بقصر طوبقو بالقسطنطينية يقول مؤرخو^(٤) الترك إنها كانت عند الشرفاء أمراء مكة ، فلما استولى سليم الأول على مصر سنة ٩٢٣ هـ طلبها من الشريف بركات أمير مكة وقتئذ ، فبعث بها إليه مع ولده أبي نُمَيْ ، فحملها السلطان إلى القسطنطينية في عودته إليها . ويضيف أحمد تيمور فيقول ، وذهب بعضهم إلى أنها كانت عند الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر فتسلمها السلطان من آخرهم

(١) تزيه المصطفى المختار للزرقاني على المواهب ج ٤ ص ٢٥٤ .

(٢) الضوء اللامع ج ٤ ص ٤٣٧ .

(٣) الحقيقة والمجاز ص ٣٥٤ .

(٤) أحمد تيمور ص ٦٣ .

غير أن أكثرهم على الرأى الأول . وكان عدد الشعرات ثلاثا وأربعين شعرة محفوظة مع الأمانات المباركة ، قد أهدى منها سلاطين العثمانيين إلى بعض الولايات التابعة للدولة العثمانية أربعاً وعشرين شعرة وبقي تسع عشرة يرجح أنها باقية إلى اليوم .

فقد أهدى السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٨ هـ المشهد الحسينى بدمشق شعرة . ما زالت محفوظة فيه إلى اليوم . كما أهدى السلطان محمد رشاد شعرتين لمدينتى عكا وحيفا ، حفظت الأولى بمسجد أحمد باشا الجزار بعكا والثانية بالجامع الكبير بحيفا . كذلك أهدى ثلاث شعرات لمدن صفد وطبرية والناصرة .

وقد أهدى السلطان محمد رشاد للمكة بهوبال سلطان^(١) جهان بيبكم بنت ملكتها شاه جهان بيبكم ، عند زيارتها له فى القسطنطينية شعرة من شعرات الرسول صلوات الله عليه ، فلما عادت إلى بهوبال^(٢) ، احتفلت بنقل هذه الشعرة إلى الجامع الأعظم لتحتفظ به . ولعلها هى الشعرة التى نشرت صحف باكستان نبأ سرقتها ، ثم عادت فنشرت خبر العثور عليها .

ولم يقتصر وجود الشعرات المباركة على شرق العالم الإسلامى فحسب ، بل وجدت كذلك فى غرب العالم الإسلامى ، فيقول الشيخ^(٣) أحمد الطرابلسى الزاوى ، توجد شعرتان بطرابلس الغرب احدهما بجامع طورغود باشا بطرابلس ، والثانية ببني غازى فى جامع راشد باشا المشهور بجامع عثمان .

(١) الآثار النبوية ص ٨٤ .

(٢) مقاطعة فى كشمير الآن .

(٣) أحمد تيمور ص ٨٣ .

وجاء في بعض كتب التراجم^(١) عن الصحابي أبي زمعة البلوي ، الذي دفن بالقيروان : وكان أخذ من الشعرات الشريفة يوم منى في حجة الوداع لما حلق رسول الله (ﷺ) رأسه ووضعها أبو زمعة في قلنسوته إلى أن استشهد بالقيروان فدفنت معه . وقد ترجم له عبد الرحمن^(٢) الدباغ بما نصه : ومات بالقيروان ودفن بالقبة التي تعرف الآن بالبلوية سميت به من ذلك الوقت ، وأمرهم أن يستروا قبره ودفن معه قلنسوته وفيها شعر رسول الله (ﷺ) . ويضيف الشيخ أبو القاسم « انه كان فيها (أى القلنسوة) ثلاث شعرات وأنه أوصى أن تعمل شعرة على عينه اليمنى وشعرة على عينه اليسرى وشعرة على لسانه » .

وقال الوزير السراج التونسي ، تواتر الخبر بأن بدار الأشياخ بتونس شعرات من شعر رسول الله (ﷺ) وهى الآن بالزاوية البرانية بخارج باب قرطاجنة المعروفة بزاوية ولى الله المرجاني . كما توجد شعرات في ضريح الشيخ أبي شعرة المدفون بالزلاج وقبته معروفة وحولها فضاء مسور به شجر زيتون .

كذلك يوجد في مصر كثير من شعرات الرسول (ﷺ) ومعظمها محفوظ في المدارس والخانقاوات وفي المساجد التي بنيت في العصر المملوكي ، فقد ذكر السخاوي^(٣) في ترجمة ابن الزمن ما نصه « وكذا لقي غير واحد من الصالحين وأعطاه شخص منهم يسمى بيرجمال الشيرازي^[١] شعرة تنسب للنبي (ﷺ) وقال إنها عنده ، وكذا أحضر له من خيبر بعض الأحجار المنسوب أن بها أثر

(١) الإصابة للحافظ بن حجر ، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير .

(٢) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان — للعلامة عبد الرحمن بن محمد الدباغ ج ١ ص ٨٢ ، ٨٤ .

(٣) الضوء اللامع ج ٤ ص ١٢٠ .

القدم الشريفة ، وكتاب قيل إنه بخط أحد كتاب الوحي ، والكل محفوظ بالمدرسة التي شرع في بنائها بشاطئ بولاق .

ويقول النابلسي^(١) في رحلته (الحقيقة والمجاز) لمصر ، ووصفه للمدرسة وادماه برسباى « وفي البلدة المذكورة جامع انسلطان الملك الأشرف وهو جامع عظيم له قدر بين الجوامع جسيم ، وذلك أن في محرابه شعرات مدفونة من شعرات الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . »

وتوجد كذلك شعرات في المدرسة المنجكية التي أنشأها للحنفية الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري ، فقد ذكر النعيمي^(٢) في ترجمته « ومن سعادته أنه ظفر بشعر من شعر النبي (ﷺ) فكان لا يزال معه ، وكان حسن الملتقى سيما لأهل العلم . »

وقد جاء في كتاب الآثار النبوية^(٣) أن والدته والى مصر عباس باشا لما حجت أحضرت معها من الحجاز شعرة أهديت إليها على أنها من الشعر الشريف ، فلما حضرته الوفاة سلمتها للشيخ محمد عاشق ، شيخ تكية النقشبندية بشارع بور سعيد (درب الجمايز سابقا) بالقرب من باب الخلق ، وطلبت منه حفظها بالتكية ليتبرك الناس بها ، وهى باقية إلى اليوم .

أما الشعرات المحفوظة مع باقى المخلقات النبوية بالمسجد الحسينى فسنعرض لما ذكره الأستاذ أحمد تيمور عن تاريخ بعضها وعدده ، مع إضافة

(١) النابلسي ص ٣٥٤ .

(٢) تنبيه الطالب ج ص ٦٨٢ .

(٣) أحمد تيمور ص ٨٩ .

الشعرات التي لم يذكرها وتصحيح ما ذكره منها ، مع وصف مفصل نستطيع معه أن نبدي الرأي في اطمئنان عن نسبتها .

يقول أحمد تيمور ، إن شعرتين ، كانتا مع الآثار النبوية بقبة الغورى ونقلنا معها إلى هذا المسجد ، وهما في زجاجة محفوظة في صندوق صغير من الفضة ملفوف بلفافة من الديباج الأخضر المطرز بخيوط من الفضة .

والواقع أن عددها أربع شعرات لا شعرتين ولونها كستنائي داكن . قد يكون نتيجة خضابها أو دهنها أو تطيبها فتمد خضب (ﷺ) شعره ودهنه . وهى من الشعر الرجل ، وقد كان شعره الشريف رجلا ، وطولها يتراوح بين (٧-١٠) . سنتمترات ، وهو طول يبلغ شحمة الأذن ، وقد كان له (ﷺ) شعر يبلغ شحمة أذنيه ، لذلك كله أرجح أن تكون هذه الشعرات من شعر رأسه عليه الصلاة والسلام .

ثم أضيفت إليها شعرة كانت عند أحمد طلعت باشا رئيس ديوان الخديو سعيد وإسماعيل وابنه توفيق . ويقال إن هذه الشعرة حباه بها السلطان في إحدى سفرياتة إلى القسطنطينة ، وهناك رواية تقولها أسرته ، أنها أهديت إليه من أحد الحجازيين على أنها من الشعر الشريف ، فعوضه عنها شيئا كثيرا . ولما توفى اتفق بنوه على إهدائها للمسجد الحسينى لتحفظ فيه مع الآثار النبوية . وهى شعرة بيضاء ، وقد كان من شعره الشريف شعرات بيضاء (فى الرأس نبذ) وتصل إلى شحمة الأذن ، إذ يبلغ طولها ٨ سنتمترات وهى من الشعر الرجل ، فمن المرجح أن تكون من شعر رأس النبي (ﷺ) .

وفى سنة ١٣٤٠ هـ أضيفت إليها شعرات كانت بالرباط المعروف بتكية الكلشنى بشارع تحت الربع ، وقد رأى وزير الأوقاف نقلها إلى المسجد

الحسيني وحفظها مع الآثار النبوية فنقلت . والواقع أنها ثلاث شعرات ، اثنتان منها لونهما كستنائي كلون الشعرات الأربع السابقة ، والشعرة الثالثة لونها كستنائي فاتح يبدو أنها كانت بيضاء ثم صبغت بالخضاب أو بالتطيب ، والشعرات الثلاث من الشعر الرجل وتبلغ شحمة الأذن ، إذ يتراوح طولها بين (٨-١٠) سنتيمترات ومن المرجح أن تكون من شعر رأسه عليه السلام .

وفي عام ١٣٤٢ هـ أحضرت الحاجة ملكة حاضنة الأمير كمال الدين ابن السلطان حسين ، قارورة إلى المسجد الحسيني وأخبرت أن بها شعرات من اللحية النبوية الشريفة ، وأنها تريد إهداءها لتحفظ مع الآثار فأجيبنا إلى ذلك . وعدد هذه الشعرات خمس ، أربع منها لونها كستنائي داكن وواحدة بيضاء وقد كان في لحيته (ﷺ) شمطات ، ويبدو أن الشعرات جميعها تميل إلى الجعودة أكثر منها إلى السبوطه كما أن طولها جميعا يتراوح بين (٣-٥) سنتيمترات ، لذلك يرجح أن تكون هذه الشعرات من اللحية النبوية الشريفة .

كما توجد زجاجة بها شعرة بيضاء قصيرة طولها ٥ سنتيمترات ، لم يذكر عنها أحمد تيمور شيئاً ، ويقولون كما ورد في الدرر^(١) الكامنة ، أنها لعل ابن محمد بن الخلاطي المتوفى سنة ٧٠٨ هـ والمعروف بالركابي لزعمه أن عنده ركاب رسول الله (ﷺ) وأنه كان يزعم أيضاً أن عنده شعرة له (ﷺ) وأن حفدته قد أهدوا هذه الشعرة إلى مسجد الحسين لكي تحفظ مع الآثار

(١) ابن حجر العسقلاني ج ٢ .

النبوية . وهى شعرة كستنائية اللون طولها ١٠ سنتيمترات كما أنها من الشعر الرجل ولذا يرجح أن تكون من شعر الرسول (ﷺ) .

وهناك شعرة أخرى لم يرد ذكرها عند أحمد تيمور ، ويقولون أن تكيّة النقشبندية قد أرسلتها لتُحفظ مع المخلقات النبوية بالمسجد الحسيني ، وهى من الشعر الرجل ، ولونها كستنائى ويبلغ طولها (١٠ر٥) سم مما قد يصل بها إلى المنكب وقد كان شعره (ﷺ) فوق الوفرة ، والوفرة ما نزل إلى شحمة الأذنين ، كما كانت له لُمة وهى التى ألت بالمنكبين . فمن المرجح أن تكون من شعر رأس النبي (ﷺ) .

وبناء على ما تقدم ، يبلغ مجموع الشعرات المحفوظة مع المخلقات النبوية ، بمسجد سيدنا الإمام الحسين رضى الله عنه ، خمس عشرة شعرة ، ما بين بيضاء وكستنائى فاتح وداكن ، ومن أطوال مختلفة ما بين قصير يبلغ (٣) سم إلى طويل يبلغ (١٠ر٥) سم . وقد رجح لدىّ - بما أمدتنا به تلك المراجع التى أشير إليها فى البحث وبين صفحاته من بيانات - نسبتها إلى النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم . والله أعلم .

مصحف عثمان وعلى

ذكر بعض المراجع ، أنه كان يوجد بين المخططات النبوية ، التي حصلت عليها مصر بطريق الشراء من بنى ابراهيم بينبع ، والتي لبني لها خصيصا رباط الآثار على ضفاف النيل بمصر القديمة ، مصحف بخط علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . فقد ورد في كلام ابن بطوطة ^(١) عن هذا الرباط وعما فيه قوله : « وهو رباط عظيم بناه علي مفاخر عظيمة وآثار كريمة أودعها فيه . وهي قطعة من قصعة رسول الله (ﷺ) والميل الذي كان يكتب به والدرفش وهو الأفشي الذي يخصف به نعله ، ومصحف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي بخط يده رضي الله عنه » .

كما ذكر ابن النديم : ^(٢) أنه رأى عند أبي يعلى حمزة الحسيني مصحفا بخط علي يتوارثه بنو حسن .

كذلك قيل بوجود مصحف سيدنا عثمان ، فقد ورد ذكره عند كثير من المؤرخين ، وخاصة مؤرخي مصر ، وجلهم يؤكد نسبته إلى ذى النورين عثمان ابن عفان . فقد جاء في نزهة الناظرين ^(٣) للبرزنجي ، عند كلامه على أول من أحدث المحراب المجوف في مسجد النبي (ﷺ) بالمدينة ، مانصه « وأول من أحدث المحراب المجوف في المسجد النبوي عمر بن عبد العزيز . ويضيف

(١) ابن بطوطة ج ١ ص ٢٥ .

(٢) الفهرست ص ٢٨ .

(٣) نزهة الناظرين ص ٤٦ .

السمهودى : واحتاط (أى عمر بن عبد العزيز) فى أمره ودعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالى فقال لهم « تعالوا احضروا بنيان قبلتكم حتى لا تقولوا غير عمر قبلتنا » ، فجعل لا ينزع حجرا إلا وضع مكانه حجرا ، أى عند بنائه لجدار القبلة والمحراب المذكور ، وهو فى موضع الصندوق الذى كان أمام المصلى الشريف . والصندوق المذكور كان فيه مصحف كبير أرسله الحجاج بن يوسف الثقفى إلى المدينة المنورة حين أرسل إلى أمهات القرى بمصاحف فجعل فى ذلك الصندوق ووضع عن يسار الأسطوانة التى عملت علما للمصلى الشريف . ويستطرد السمهودى فيقول « وهى التى تكون محاذية ليمين الواقف فى المصلى الشريف من جهة القبلة المسماة بالمخلاة » . وفى موضع آخر عند الكلام على المقصورة بالمسجد النبوى يقول البرزنجى^(١) « وأما مصحف عثمان فهو فى صندوق آخر عند أسطوانة السرير داخل المقصورة يقال أنه المصحف الذى كان بين يديه حين قتل » . ويعقب السمهودى على كلام البرزنجى فيقول « ولم أر له (أى مصحف عثمان) ذكرا فى كلام أحد من المتقدمين . بل الذى يقتضيه كلامهم أنه لم يكن بالمسجد حينئذ بل ولا نجد له ذكرا فى كلام ابن النجار ، وهو أول من أرخ من المتأخرين ، بل الذى يقتضيه كلامه أنه من المصاحف التى أرسل بها الحجاج بن يوسف الثقفى إلى أمهات القرى ، فانه قال (أى النجار) بعد أن نقل عن ابن زباله عن مالك رضى الله عنه ، « وهو مجموع فى يومنا هذا فى جلال فى المقصورة إلى جانب باب مروان ، وتقدم ذكر هذا المصحف الذى بعثه الحجاج ، وأنه موضوع فى الصندوق الذى كان أمام المصلى الشريف » . ثم يعود البرزنجى

(١) نزهة الناظرين ص ٧٣.

فيقول « ولم أر نسبة المصحف الموجود اليوم لسيدنا عثمان إلا في كلام المطري ومن بعده ، عند ذكر سلامة القبة التي كانت بوسط صحن المسجد من الحريق الأول » .

ويقول ابن جبير^(١) في رحلته « إن المصحف الموجود بالمسجد النبوي هو من المصاحف التي بعث بها عثمان إلى الآفاق لا الذي قتل وهو في حجره » .
ويذكر الشاطبي^(٢) عن مالك « تغيب المصحف المذكور (يعني مصحف عثمان) » وأنه قال « ولم نجد له خبرا بين الأسياف » . وعن ابن سلام قال : « رأيت المصحف الذي يقال له الإمام مصحف عثمان ، استخرج لي من بعض خزائن الأمراء وهو المصحف الذي كان في حجره حين أصيب ورأيت آثار دمه في مواضع منه ، ورده أبو جعفر النحاس بما تقدم من كلام مالك » .
ولكن البرزنجي يرد على كلام أبي جعفر فيقول ، « إنه ليس في كلام مالك ما يدل على عدم المصحف بالكلية ، فيحتمل بعد ظهوره نقل إلى المدينة وجعل بالمسجد النبوي » .

ويقول ابن قتيبة « كان مصحف عثمان الذي قتل وهو في حجره عند ابنه خالد ثم صار مع أولاده وقد درجوا » . ثم يضيف « وقال لي بعض مشايخ أهل الشام أنه بأرض طوس » .

وجاء في رحلة ابن بطوطة عند كلامه عن مدينة البصرة ما يلي :
« بمدينة البصرة مسجد علي بن أبي طالب وكان بوسطها وهو الآن على

(١) ابن جبير ص ٣٥ .

(٢) نزهة الناظرين ص ٧٣ .

ميلين من عمرانها يصلون به الجمعة ثم يغلق إلى الجمعة الآتية . وبه المصحف
العثماني الذي كان عثمان يقرأ فيه عند قتله .

ويقول البرزنجي عن مصحف القاهرة : نصه « أما المصحف الذي بالقاهرة
فعليه أثر الدم عند قوله تعالى « فسيكفيكم الله وهو السميع العليم » كما
هو الحال بالمصحف الشريف الموجود اليوم بالمدينة المنورة ، ويذكرون أنه
المصحف العثماني وكذلك بمكة (يعني وكذلك توجد آثار دماء في المصحف
الموجود بمكة) .

ويعدل البرزنجي وجود أثر الدم عند هذه الآية بالذات بعدة مصاحف
بقوله « فالذي يظهر أن بعضهم وضع خلوقاً على تلك الآية تشبيهاً
بالمصحف الذي بهذه الصفة لم يكن إلا واحداً ، ولعل هذه المصاحف مما بعث
به عثمان إلى الآفاق كما هو مقتضى كلام ابن جبير في المصحف الموجود
بالمدينة » . ثم يدلي البرزنجي في النهاية برأيه في موضوع مصحف سيدنا
عثمان فيقول « والحاصل أنه ليس معنا في أمر المصحف الموجود اليوم بالمدينة
سوى مجرد احتمال والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال » .

والقول بوجود مصحف عثمان لم يقف عند حدود دول العالم الإسلامي في
المشرق فحسب ، بل تعداه إلى المغرب ، إذ يذكر الحسن^(١) بن عبد الله
عند كلامه عن هيئة الملوك ولباسهم ما نصه « ولم تزل الخلفاء والملوك تختص
بنوع من الزي لا يشاركون فيه ، فملوك تتركب بالجر على رأسها ، وهي التي
يسمونها بمصر المظلة ، ويجلسون تحتها على التخت ، وكذلك الخلفاء ،

(١) آثار الأول في ترتيب الدول ص ١١٩ .

وملوك تجلس على نطع أو مصلى لميلهم إلى التواضع . وأما الموكب فممنهم من يركب بالسنجق وراء . وملوك المغرب يركبون بمصحف عثمان رضى الله عنه على ناقة أمامهم ويلبسون برنسا بنفسجيا لا يلبسه غيرهم راكبا في جميع بلادهم .

أما عمدة مؤرخى مصر الإسلامية تقي الدين المقرئى^(١) ، فإنه عند كلامه على جامع عمرو بن العاص ، ذكر الروايات التى وصلت إلى سمعه عن مصحف عثمان ، أو التى قرأها فى كتب من سبقه من المؤرخين دون أن يدلى فى ذلك برأيه الخاص ، فقال « وكان قد حضر إلى مصر رجل من أهل العراق . وأحضر مصحفا ذكر أنه مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وأنه الذى كان بين يديه يوم الدار ، وكان فيه أثر الدم ، وذكر (أى العراق) أنه استخرج من خزان المقتدر ، ودفع المصحف إلى عبد الله بن شعيب المعروف بابن بنت وليد القاضى فأخذه أبو بكر الخازن وجعله فى الجامع (جامع عمرو) وشهره وجعل عليه خشبا منقوشا . وكان الإمام يقرأ فيه يوما وفى مصحف أسماء يوما ، ولم يزل على ذلك إلى أن رفع هذا المصحف ، واقتصر على القراءة فى مصحف أسماء ، وذلك فى أيام العزيز بالله لخمسة خلون من محرم سنة ثمان وسبعين وثلثمائة » ويضيف المقرئى « وقد انكر قوم أن يكون هذا المصحف ، مصحف عثمان رضى الله عنه ، لأن نقله لم يصح ولم يثبت بحكاية رجل واحد . ثم ينقل ذلك المقرئى بعد رأى ابن المتوج الذى يقول « ودليل بطلان ما قاله هذا المعترض ، ظهور التعصب على عثمان رضى الله عنه من (تجيب^(٢))

(١) المقرئى ج ٤ ص ١٩ .

(٢) كذا فى الأصل .

وخلفائهم ، إن الناس قد جربوا هذا المصحف وهو الذى على الكرسي الغربى من مصحف أسماء ، إنه ما فتح قط إلا وحدث حادث فى الوجود لتحتميق ما حدث أولاً والله أعلم .

وهذه الرواية التى تقول بمجىء رجل من أهل العراق ، ومعه مصحف عثمان الذى استخرج من خزائن الخليفة المقتدر ، تدعو إلى كثير من التساؤل : كيف يسمح لشخص عادى أن يأخذ مصحف عثمان من خزائن الخلافة ، ويخرج به من بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، ليودعه جامع ولاية تابعة للدولة ، ألا وهى مصر ؟ وإذا فرضنا أن هذا الشخص استطاع أن يحصل على المصحف بطريقة أو بأخرى ، فماذا كان موقف بغداد ؟ ألم يتخذ الخليفة العباسى أى إجراء لتكليف واليه فى مصر بإعادة المصحف الشريف إلى العاصمة ؟ .

ولم يكتب المقرئ بسرد هذه الروايات ولكنه يعود فيقول « ورأيت أنا هذا المصحف وعلى ظهره ما نسخته بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، هذا المصحف الجامع لكتاب الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه . حملة المبارك مسعود بن سعد الهينى لجماعة المسلمين القراء للقرآن ، التالين له المقربين إلى الله جل ذكره بقراءته ، والمتعلمين له ليكون محفوظاً أبداً ما بقى ورقه ، ولم يذهب اسمه ابتغاء ثواب الله عز وجل ورجاء غفرانه ، وجعله عدة ليوم فقره وفاقته وحاجته إليه ، أناله الله ذلك برأفته وجعل ثوابه بينه وبين جماعة من نظر فيه » . ويضيف المقرئ « وقد درس ما بعد هذا الكلام من ظهر المصحف ، والمندرس يشبه أن يكون ، وتبصر فى ورقة وقصد بإيداعه فسطاط مصر فى المسجد الجامع ، جامع المسلمين العتيق ليحفظ مع مثله من سائر مصاحف المسلمين فرحم الله من حفظه ومن قرأ فيه

ومن غنى به ، وكان ذلك في يوم الثلاثاء مستهل ذى القعدة سنة سبع وأربعين
وثلاثمائة وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله وسلم تسليما كثيرا وحسبنا
الله ونعم الوكيل .

نخرج مما ورد في كتاب الخطط للمقريزي ، أن المصحف الذي يقال له
مصحف عثمان ، قد جرى به إلى مصر سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، ووضع في جامع
عمرو ، واستمر أمام المسجد يقرأ فيه يوما بعد يوم ، حتى كان عهد الخليفة
العزیز بالله الفاطمي ، فأبطل القراءة فيه ، وكان ذلك سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ،
أي أنه ظل يقرأ فيه مدة أحد وثلاثين عاما ، وأن المقريزي رأى هذا
المصحف محفوظا في جامع عمرو ، وأنه - أي المقريزي - وإن لم يذكر وصف
المصحف ، إلا أنه ذكر النص المكتوب في ظهره وتاريخ المجيء به إلى مصر .
من ذلك يتبين أن المصحف كان موجودا في مصر على أقل تقدير حتى سنة
٨٤٥ هـ وهي سنة وفاة المقريزي .

ويعود المقريزي مرة أخرى إلى الكلام على مصحف منسوب إلى عثمان
ابن عفان ، وذلك عند كلامه على المدرسة الفاضلية^(١) فيقول « هذه المدرسة
بدرج ملوخيا من القاهرة بناها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني
بجوار داره في سنة ثمانين وخمسمائة ووقفها على طائفتي الفقهاء الشافعية
والمالكية وجعل فيها قاعة للقراء . ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب
في سائر العلوم يقال إنها كانت مائة ألف مجلد وذهبت كلها وبها إلى الآن
(سنة ٨٤٥ هـ) مصحف قرآن كبير القدر جدا مكتوب بالخط الأول الذي

(١) المقريزي ج ٤ ص ١٩٧ .

يعرف بالكوفي تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان . ويقال إن القاضي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو فى خزانة مفردة لد بجانب المحراب من غربية وعليه مهابة وجلالة » .

ويقول الشيخ حسن بن حسين المعروف بابن الطولونى^(١) عند ذكر الملك الأشرف أبى النصر قنصوه الغورى « وقد جدد مولانا السلطان عز نصره للمصحف العثمانى الذى بمصر المحروسة بخط مشهد الحسين (جلد^(٢)) بعد أن آل جلده الواقى الى التلف والعدم ولمكثه من زمن سيدنا عثمان إلى يومنا هذا ، فألهم الله تعالى مولانا المقام الشريف خلد الله ملكه بطلبه إلى حضرته بالقلعة الشريفة ورسم بعمل الجلد المعظم المتناهى فى عمله لاكتساب أجره وثوابه وأن يعمل له وقاية من الخشب المنقوش بالذهب والفضة وأنواع التحسين .

ويؤيد العلامة القسطلانى^(٣) رواية ابن الطولونى ، فيقول عند ذكره خزانة كتب المدرسة الفاضلية ؛ « ولم يبق منها إلا المصحف الكبير المكتوب بالخط الكوفى الأول المعروف بمصحف عثمان بن عفان . ويقال إن القاضي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه . وكان فى خزانة مفردة بجانب المحراب من غربية ، ولم يزل بها حتى خرب ما حول المدرسة المذكورة وآل أمرها إلى التلاشى ، فنقله السلطان الأشرف أبو النصر قنصوه الغورى ، أجرى الله على يده الخيرات

(١) المخطط التوفيقية ج ٢ ص ٢٤ عن كتاب (التزهة السنية فى أخبار الخلفاء والملوك المصرية) .

(٢) كذا فى الأصل ولعلها جلده .

(٣) الآثار النبوية ص ٣٧ .

وختم أعماله بالصلحات . كما نقل الآثار النبوية لاستيلاء السراق على القاطنين بمحلها ، وعدم الأمن وخوف الضياع ، إلى القبة التي أنشأها تجاه مدرسته الشريفة بقرب الاقباعيين داخل باب زويلة والخرق من القاهرة المعزية » .

هذا وقد أردت متابعة للبحث ، أن أجمع كل ما كتب على ما كان موجودا بمصر من المصحف القديمة ، لعله يساعدني على تكوين رأي في الموضوع ، ولكني لم أجد غير ما كتب عن مصحف واحد ، وهو المعروف باسم مصحف أسماء ، فقد ورد فيما ذكره المقرئزي عنه عند الكلام على الجامع العتيق ، قوله : « وفي هذا الجامع مصحف أسماء وهو الذي تجاه المحراب الكبير » . ولبيان أصل هذا المصحف نقل عن القضاءي قوله « كان السبب في كتب (كذا) هذا المصحف أن الحجاج بن يوسف الثقفي كتب مصاحف وبعث بها إلى الأمصار ووجه إلى مصر بمصحف منها ، فغضب عبد العزيز بن مروان من ذلك وكان الوالي يومئذ من قبل أخيه عبد الملك وقال « يبعث إلى جند أنا فيه بمصحف » فأمر فكتب له هذا المصحف الذي في المسجد الجامع اليوم . فلما فرغ منه قال « من وجد فيه حرفاً خطأ فله رأس أحمر وثلاثون ديناراً » فتداوله القراء ، فأتى رجل من قراء الكوفة اسمه زرعه بن سهل الثقفي ، فقرأ تهجياً ثم جاء إلى عبد العزيز بن مروان فقال له « إني قد وجدت في المصحف حرفاً خطأ فقال « مصحفى » قال « نعم » فنظر فإذا فيه « إن هذا أخي له تسع وتسعون نجعة » قد قدمت الجيم قبل العين ، فأمر بالمصحف فأصلح ما كان فيه وأبدلت الورقة ثم أمر له بثلاثين ديناراً ورأس أحمر . ولما فرغ من هذا المصحف كان يحمل إلى المسجد الجامع غداة كل جمعة من داه

عبد العزيز فيقرأ فيه ، ثم يقصر (كذا) ثم يرد إلى موضعه . ثم توفي عبد العزيز في سنة ست وثمانين ، فبيع هذا المصحف في ميراثه فاشتراه ابنه أبو بكر بألف دينار ، ثم توفي أبو بكر فاشترته أسماء بنت أبي بكر بن عبد العزيز بسبع مائة دينار ، فأمكنك الناس منه ، وشهرته فنسب إليها . فلما توفيت أسماء اشتراه أخوها الحكم بن عبد العزيز بن مروان من ميراثها بخمسمائة دينار ، فأشار عليه توبة بن نمر الخضرى القاضى ، وهو متولى القصص يومئذ بالمسجد الجامع وذلك سنة ثمان عشرة ومائة فجعله في المسجد الجامع وأجرى على الذى يقرأ فيه ثلاثة دنائير في كل شهر من غلة الأصطبل . »

وقد ظل المصحف طوال العصر الأموى يقرأ في جامع عمرو في كل يوم جمعة ، فلما ولى القصص أبو رجب العلاء بن عاصم الخولاني سنة اثنتين وثمانين ومائة ، قرأ فيه يوم الإثنين ، ولما ولى القصص حسن بن الربيع ابن سليمان من قبل عنبسة بن أسحاق أمير مصر من قبل الخليفة العباسى المتوكل في سنة أربعين ومائتين زاد في قراءة مصحف أسماء يوما ، فكان يقرأ يوم الإثنين ويوم الخميس ويوم الجمعة ، ولما تولى القصص أبو بكر محمد ابن عبد الله بن مسلم الملقب في سنة إحدى وثلثمائة عزم على القراءة في المصحف كل يوم ، فتكلم ابن قدير في ذلك وقال أعزم على أن يخلق المصحف ، فرجع إلى القراءة ثلاثة أيام . »

واعتمادا على رواية القضاء ، نستطيع أن نقول إن مصحف أسماء كان أقدم المصاحف الموجودة بمصر ، وأنه ظل من القرن الأول الهجرى حتى القرن الرابع يقرأ فيه بمفرده في جامع عمرو ، إلى أن جاء رجل من أهل العراق - كما ذكر

المقريزى - بالمصحف الذى قال عنه أنه مصحف عثمان ، فبدأ القراء يتبادلون القراءة فيه مع مصحف (أسماء) حتى تولى الخليفة الفاطمى العزيز بالله فاقتصر على القراءة فى مصحف أسماء وذلك سنة ثمان وسبعين وثلثمائة .

بعد هذا السرد الشامل للآراء والاتجاهات المختلفة ، التى وردت فى كتب السيرة والمراجع التاريخية ، أصبح من العسير بل قد يكون فى حكم المستحيل ، تحقيق نسبة مصحف على وعثمان إليهما ، أو حتى الإدلاء برأى فى أصل المصحفين الموجودين بمسجد الحسين رضوان الله عليه . ذلك أن بعض المراجع ، كما رأينا ، وخاصة القديمة منها ، تقول إن مصحف عثمان كان ولا يزال موجودا بالمدينة ، والبعض يقول بوجوده بمكة وفريق ثالث يقول بوجوده عند العباسيين ، ورابع يقول بطوس ، بل إن فريقا خامسا يذكر أن خلفاء المغرب كانوا يحتفظون به . أما مؤرخو مصر الإسلامية فيؤكد معظمهم وجوده بمصر . ولم يقف الاختلاف عند هذا الحد فحسب بل تناول إشكالا آخر ، هو : هل المقصود بمصحف عثمان ، هو المصحف الذى يمتلكه سيدنا عثمان شخصيا ؟ أم أنه أحد المصاحف الأربعة التى أرسلت إلى الأمصار ؟ فمن المراجع ما تقول إنه مصحف عثمان الشخصى ، وتدل على ذلك بوجود أثر الدماء التى سقطت عليه وقت مقتله ، بل أكثر من هذا ، أنها تحدد السورة والآية التى عليها آثار الدماء .

إزاء هذا كله ، كان لا بد من الاستعانة بوسائل أخرى علمية ومادية ، فرأيت أن أرجع إلى تاريخ الخط العربى فى القرن الأول الهجرى وإلى تاريخ فنون الكتاب فى ذلك الوقت ، كذلك إلى تعرف نوع القرطاس والمداد والزخارف وما إليها لعلى استطيع على ضوئها أن أدلى برأى فى أصل المصحفين الموجودين بالقاهرة بمسجد الحسين رضوان الله عليه .

من المعلوم أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة بل نزل منجما بالتدريج في مدة البعثة كلها ، أى ثلاث وعشرين سنة ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث والآية جوابا لمستخبر ، ونزل بعضه في مكة وبعضه في المدينة ، وقد جمع على عهد الرسول (ﷺ) وكان ترتيب آيه وسوره بتوقيف منه ، فكان إذا نزلت عليه (ﷺ) آية دعا بعض من يكتب له وأمرهم بأن يضعوها في موضع كذا من سورة كذا وإذا نزلت سورة أمر بوضعها بجانب سورة كذا ، فكانوا يكتبونها على الرقاع من الجلود والعريض من العظام ، كالأكتاف والأضلاع وعلى العصب وهي قحوف جريد النخل ، أو المخاف وهي الحجارة العريضة البيضاء . وبعد وفاة الرسول جدت أسباب وعوامل عدة دعت خلفاءه إلى ضرورة جمع القرآن في مصحف خوفا عليه من الضياع ، من أهمها تلك الحروب التي قام بها المسلمون لفتح الأمصار ونشر الدعوة الإسلامية وحمائتها وما سبقها من حرب أهل الردة حين ارتد بعض أهل الجزيرة عن الإسلام ، في عهد الخليفة أبي بكر . وقد استشهد في هذه الحرب وخاصة في موقعة اليمامة أكثر من ألف ومائتين من الصحابة بينهم سبعون من القراء ، فلما بلغ ذلك أهل المدينة فزعوا فزعا شديدا خشية أن يضيع من القرآن شيء بموت أهله ، وأشار عمر على أبي بكر بجمعه وتدوينه ، فاختر أبو بكر لذلك زيد بن ثابت وقد كان من كتبة الوحي ، فتتبع زيد القرآن يجمعه من الرقاع والعصب واللخاف ومن صدور الرجال ، وجمعه في مصحف . فقد أورد البخارى (١) في صحيحه عن زيد ابن ثابت قال : أرسل إلى أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة وعنده عمر ، فقال أبو بكر « إن عمر أتاني فقال « إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء

(١) روح المعاني للألوسى ج ١ ص ٢١ ، السيوطى ص ٣٠ .

القرآن ، وإني لأخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القراء إلا أن يجمعه ، وإني لأرى أن يجمع القرآن . « فقلت لعمر « كيف لشيء لم يفعله رسول الله ﷺ » فقال عمر « هو والله خير » فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدرى فرأيت الذي رأى عمر . قال زيد وعمر عنده لا يتكلم ، فقال أبو بكر ، إنك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن . فقلت كيف تفعّلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ فقال أبو بكر هو والله خير ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعصب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » إلى آخرها . فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها . وذكر أبو يعلى عن علي أنه قال : « أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر ، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين » .

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد الخليفة عثمان ، ودخل الإسلام كثير من الشعوب غير الناطقة بالضاد ، كانت الحاجة ماسة إلى استنساخ عدة نسخ من المصحف الموجود عند السيدة حفصة . ويذكر ابن النديم^(١) رواية

(١) الفهرست ص ٢٥ .

عن حذيفة بن اليمان الذى حارب فى غزوة ارمينية وأذربيجان يقول فيها :
 رأيت من سقرى اختلافاً بين المسلمين فى قراءة بعض الآيات وسمعت بعضهم
 يقول لبعض « قرأتى خير من قرأتك » . كذلك يذكر أبو الفدا^(١) :
 « لما تفرق المسلمون فى الأمصار وفيهم القراء وعند بعضهم نسخ من القرآن ،
 وكل منهم رتبها ترتيباً معيناً ، فعول أهل كل مصر على من قام بينهم من
 القراء ، فأهل دمشق وحمص مثلاً أخذوا عن المقداد بن الأسود ، وأهل الكوفة
 أخذوا عن ابن مسعود وأهل البصرة عن أبي موسى الأشعرى وكانوا يسمون
 مصحفه « لباب القلوب » . ولم يقتصر الخلاف بين المصاحف على ترتيب
 السور فقط بل تعداه إلى الاختلاف فى قراءة بعض السور . فلما علم عثمان بهذه
 الأنباء وأنذره المسلمون بسوء العقبى إن لم يتلاف الأمر وقالوا له « أدرك هذه
 الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » .

فأرسل عثمان إلى السيدة حفصة يطلب منها « أن أرسلى إلينا الصحف
 ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك » ثم استدعى زيد بن ثابت وعبد الله
 ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث من كتاب الوحي
 وأمرهم أن ينسخوا الصحف فى المصاحف ، وقال للقرشيين الثلاثة ، ماختلفتم
 فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم . فكتبوا ستة مصاحف
 وكان ذلك فى السنة الثلاثين للهجرة ، أربعة منها أرسلها عثمان إلى الأمصار الأربعة
 مكة والبصرة والكوفة والشام واثنان أبقاها فى المدينة واحد لأهلها وواحد
 لنفسه وهو الذى عرف بالمصحف (الإمام) . وفى رواية^(٢) أخرى أنه أرسل
 إلى اليمن والبحرين

(١) أبو الفدا ج ١ ص ١٧٦ .

(٢) روح المعاني للألوسى ج ١ ص ٢ .

وقد أمر عثمان بعد نسخ هذه المصاحف بجمع كل ما كان مكتوباً قبل ذلك من المصاحف والصحف فأحرقت ، وأصبح مصحف عثمان هو المعول عليه غيره ، وقد استنسخ المسلمون منه مصاحف كثيرة . ويروى أن عدد المصاحف التي رفعها جند معاوية في واقعة صفين بينه وبين علي بن أبي طالب بلغ نحواً من خمسمائة مصحف ولم يمس على مصحف عثمان غير سبع سنوات فقط . ولما اختلط العرب بالأعاجم وتصاهروا معهم وتناسلوا منهم ظهر جيل جديد فشا في كلامه اللحن ، وأخذ الفساد يتطرق إلى اللغة العربية ، ومن ثم إلى قراءة القرآن ، لذلك أصبح وضع الحركات أمراً لا مفر منه ، فأمر زياد ابن أبيه والى العراق أبا الأسود^(١) الدؤلي بوضع النحو سنة ٦٧ هـ ، فاستعان أبو الأسود بنقط تعرف بها الحركات تميزاً للاسم من الفعل من الحرف . ومن المرجح^(٢) أن يكون قد اقتبس ذلك من جيرانه السريان أو الكلدان في العراق . وكانت طريقة الدؤلي في شكل آخر الكلمات أن استحضر كاتباً وقال له أبو الأسود^(٣) « إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه ، وإذا ضمنت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف » . وكانت هذه النقط تكتب بلون يخالف لون مداد الخط . وكان هذا هو الإصلاح الأول للخط العربي بقصد ضبطه وشكله ، أما الإصلاح الثاني فقد حدث في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦-٩٦ هـ) عندما كثر التصحيف والتبس على الناس القراءة لتكاثر الأعاجم من القراء ، والعربية ليست لغتهم ، فضعب عليهم التميز

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ١٢٧ .

(٢) اللعة الشهبية في اللغة السريانية للميداني ص ٢١ .

(٣) ابن النديم ص ٤٠ .

بين الحروف المتشابهة في شكلها كالجيم والمحاء والخاء ، والباء والتاء والثاء ،
والصاد والضاد والسين والشين وما إليها . يقول ابن خلكان ^(١) « ففزع
الحجاج إلى كتابه وسألهم أن يصنعوا لهذه الأحرف المتشابهة علامات تميزها
بعضها عن بعض » ويقال أن نصر ^(٢) بن عاصم قام بذلك ، فوضع الاعجام
بمعنى (النقط) فنقطت الحروف بنفس مداد الخط لأن نقط الحرف
جزء منه .

يؤخذ من ذلك أن العرب استخدموا الحركات ، وهى على هيئة نقط
بمداد يخالف لون مداد الخط ، والاعجام وهى نقط ، بنفس مداد الخط .
وكان ذلك فى النصف الثانى من القرن الأول ^(٣) الهجرى ، أى فى عصر
الدولة الأموية .

أما الإصلاح الثالث فقد حدث فى العصر العباسى الأول ، عندما وجدت
الحاجة ماسة إلى المخالفة بين الشكل الذى وضعه الدوئى على هيئة نقط بمداد
مخالف لمداد الكتابة وبين النقط (الاعجام) الذى وضعه نصر بن عاصم ،
أفرادا وأزواجا على بعض الحروف أو تحتها بنفس مداد الكتابة ، مما جعل
الأمر يختلط على القارىء . لذلك قام الخليل بن أحمد الفراهيدى ^(٤) بمهمة
إبدال النقط التى وضعها الدوئى للدلالة على الشكل ، بجرات علوية للدلالة على
الفتح ، وسفلية للدلالة على الكسر ، وجرة برأس واو للدلالة على الضم ،

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٥ .

(٢) الفهرست ص ٤٢ .

(٣) ورد فى طبقات الأدباء أن أبا الأسود الدوئى توفى سنة ٦٧ هـ ونصر بن عاصم اللببى توفى سنة

٨٩ هـ وفى رواية أخرى توفى سنة ٩٠ هـ بالبصرة .

(٤) توفى الخليل بن أحمد الفراهيدى سنة ١٦٠ هـ كما ورد فى طبقات الأدباء .

واصطلح على أن يكون السكون الخفيف رأس خاء بلا نقط أو دائرة . وهكذا أصبح من الممكن أن يجمع الكاتب بين شكل الكتابة ونقطها بلون مداد واحد لا لبس فيه .

أما عن أدوات الكتابة في القرن الأول الهجري ، فإنهم اتخذوا من القصب أقلاما للكتابة وهي تشبه (أقلام البسط) عندنا اليوم ، وكانوا يصنعون المداد من مسحوق من الفحم أو من الهباب المذاب في سائل لزج كالصمغ أو نحوه . وأما عن الوسيلة التي كانوا يكتبون عليها ، فإن أقدم ما كتب فيه العرب بعد الإسلام هو الرق وهي الجلود ، كما كتبوا على الأقمشة وخاصة النسيج المصرى المصنوع من خيوط الكتان وكان يسميه العرب القباطى نسبة إلى الأقباط ، وعليه كتبت المعلقات السبع^(١) قبل الإسلام . كذلك كتبوا على الخشب أو على العظام وعلى قطع الخزف والأحجار . ولما فتحوا مصر اتخذوا البردى قرطاسا لمكاتباتهم وخاصة في العصر الأموى . ويوجد بمتحف الفن الإسلامى وكذا بدار الكتب نماذج كثيرة من الخط العربى المورخ ، ترجع إلى القرن الأول الهجرى ، فمن ذلك شاهد قبر من الحجر مورخ سنة ٣١ هـ ، وغنود بيع وشراء وزواج على أوراق البردى من القرن الأول الهجرى ، وهناك قطعة من النسيج عليها كتابة مورخة ترجع إلى القرن الأول محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة

وفي العصر العباسى ظهر نوع جديد من القرطاس يعرف بالكاغد وهو عبارة عن ورق مكسو بطبقة من الشمع يجعله يشبه في مظهره الرق . ومن المرجح^(٢) أن يكون العرب أخذوا صناعته عن الصين ، لأن الصينيين برعوا

(١) الأزرق ص ٥٨ .

(٢) الفهرست ص ٤٠ .

في صناعة الورق قبل الميلاد ، وكانت هذه الصناعة منتشرة في بلادهم . فلما فتح المسلمون سمرقند أخذوا هذه الصناعة عنهم ، ولكنها لم تنتشر إلا في العصر العباسي الأول ، عندما شحت الرنوق والجلود ولم تف بحاجة المكاتب والمراسلات والمؤلفات . فقد حدث عندما تولى خالد بن برمك أمر الوزارة في عهد أبي العباس السفاح ، أن غير خالد الدفاتر من الأدراج إلى الكتب ، فظلت أعمال الحكومة تدون في كتب من الجلد حتى كان عهد هارون الرشيد ، فأتخذ وزيره جعفر بن يحيى البرمكي الكاغد فتداوله الناس . ويقول ابن النديم^(١) أن الناس تداولوا الكاغد من بعد جعفر ، وظلوا مع ذلك أجيالا يكتبون على الجلد والقراطيس والورق الصيني والتهاى والخراساني .

ولقد عني المسلمون بالمخطوطات عناية جعلتها تحفا فنية ثمينة ، فكانت المصاحف الشريفة ميدانا لفن تجويد الخط . وكان الخطاطون يكتبونها في البداية بضروب شتى من الخط الكوفي الذي تطور على أيديهم حتى بلغ أوج عظمته في القرن الخامس الهجري . ومن فنون الكتاب التي ازدهرت في العصر الإسلامي ، فن تزيين المخطوطات بتذهيب بعض صفحاتها أو بتذهيبها كلها ، وقد كان الخطاط يتم كتابة المخطوط مع توك فراغات في بعض الصفحات لشغلها بالنقوش النباتية والهندسية المذهبة ، وذلك في الصفحات الأولى والأخيرة وبداية فصوله وعناوينه وغير ذلك من الزخارف المتفرقة . على أن زخرفة المصاحف بالتذهيب لم تظهر إلا في النصف الثاني من القرن الأول الهجري .

* * *

بعد هذا العرض الوافي لموضوع (فن الكتاب) أصبح من الميسور أن نطبق أصوله على المصحفين ، موضوعي البحث ، لعلنا نستطيع أن ندلى برأى يقوم على أسس علمية فنية يمكن الاطمئنان إليه في تأريخهما ونسبتهما .

مصحف علي بن أبي طالب

فالبنسبة إلى المصحف المعروف (بمصحف علي) نلاحظ أنه لم يذكر في المراجع التاريخية إلا على قلة ، وفي إشارات عابرة ، هذا إلى أننا لم نعثر على نص تاريخي يشير إلى وجوده بمصر في أوائل العصر الإسلامي .

والمصحف المنسوب إلى علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه والمحمول بمسجد الحسين رضوان الله عليه يتكون من (٥٠٤) صفحات من الرق ومكتوب بمداد بميل إلى السواد . أما خط المصحف فهو كوفي بسيط نمتطت حروفه بنقط حمراء للشكل وأخرى سوداء للإعجام . وسأتناول ملاحظاتي عليه بالتفصيل فيما يلي :
أولاً : خط المصحف كوفي بسيط ذو زوايا قائمة وخال من الزخارف الكتابية ، ويشبه إلى حد كبير كتابات العراق على الرق في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري . (انظر لوحة رقم ١٣) .

ثانياً : استخدام الرق في هذا المصحف الذي يبلغ عدد صفحاته (٥٠٤) يرجح عدم ظهور الكاغذ أو غيره من أنواع القراطيس التي انتشرت في العصر العباسي ، ولذا فمن المرجح أن يكون هذا المصحف من العصر الأموي .

ثالثاً : وجود النقط الحمراء للتشكيل والنقط السوداء للإعجام في المصحف (انظر لوحة رقم ١٣) يقطع بأنه لم يكتب قبل عصر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، وهو العصر الذي تولى فيه الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية العراق ، وطلب من نصر بن عاصم إعجام الحروف بمعنى نقطها . كما أنه من المؤكد لم يكتب بعد سنة ١٦٠ هـ^(١) ، حين اختفت النقط الحمراء وحل محلها

(١) هي السنة التي توفي فيها الخليل بن أحمد الفراهيدي .

الجلات للدلالة على الشكل التى وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدى فى أوائل العصر العباسى ، كما سبق أن بينا .

رابعا : من الثابت أن الحجاج بن يوسف الثقفى أرسل مصحفًا إلى مصر ، ومن المرجح جدا أن يكون عبد العزيز بن مرزان ، قد وضعه فى جامع عمرو - إذ لم يكن فى القسطنطينية مسجد جامع غيره - ومن المرجح كذلك أنه عندما حرق مدينة القسطنطينية فى نهاية العصر الفاطمى فى القرن السادس الهجرى ، خشية استيلاء الفرنجة عليها ، وتصدع بنيان جامع عمرو - أن يكون هذا المصحف قد نقل مع غيره من المصاحف ، ووضع مع مخلفات الرسول (ﷺ) فى رباط الآثار الذى بنى فى أوائل القرن السابع . وهو الوقت الذى بدأت بعض المراجع تشير إلى وجود مصحف لعل بن أبى طالب ، فقد ذكر ابن بطوطة فى رحلته إلى مصر عند كلامه على رباط الآثار والمخلفات النبوية ، أنه كان يوجد بينها « مصحف أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى بخط يده رضى الله عنه » .

وجاء فى الخطط التوفيقية عن ابن الطولونى ، عند نقل الآثار النبوية إلى قبة الغورى « كما رتبها بنظره الشريف (يعنى القبة) ليكون فيها ما خصها الله تعالى من تعظيمها بالمصحف الشريف العثمانى والآثار النبوية وغير ذلك من المصاحف وربعات » وهنا نلاحظ أن ابن الطولونى أشار إلى وجود مصاحف أخرى غير المصحف المنشوب إلى عثمان ولكنه لم ينسب مصحفًا منها إلى على ، كما نلاحظ - فيما نقله أحمد تيمور عن الشيخ شمس الدين محمد ابن أبى السرور البكرى ، فى الكواكب السيارة ، عند كلامه على المخلفات النبوية ونقها إلى قبة الغورى ونصه « وضم إليها أشياء من آثار الأوليا » - أنه لم بسم مصحفى عثمان وعلى أو يشير إليهما .

خامسا : ليس من المقبول عقلا أن يكون بمصر مصحف لعليّ بن أبي طالب قبل أو أثناء الحكم الفاطمي ، ثم لا تشير إليه المراجع ضمن تحفهم أو كنوزهم التي يقصر عنها الوصف ، والتي نكتفي هنا بالإشارة إلى خزانة الكتب فيها ، إذ يقول زكي^(١) حسن « كانت خزانة الكتب الفاطمية تحتوى على أربعين قسما ، منها قسم فيه ثمانية عشرة ألف كتاب في العلوم القديمة . وبلغت جملة ما في الخزانة من الكتب نحو مليون وستمائة ألف وقيل مليونين » .

ومن العجيب حقا أننا لا نسمع عن مصحف عليّ بن أبي طالب في عصر الفواطم ، وهم شيعيون يدعون نسبهم إلى السيدة فاطمة الزهراء زوجة عليّ بن أبي طالب ، وإنما نسمع عنه في القرن الثامن الهجري عند زيارة ابن بطوطة لمصر .

والذي نؤكد هنا ، أنه أو كان هناك مصحف لعليّ ظل موجودا حتى عصر الدولة الفاطمية ، في أي مكان من أرجاء العالم الإسلامي ، لبذل الفواطم كل مرتخص وغال في سبيل الحصول عليه . يؤيد هذا تشيعهم الشديد لعليّ ، وقوتهم السياسية ، التي مكنتهم في وقت من الأوقات من المناداة باسمهم في بغداد قلب الدولة العباسية على يد البساسيري . هذا بالإضافة إلى ثرائهم العريض وانتعاش دولتهم الاقتصادي ، اللذين مكناهم من الحصول على كل ما يرغبون فيه حتى على الرجال ، فقد اجتذبوا بمالهم كبار الشعراء من جميع أنحاء العالم الإسلامي وأتوا بهم إلى مصر .

لكل هذه الأسباب فإنني أنفي نسبة هذا المصحف لعليّ بن أبي طالب ، وأؤكد تاريخه في الفترة التي تقع بين النصف الثاني من القرن الأول الهجري

(١) كنوز الفاطميين ص ٢٨ .

والنصف الأول من القرن الثاني وعلى وجه التحديد من (٦٧ هـ إلى ١٦٠ هـ) ،
على أنه. ليس من المستبعد أن يكون أحد المصاحف التي أرسلها الحجاج بن
يوسف الثقفي إلى الأمصار .

هذا ونلاحظ أن الصفحة الأولى من المصحف (لوحة رقم ١١) لاتعاصر
باقي المصحف ، لأسباب عدة أهمها : أسلوب الخط وكذا زخرفة الأرضية التي
جاءت فوقها الكتابة ، وهي كما نرى زرقاء وعليها زخارف نباتية غاية في
الدقة والإتقان . وتتكون العناصر الزخرفية من أوراق نباتية مذهبة ، ومثل
هذا الأسلوب من الزخرفة نجده في المصاحف المصرية في العصر العثماني . كما أن
الصفحة الأخيرة (لوحة رقم ١٢) مكتوبة بخط ثلث مملوكي ، والصفحة
محاطة بشريط زخرفي يشبه الشريط الذي يحيط بالصفحة الأولى مما يرجح
أن الصفحتين أضيفتا في وقت واحد . أما الزخارف المذهبة المنقوشة على
ارتفاع الصفحات من الخارج (لوحة رقم ١٥) فهي ذات أسلوب عثماني ظاهر ،
وكذا جلدة المصحف فهي من الجلد المزخرف برسوم نباتية وهندسية مذهبة
ومضغوطة (لوحة رقم ١٤) وترجع إلى العصر العثماني .

* * *

مصحف عثمان بن عفان

أما المصحف المنسوب إلى سيدنا عثمان بن عفان فيتكون من (١٠٨٧) صفحة من الرق ومكتوب بمداد بني داكن . واسلوب الخط كوفي بسيط وإن كان أكثر تطورا من خط المصحف المنسوب إلى سيدنا علي ، ولكنه خال من النقطة الحمراء والسوداء . وسأتناول ملاحظاتي عليه بالتفصيل فيما يلي :

أولا : أن الخط كوفي بسيط وخال من الزخارف الخطية ، ولكن يظهر فيه أثر الصنعة الخطية والتطوير ، مما لا نجده في خطوط النصف الأول من القرن الأول الهجري ، وذلك بمقارنته بالخطوط المكتوبة على مواد مختلفة مثل الحجر والنسيج والجلود والعظم ، والتي تزخر بها متاحف العالم وترجع إلى تلك الفترة (اللوحة رقم ١٦) لذلك فإني أؤكد تأريخه إلى النصف الثاني من القرن الأول على أقل تقدير . كما أرجح نسبة الخط إلى مصر في تلك الفترة والذي يمتاز بامتداد الحروف المتوسطة ، ويمكن مقارنته بصفحة من مصحف مكتوب على الرق ومحموظ بمتحف برلين القسم الإسلامي (لوحة رقم ١٧) .

ثانيا : استعمال الرق في مصحف عدد صفحاته (١٠٨٧) صفحة ، وبالحجم الكبير إذ تبلغ مساحة الصفحة (٥٧×٧٥ سم) يرجح عدم وجود أوراق الكاغد ، أو أوراق الخراساني مما ظهر في العصر العباسي الأول في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وقت أن كتب ، وبالتالي أنه كتب قبل هذا التاريخ ثالثا : الزخارف الفاصلة بين السور بسيطة تناسب نهاية القرن الأول (لوحة رقم ١٦) ويمكن مقارنتها (بلوحة رقم ١٧) .

رابعا : أن المصحف المعروف بمصحف (أسماء) وهو مصحف عبدالعزيز ابن مروان ، والذي أرجح أن يكون هو المنسوب إلى عثمان ، ظل محفوظا بمسجد عمرو

ابن العاصن طوال أربعة قرون موضع التقدير والإعزاز حتى بعد أن جاء العراقي بالمصحف الذى قيل عنه أنه مصحف عثمان ، والذى أنكره وقتذاك أهل مصر ، إذ قالوا « لأن نقله لم يثبت بحكاية رجل واحد » .

خامسا : لعل خلل الحروف من النقط الحمراء التى وضعها أبو الأسود الدؤلى للدلالة على الشكل والنقط السوداء التى وضعها نصر بن عاصم فى عهد عبد الملك بن مروان ، للاعجام ، أراد به عبد العزيز بن مروان أن يثبت للحجاج أن جندا هو فيه ليس فى حاجة إلى هذه الشارات ، فجاء المصحف خلوا منها . فقد كان للعرب فى ذلك الحين آراء متعارضة فى الشكل والاعجام ، فالبعض يؤيده والبعض يعارضه ويرون فى نقط الحروف وشكلها سوء ظن فى المكتوب إليه .

سادسا : كان من الطبيعى عند مجيء الدولة الفاطمية وهى شيعية المذهب أن تهمل شأن كل مخلفات السنيين من الخلفاء والولاة ، وقد ثبت ذلك عندما أبطلت القراءة فى مصحف (أسماء) فى عصر ثانى خلفاء الفاطميين العزيز بالله سنة سبع وثمانين وثلثمائة . هذا بالإضافة إلى أن بناء عاصمة جديدة لهم وهى القاهرة وإنشاء الأزهر ، كان من شأنه أن يقلل من أهمية جامع عمرو ، وما به من المخلفات ، ولذا لم نسمع شيئا عن مصحف (أسماء) طوال العصر الفاطمى ، ولما تعاقبت الدول بعد ذلك كان مصحف (أسماء) قد فقد اسمه ونسبه وإن لم يفقد تاريخه .

سابعا : ولما جاءت الدولة الأيوبية ، وهى سنية المذهب ، بدأنا نسمع عن وجود مصحف منسوب إلى سيدنا عثمان رضوان الله عليه ، محفوظ فى خزانة كتب المدرسة الفاضلية ، إذ يقول المقرئى^(١) « بنى المدرسة الفاضلية

(١) الخط ج ٤ ص ١٩٧ .

القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني بجوار داره في سنة ثمانين وخمسمائة .
 ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب من سائر العلوم . ويقال أنها كانت
 مائة ألف مجلد ذهبت كلها وكان أصل ذهابها أن الطلبة كانت بها لما وقع
 الغلاء بمصر سنة أربع وتسعين وستمائة والسلطان يومئذ الملك العادل كتبغا
 المنصوري ، مسهم الضر فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب
 معظم ما كان فيها من الكتب ، ثم تداولت عليها يد الفقهاء بالعارية فتفرقت .
 وبها الآن مصحف قرآن كبير القدر جدا مكتوب بالخط الأول الذي يعرف
 بالكوفي تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان ، وهو في خزانة مفردة بجانب
 المحراب من غربيه وعليه مهابة وجلالة ، وإلى جانب المدرسة كتاب برسم
 الأيتام وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها وقد تلاشت
 لخراب ما حولها . ويضيف القسطلاني^(١) عند كلامه عن المدرسة الفاضلية
 وخزانة كتبها فيقول « ولم يبق منها إلا المصحف الكبير المكتوب بالخط
 الأول الكوفي المعروف بمصحف عثمان ويقال إن القاضي الفاضل اشتراه بنيف
 وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان في
 خزانة مفردة بجانب المحراب من غربيه ، ولم يزل بها حتى خرب ما حول
 المدرسة المذكورة وآل أمرها إلى التلاشي فنقله السلطان الأشرف أبو النصر
 قنصوه الغوري ، وأجرى الله تعالى على يده الخيرات ، وختم أعماله بالصالحات
 كما نقل الآثار النبوية لاستيلاء السراق على القاطنين بمحلها ، وعدم الأمن
 وخوف الضياع ، إلى القبة التي أنشأها تجاه مدرسته الشريفة بقرب الاقباعيين
 داخل باب زويلة والخرق من القاهرة المعزية » ومن المرجح أن يكون مصحف

(١) مناقب الشاطبي للقسطلاني ص ١٩ .

المدرسة الفاضلية المنسوب إلى عثمان بن عفان هو مصحف (أسماء) اشتراه القاضي الفاضل بعد أن احترقت مدينة الفسطاط في آخر الدولة الفاطمية خشية استيلاء الفرنجة عليها ، وأصبحت خرابا يبايا ، وأهمل شأن جامع عمرو وتصدع بنيانه ، وبالتالي فقد أصبحت ودائعته مجهولة الأصل ، ومن مصلحة البائع أن يسمى مصحف (أسماء) بالاسم الذي يدر عليه ثمننا أكبر وليس من شك في أن نسبته إلى عثمان أفضل من نسبته إلى أسماء .

ثامنا : لو سلمنا جدلا بصحة رواية مجيء مصحف عثمان من العراق في القرن الرابع الهجري إلى مصر ، فمن المفروض أن نجد به الورقة الأخيرة التي قرأها المقرئ والمقرئى والتي بقيت إلى القرن التاسع الهجري ، ولكن المصحف الذي بين أيدينا لا توجد به هذه الورقة . هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإن المقرئى ، ذكر أنه رأى هذا المصحف في جامع عمرو ، ثم يعود فيقول عند كلامه على المدرسة الفاضلية ما نصه « وبها الآن مصحف قرآن تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان » . ومعنى هذا أنه كان يوجد في مصر في زمن المقرئى مصحفان ينسبان إلى عثمان بن عفان ، فأى المصحفين يا ترى هو مصحف عثمان ؟ .

لكل هذه الأسباب فإننى أنفى نسبة المصحف إلى عثمان بن عفان وأؤكد تاريخه إلى الفترة ما بين نهاية القرن الأول وأوائل القرن الثانى الهجرى ، وأرجح أن يكون هو المصحف الذى أمر بكتابتة والى مصر عبد العزيز ابن مروان المتوفى سنة ٨٦ هـ ، والذى عرف باسم حفيدته أسماء وهو بذلك أقدم مصحف كتب بمصر . أما جلد المصحف (لوحة ١٨ ، ١٩ ، ٢٠) فإنها جددت في عصر السلطان الغورى وهو آخر سلاطين دولة المماليك .

تعريف باللوحات

لوحة رقم (١)

تبين هذه اللوحة مشهد الحسين رضي الله عنه ، وقد ظهر فيها الباب الأثرى المعروف بالباب الأخضر ، وهو الجزء الوحيد الذي لا يزال قائما من العصر الفاطمي ، والذي أخذ اسمه من قصر الزمرد الذي أقيمت مكانه القبة التي شرفت بوجود الرأس الشريف . والباب كما نرى مبنى من الحجر وتعلوه شرفات مسننة جميلة ، وعلى يساره زخارف جصية عبارة عن دائرة تحتوى على نقوش نباتية دقيقة ، وهي تشبه إلى حد كبير تلك النقوش التي تزخرف واجهة مسجد الأقمر الذي بنى في العصر الفاطمي سنة ٥٥٥ هـ . ويعلو الباب القاعدة المربعة للمئذنة التي أنشأها في العصر الأيوبي أبو القاسم ابن يحيى المعروف بالزرزور سنة ٦٣٣ هـ وأتمها ابنه سنة ٦٣٤ هـ ، ونرى على هذا الجزء زخارف جصية تحتوى على نقوش نباتية دقيقة ، كما أنه يحتوى على لوحين تذكاريين تبينان تاريخ إنشاء المئذنة ، وقد ورد في إحداها مانصه : « الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه . وكان تمامها على يدى ولده محمد ، سنة ثلاثة وثلاثين وستة مائة عفا الله عنه » .

ونص الثانية : « بسم الله الرحمن الرحيم الذي أوصى بإنشاء هذه المأذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين تقربا إلى الله ورفعاً لمنار الإسلام الحاج إلى بيت الله أبو القاسم ابن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور تقبل

الله منه . وكان المباشر لعمارته ولده لصلبه الأصغر الذى أنفق عليها من ماله بقية عمارته خارجا عما أوصى به والده المذكور . وكان فراغها فى شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة « ويعلو القاعدة المربعة باقى المثلثة وهو على شكل المسلة ويرجع إلى العصر العثمانى .

لوحة رقم (٢)

تبين هذه اللوحة القبة التى تعلو حجرة المشهد ، وهى كما نرى مزخرفة بنقوش زيتية ومذهبة غاية فى الدقة والإبداع ، وقد عملت هذه الزخارف الزيتية أولا فى العصر العثمانى على يدى عبد الرحمن كتحذا سنة ١١٧٥ ثم جدد الطلاء فى عهد عباس حلمى الثانى . وقد كتب فى المثلثات الكروية التى توجد فى أركان الحجرة المربعة والتى تقوم فوقها القبة ، أربعة أبيات من الشعر وضعها محمد على الببلاوى وهى :

ركن هذا المقام	جنة عدن	من أتاه	يفوز بالمأمول
ركن هذا المقام	ركن سديد	نال فيه الداعون	حسن القبول
ركن هذا المقام	كعبة مصر	زاد مجدا	بالسيد بن البتول
ركن هذا المقام	حاز فخارا	بالإمام الحسين	سبط الرسول

ونلاحظ أن القبة يتخللها نوافذ قد ملئت بالنقوش الجصية المخرمة (والمعشقة) بالزجاج المتعدد الألوان .

لوحة رقم (٣)

تبين هذه اللوحة أحد جدران القبة المطل على المسجد وقد كسى بالرخام والصدف المزخرف بطريقة الفسيفساء . وقوام الزخرفة كما نرى

عبارة عن رسوم هندسية بحتة ، وهى الزخارف التى امتاز بها الفن الإسلامى
والتي أطلق عليها الأوروبيون كلمة (أرابيسك) . وترجع هذه الزخارف إلى
القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) .

لوحة رقم (٤)

تبين هذه اللوحة باب غرفة المخلفات النبوية ، التى أضيفت إلى المشهد
سنة ١٣١٠ هـ ، والتي تقع جنوب القبة وفى الطرف الجنوبى الشرقى للمسجد .
والباب كما نرى من خشب الساج الهندى المصفح بجامات من النحاس
المنقوش . ويعلو الباب عقد ويكتنفه من جانبيه عمودان من الرخام المنقوش
بزخارف نباتية وهندسية وكتابية بديعة .

لوحة رقم (٥)

توضح هذه اللوحة الواجهة الغربية للمسجد الحسينى التى تطل على
حى خان الخليلى . وقد جددت هذه الواجهة كما جدد المسجد فى عهد
الثورة المجيدة فقد بدأ التجديد سنة ١٩٥٩ وتم سنة ١٩٦٣ . ونلاحظ أن
بالواجهة عديدا من النوافذ والفتحات ، فالعلوية منها تتكون من عقد مدبب
يحتوى على ثلاث فتحات وبجانب العقد مثلث يحتوى على فتحتين وهكذا
على التوالى . أما النوافذ السفلى فعبارة عن مستطيلات ملئت بالنحاس المعمر
والمنقوش برسوم هندسية جميلة . ويتوسط الواجهة باب معقود وبطرف
الواجهة الجنوبى الغربى توجد مثذنة على شكل مسلة وترجع إلى العصر العثمانى .

لوحة رقم (٦)

توضح هذه اللوحة جزءاً من جوانب التابوت الخشبي الذي
عثر عليه تحت المقصورة فوق التركيبة الحجرية التي تحتوى على الرأس
الشريف . وكان التابوت يحيط بالتركيبة من ثلاثة جوانب ، وحجمه
١٨٥ متر في ١٣٢ متر في ١٣٥ متر . وهو من خشب الساج الهندي مكون
من حشوات مجمعة ، زخرفت كل حشوة منها على حده قبل تجميعها . وقد
ظهر هذا الأسلوب في زخرفة الأخشاب في نهاية العصر الفاطمي وانتشر في العصر
الأيوبي . أما زخارف هذه الحشوات فهي تجمع بين زخارف نباتية وأخرى
هندسية وكتابية ، وكلها محفورة حفرا عميقا وبارزا حتى يظهر وكأن أرضيته
مفرغة . ونلاحظ أن الوحدات الهندسية تحتوى على عناصر نباتية ثم يحيط
بالوحدات أشرطة كتابية بعضها بالخط الكوفي المزهر والآخر بالخط النسخي
الذي ظهر في مصر في آخر العصر الفاطمي وانتشر وتطور في العصر الأيوبي .
ويرجع تاريخ التابوت إلى القرن السادس الهجري ومن المرجح أن يكون عن
عمل صلاح الدين الأيوبي .

لوحة رقم (٧)

هذه أسطوانة من الزجاج بداخلها أربع شعرات للرسول صلى الله
عليه وسلم ومن المرجح أن يكون من شعر الرأس ، إذ يبلغ طول إحداها
٧ سم تقريبا ، ولونها كستنائي . وقد ثبتت الشعرات في شمع في وسط
الأسطوانة كما هو ظاهر في اللوحة ، وهي محفوظة مع باقي الشعرات وغيرها
من المخلفات النبوية بالحجرة الخاصة بمشهد الحسين رضوان الله عليه .

لوحة رقم (٨)

تبين هذه اللوحة (بقعجه) تحتوى على ثلاث قطع من النسيج يطلقون عليها جميعا (قميص الرسول) ، ولكنها هى أجزاء من لباسه صلى الله عليه وسلم ، فمنها قطعة من الكتان ليست مخيطة ، والكتان غير مبيض وتدل خيوطه الدقيقة على أنه من الكتان الجيد ، إذ يبلغ عدد الخيوط فى السنتيمتر الواحد عشر فتلات ، وهى منسوجة نسيج يدوى . ومن المرجح أن تكون هذه القطعة الكتانية ، جزءا من قميص (قباطى) من تلك الأثواب القبطية ، التى أهداها المقوقس للرسول صلى الله عليه وسلم . أما القطعتان الأخريان ، فهما من القطن ، منسوجتان كذلك نسجا يدويا وقد تكونا من القميص أو الأثواب (السحولية) ، مما تركه الرسول فيما ترك من أنواع اللباس .

لوحة رقم (٩)

تبين هذه اللوحة جزءا من قضيب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو من خشب الشوحط ، نوع من أنواع (الأرز) . وصيانة لهذا التراث الشريف فقد كسى معظم القضيب بغلاف من الفضة الجيدة ، كما هو ظاهر فى الصورة . ويبلغ طول الغلاف الفضى ١٨ر٤ سم ، والجزء الظاهر من العصى ٤ سم ، كذلك دهنت العصى بطبقة من الراتنج ، صيانة لها من التآكل والتسويس .

لوحة رقم (١٠)

تبين هذه اللوحة مكحلة الرسول ومروده . والمكحلة تشبه الملعقة ، وهى من النحاس غلف مقبضها بغلاف من الفضة ، ويبلغ طول الملعقة

٣٥ سم أما المقبض فطوله ١١ر٥ سم . فيكون طول المكحلة ١٥ سم . ونرى بجانب المكحلة المروود (الميل) ، وهو من الحديد ويبلغ ١١ سم أما مقبضه فمن الفضة وطوله ٢ر٥ سم فيكون طول المروود ١٣ر٥ سم .

لوحة رقم (١١)

تبين هذه اللوحة الصفحة الأولى من المصحف المنسوب إلى سيدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه . والموجود مع مخلفات النبي بمشهد الحسين . وهذه الصفحة أضيفت إلى المصحف وتدل الزخارف المحصورة في الشريط الزخرفي الذي يعلو الصفحة على أنها ترجع إلى العصر العثماني ، وفوق الزخرفة كتابة كوفية (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون) مكتوبة بالأملوب الذي انتشر في العصر المملوكي والعثماني .

لوحة رقم (١٢)

تبين هذه اللوحة الصفحة الأخيرة من ذات المصحف المنسوب إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهي مضافة كذلك إلى المصحف ، كما يبدو من خطها الثلث الذي انتشر في العصر المملوكي والعثماني . ويدل إطار الزخرفة الذي يحيط بالصفحة على أنها أضيفت في نفس الوقت الذي أضيفت فيه الصفحة الأولى أي في العصر العثماني .

لوحة رقم (١٣)

صفحة من المصحف المنسوب إلى عليّ ، وهي من الرق والكتابة عليها بالمداد الأسود ، وقد ظهر على الكتابة نقاط حمراء للدلالة على الشكل

وأخرى سوداء للدلالة على الإعجام ، ووجود مثل النقاط يؤكد عدم صحة نسبته إلى عليّ إذ أنها لم تظهر إلا سنة ٦٧ هـ ، بينما توفي عليّ ابن أبي طالب سنة ٤٠ هـ . كما تدل النقاط الحمراء على أن المصحف لم يكتب بعد القرن الثاني الهجري ، حين أبدل الخليل بن أحمد الفراهيدي بالنقاط الحمراء ، (جرات) للدلالة على الشكل . ولو أضفنا إلى ذلك أسلوب الخط ، وهو كما نرى في الصورة ، من الخط الكوفي البسيط وخال من الزخارف ، لاستطعنا في ثقة أن نرجع هذا المصحف إلى أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثاني ، ولا يستبعد أن يكون أحد المصاحف التي أرسلها الحجاج بن يوسف الثقفي إلى الأمصار . وفي هذه الصفحة آيات من سورة البقرة نصها :

(١) ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل

(٢) إليك وما أنزل من قبلك وبا

(٣) لآخرة هم يوقنون . أولئك على

(٤) هدى من ربهم وأولئك هم ا

(٥) لفلحون . إن الذين كفروا سو

(٦) اء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم

(٧) لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى

(٨) سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة و

(٩) لهم عذاب عظيم . ومن الناس من

(١٠) يقول آمنا بالله وباليوم الآخر

— ١٤٢ —

- (١١) وما هم بمؤمنين . يخدعون الله وا
(١٢) للذين آمنوا وما يخدعون إلا أ
(١٣) أنفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض
(١٤) فزادهم الله مرضا .

لوحة رقم (١٤)

تبين هذه اللوحة المصحف المنسوب إلى علي رضي الله عنه ، وهو محفوظ في غلاف من الجلد ، المنقوش بطريق الضغط ، بزخارف هندسية ونباتية مذهبة جميلة . ويتكون المصحف من (٥٠٤) صفحات ، أما حجمه فبلغ ١٩ في ١٤ر٥ سم في ارتفاع ١٦ سم .

لوحة رقم (١٥)

توضح هذه اللوحة ارتفاع صفحات المصحف المنسوب إلى علي رضي الله عنه وقد طبعت عليه زخارف نباتية مذهبة . وقوام الزخرفة كما نرى يتكون من فرع نباتي متماوج تخرج منه زهور وأوراق مرسومة بأسلوب قريب إلى الطبيعة إلى حد كبير . ومثل هذا الأسلوب انتشر في العصر المملوكي والعثماني ومن المرجح أن تكون هذه الزخارف قد طبعت على المصحف في الوقت الذي أضيفت فيه إليه الصفحتان الأولى والأخيرة وكذلك الجلدة ، أي في العصر العثماني .

لوحة رقم (١٦)

تبين اللوحة صفحة من المصحف المنسوب لسيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، وهي من الرق ، والخط كما نرى كوفي بسيط يشبه

الخط المصرى فى القرن الأول والثانى الهجرى . ومن المرجح أن تكون هذه الصفحة من المصحف المعروف بمصحف أسماء ، الذى أمر بنسخه الى مصر عبد العزيز بن مروان سنة ٨٦ هـ . والصفحة كبيرة الحجم إذ تبلغ أبعادها ٧٥ سم فى ٥٧ سم وارتفاعها ٥٤ سم ، أما عدد صفحات المصحف فتبلغ ١٠٨٧ صفحة . ونرى فى أسفل الصفحة شريطا من الزخرفة يفضل بين السور ، وهو عبارة عن رسوم نباتية متعددة الألوان . ونلاحظ أن أسلوب الزخرفة يشبه الزخارف المحفورة على الخشب كما يشبه رسوم الفرسكو فى مصر فى القرن الأول والثانى الهجرى (٧ ، ٨ م) . والكتابة آيات من سورة التكويد نصها :

- (١) [وما صاحبكم] بمجنون . لقد را
- (٢) ه بالأفق المبين . وما
- (٣) هو على الغيب بضين .
- (٤) وما هو بقول شيطان [شيطان] ر
- (٥) جيم . فأيّن تذهبون إ
- (٦) ن هو إلا ذكر للعالمين .
- (٧) لمن شاء منكم أن يستقيم
- (٨) وما تشاءون إلا أن
- (٩) يشاء الله رب
- (١٠) العالمين .

لوحة رقم (١٧)

تبين هذه اللوحة صفحة من مصحف محفوظ بمتحف برلين . والصفحة من الرق وبلاحظ أنها تشبه لوحة (١٦) إلى حد كبير من حيث أسلوب الخط وكذا الشريط الزخرفي الذى يفصل بين السور ، وهذه الصفحة من مصر فى أوائل القرن الثانى الهجرى . وتحتوى الصفحة على آيات من سورة النساء وأخرى من سورة المائدة نصها .

(١) اثنتين فلهم الثلثان مما

(٢) ترك وإن كانوا

(٣) خوة رجالا ونساء

(٤) فللذكر مثل حظ

(٥) الانثيين يبين الله لكم

(٦) أن تضلوا والله بكل

(٧) شئ عليم

سورة المائدة

(١) بسم الله الرحمن الرحيم

(٢) يا أيها الذين آمنوا

(٣) أوفوا بالعقود

لوحة رقم (١٨)

جلدة المصحف المنسوب إلى عثمان رضى الله عنه ، وهى من الجلد

المزخرف بنقوش نباتية مذهبة ومضغوطة ، ويحيط بهذه الزخارف شريط من الكتابة بالخط الثلث المملوكي الجميل ، ونصها كالآتي :

الضلع الطويل : جدد هذا المصحف الشريف المعظم ، الذي من حلف به صادقا نجا وكان له من كل ضيق مخرجا . ومن حلف به فاجرا ، كف وهان وأصبح في ذل ومقت وخذلان . بخط من رتب سورة وآياته .

الضلع القصير : وأجزائه ، ومن ختمه في كل ركعة من صلاته . وبه اقتدى من سماه نبينا بالأمين ، ذى النورين زوج بنتيه ، ورفيقه في الدارين ، من استحييت ملائكه .

الضلع الطويل : الرحمن ، أمير المؤمنين عثمان بن عفان . أمر وتشرف بتجليده السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري كان الله له .

الضلع القصير : وتجديده على يديه بعد ثمان مائة وأربع وسبعون (كذا) عاما مضت تقبل الله ذلك منه ، عليه ببركته وحفظه ونصره وثبت قواعده دولته بمحمد وآله .

ويعقب الشيخ الببلاوى^(١) على النص الوارد على جلدة المصحف فيقول : « ولكن شاع أن الملك قانصوه الغوري ، ادعى هذا الجلد لنفسه على خلاف الحقيقة ، وأن الحق أن غيره هو الذى جددته ، ممن قبله وكتب اسمه على الجلد

(١) التاريخ الحسيني ص ٣٨ .

المذكور ، فمحاه الغورى وكتب اسمه بدله . ويؤيد هذه الإشاعة أن الناظر إلى ما كتب فوق الجلد المذكور ، يرى تخالفا كبيرا في الرسم بين صدر الكلام وبين ما بعد قوله « أمر وتشرف بتجليده السلطان الملك الأشرف قنصوه الغورى ألخ . والله أعلم بالحقيقة » وقد أيده في هذا الرأي الأستاذ حسن عبد الوهاب^(١) .

ولكنى لا أرى ما ذهب إليه الأستاذان ، من أن السلطان الغورى محاسما لغيره ووضع اسمه بدلا منه ، بحجة أن جملة (السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى) مكتوبة بخط مغاير لبقية الكتابة ، لأننى لا أرى في هذه الجملة ، ما ينهض دليلا كافيا على نفي تجديد السلطان الغورى لهذه الجلدة . وذلك للأسباب الآتية :

أولا : أن خط جملة (السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى) . لا يختلف عن باقى الكتابة ، إلا في كونها كتابة ظاهرة وغير مزدحمة ، ولعل الخطاط عند إلى ذلك قصدا ، ليكون اسم السلطان الغورى ظاهرا وملفتا للنظر . ثانيا : نجد في الضلع القصير وبنفس أسلوب الخط الذى كتبت به باقى الأشرطة ، العبارة الآتية « تجديده على يديه بعد ثمان مائة وأربع وسبعون عاما مضت » . هذه العبارة تدل على أن التجديد حدث بعد مضى ٨٧٤ سنة مضت على وفاة عثمان^(٢) بن عفان رضى الله عنه ، أى أن التجديد تم سنة ٩٠٩ هـ ، وهذه السنة تقع في حكم السلطان الغورى ، إذ أنه تولى سنة ٩٠٦ هـ وتوفى

(١) تاريخ المساجد الأثرية ص ٩٣ .

(٢) توفى سيدنا عثمان سنة ٣٥ هـ .

سنة ٩٢٣ هـ . وفي هذا ما يكفي من الدلالة على صحة المکتوب ومطابقته للحقيقة .

لذلك فإنني أؤكد أن هذه الجلدة من عمل السلطان الغوري وليس هذا بكثير عليه فله أياد بيضاء أخرى .

لوحة رقم (١٩)

نرى في هذه اللوحة مفصلات مذهبة لجلدة المصحف المنسوب إلى عثمان عليها اسم السلطان الغوري بما نصه « برسم المصحف الشريف العثماني » .

لوحة رقم (٢٠)

مفصلة ثانية للمصحف مکتوب عليها « السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري عز نصره » .

لوحة رقم (٢١)

رسم تخطيطي يبين التجديدات التي تمت في عهد الثورة المباركة ،

ثورة ٢٢ يولية سنة ١٩٥٢

ثبت المراجع العربية

- ١ - ابن ابراهيم الأنصارى : (الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام)
- ٢ - ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة (طبعة مصر)
- ٣ - ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور (طبعة بولاق)
(١٣١٣ هـ)
- ٤ - ابن أبي طاحه : مطالب السؤول في مناقب آل الرسول
- ٥ - ابن بطوطه : رحلة ابن بطوطه (طبع وادى النيل سنة)
(١٢٨٧ هـ)
- ٦ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
(دار الكتب سنة ١٩٤٢)
- ٧ - ابن تيمية : منهاج السنة النبوية
- ٨ - ابن جبير : رحلة ابن جبير (طبع مصر)
- ٩ - ابن الجوزى : كتاب الاذكياء (مصر سنة ١٣٠٦ هـ)
- ١٠ - ابن حجر العسقلانى : الاصابة
- ١١ - ابن حجر العسقلانى : فتح البارى في مناقب الحسن والحسين
- ١٢ - ابن خلكان : وفيات الاعيان
- ١٣ - ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار (طبع بولاق)
(١٣٠٩ هـ)

- ١٤ - ابن رستم : الاعلام النفيسة (طبع ليدن ١٨٩١ م)
- ١٥ - ابن الزيات : الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة (طبعة بولاق ١٩٠٧ م)
- ١٦ - ابن سعد : الطبقات الكبير
- ١٧ - ابن سيده : المخصص (المطبعة الأميرية بهولاق ١٩١٦ م)
- ١٨ - ابن سيد الناس : عيون الأثر في عيون المغازي والشمال والسير
- ١٩ - ابن الشحنة : تاريخ حلب (طبعة بيروت ١١٣٢ هـ)
- ٢٠ - ابن عبد ربه : العقد الفريد (طبع بولاق ١٢٩٣ هـ)
- ٢١ - ابن عروة الحنبلي : الكواكب الدراري في ترتيب مسند أحمد على أبواب البخاري
- ٢٢ - ابن عساكر : التاريخ الكبير
- ٢٣ - ابن فضل العمري : مسالك الابصار
- ٢٤ - ابن قتيبة : عيون الأخبار
- ٢٥ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة
- ٢٦ - ابن كثير : البداية والنهاية (طبع مصر)
- ٢٧ - ابن ميسر : أخبار مصر (المعهد الفرنسي ١٩١٩ م)
- ٢٨ - ابن النديم : الفهرست
- ٢٩ - ابن النعمان : الارشاد
- ٣٠ - ابن الأثير : الكامل

- ٣١ - ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة (المطبعة
الوهبية ١٢٨٠ هـ)
- ٣٢ - أبو البركات عبد الرحمن : نزهة الألباء في طبقات الأدباء (مطبعة
الانبارى - مصر ١٢٩٤ هـ)
- ٣٣ - أبو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال (مطبعة السعادة ١٣٢٠ هـ)
- ٣٤ - أبو الحجاج يوسف : الف باء (المطبعة الوهبية ١٢٨٧ هـ)
البلوى
- ٣٥ - أبو عمر بن عبد البر : الاستيعاب (طبعة حيدر آباد)
القرطبي
- ٣٦ - أبو الفداء : تاريخ أبو الفداء (المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ)
- ٣٧ - أبو الفرج الاصفهاني : مقاتل الطالبين
- ٣٨ - أبو الفلاح عبد الحى بن : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (طبع
العماد مصر ١٣٥١ هـ)
- ٣٩ - أبو يحيى زكريا القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد
- ٤٠ - أحمد تيمور : الآثار النبوية (دار الكتاب العربى ١٣٧٥ هـ)
- ٤١ - أحمد بن حنبل : مسند بن حنبل
- ٤٢ - أحمد بن سليمان البحراني : عقد اللآل في مناقب الآل
- ٤٣ - البيلوى : التاريخ الحسيني (مطبعة التقدم العلمية
سنة ١٣٢٤ هـ)

- ٤٥ - البرزنجى : نزهة الناظرين فى مسجد سيد الأولين والآخريين
(مطبعة الجمالية سنة ١٩١٤ م)
- ٤٦ - الترمذى : الشئائل المخدمية (مطبعة السعادة سنة
١٣٣٢ هـ)
- ٤٧ - الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار (طبع
ببلاق سنة ١٢٩٧ هـ)
- ٤٨ - جلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين (طبع مصر)
- ٤٩ - الحافظ بن حجر : الإصابة
- ٥٠ - الحسن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول (طبع ببلاق
سنة ١٢٩٥ هـ)
- ٥١ - حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية (دار الكتب سنة
١٩٤٦ م)
- ٥٢ - خليل الظاهرى : زبده كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك
- ٥٣ - الدميرى : حياة الحيوان الكبرى (مصر سنة ١٣٠٩ هـ)
- ٥٤ - الذهبى أبى كرم : تاريخ الإسلام
- ٥٥ - رضى الدين بن طاووس : الملهوف على قتلى الطفوف
- ٥٦ - الزرقانى على المواهب : تنزيه المصطفى المختار
- ٥٧ - زكى محمد حسن : كنوز الفاطمين
- ٥٨ - سبط الجوزى : تذكرة خواصى الأمة

- ٥٩ - السبكي : الطبقات الشافعية
- ٦٠ - السخاوى : الضوء اللامع (طبع مصر سنة ١٣٥٤ هـ)
- ٦١ - السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة
- ٦٢ - الشبلنجى : نور الأبصار
- ٦٣ - شرف على عبد الولى : رياض الجنان فى نيل مشتهى الجنان
(مطبعة بمبىء)
- ٦٤ - الشهرستانى : الملل والنحل
- ٦٥ - الصبان : اسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل
أهل بيته الطاهرين (المطبعة الوهبية ١٢٩٠هـ)
- ٦٦ - الطبرى : الرياض النضرة
- ٦٧ - الطوس : إختيار الرجال
- ٦٨ - عبد الفتاح الصعيدى : الافصاح فى فقه اللغة (دار الكتب ١٣٤٨ هـ)
وحسين يوسف موسى
- ٦٩ - عبد الرحمن بن محمد : معالم الإيمان فى معرفة أهل القىروان
بن الدباغ
- ٧٠ - عثمان مدوخ : العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد
- ٧١ - على عبد الله السمهودى : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى
- ٧٢ - على بن عيسى بن أبى : كشف الغمة
الفتح الاربلى

٧٣ - علي مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة (طبع بولاق

(١٣٠٥ هـ)

٧٤ - الفخرى : الآداب السلطانية

٧٥ - القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ (بغداد

(١٢٨٢ هـ)

٧٦ - القزوينى : عجائب المخلوقات

٧٧ - القسطلانى وزكريا : شرح صحيح البخارى (المطبعة الميمنية

الانصارى مصر)

٧٨ - قطب الدين الحنفى : الاعلام بأعلام بيت الله الحرام (المطبعة

العثمانية ١٣٠٣ هـ)

٧٩ - القلقشندى : صبح الأعشى (طبع بولاق ١٩١٤ م)

٨٠ - الكلينى : الكافى

٨١ - الماوردى : الأحكام السلطانية (مطبعة الحلبي سنة

(١٣٨ هـ)

٨٢ - محسن بن عبد الكريم : لواعج الأشجان

الحسينى

٨٣ - محمد بن محمد بن : مناقب أبى حنيفة (مطبعة حيدر آباد)

شهاب البزاز الكردى

- ٨٤ - محمد بن قاسم بن : روض الاخبار المنتخب من ربيع الابرار يعقوب
- ٨٥ - محمد لبيب البتانوفى : الرحلة الحجازية (طبع مصر ١٣٢٩ هـ)
- ٨٦ - المسعودى : مروج الذهب (مصر ١٣٠٤ هـ)
- ٨٧ - المسعودى : الاشراف والتنبيه
- ٨٨ - المقدس : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (١٨٧٦ م)
- ٨٩ - المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك [تحقيق مصطفى زياده (طبع مصر)]
- ٩٠ - المقرئى : اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الحلفا (القدس)
- ٩١ - المقرئى : الخطط والآثار (بولاق ١٢٠٧ هـ)
- ٩٢ - المقرئى : نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب (بولاق ١٢٧٩ هـ)
- ٩٣ - الميدانى : اللمعة الشهية فى اللغة السريائية
- ٩٤ - النابلسى : الحقيقة والمجاز
- ٩٥ - النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب
- ٩٦ - الألوسى : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم (المطبعة المنيرية)
- ٩٧ - ياسين بن مصطفى : النبذة اللطيفة فى المزارات الشريفة الفرضى

— ١٥٥ —

- ٩٨ - ياقوت الحموى : مراصد الاطلاع فى أسماء الأماكن والبقاع
(طبع ليدن ١٨٧٩ م)
- ٩٩ - ياقوت الحموى : معجم البلدان

المراجع الافرنجية

- 100 — Creswell : Muslim Architecture in Egypt (Oxford 1946)
- 101 - Dozy, R. P. H. Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes,
(Amsterdam 1845.
- 102 — Hauteccœur et wiet : Les Mosquées du Caire (paris 1932).
- 103 — Sarre & Herzfeld : Die Reiscim Euphrat uud Tigvis gebiet.

فهرس اسماء الأعلام

أبو العباس السفاح ص ٣٩ ، ٨٠ ،

١٢٦

أبو عبد الله (الحسين) ص ٢٧ ،

٤٠ ، ٤٢

أبو الفداء ص ٨٨ ، ١٢٢

أبو القاسم بن يحيى (الرزور)

ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٥١

أبو القاسم (الشيخ) ص ١٠٤

أبو قتاده ص ٨٣ ، ٩٥ ، ٩٧

أبو المحاسن ص ٤٧

أبو مسلم الخراساني ص ٢٦ ، ٣٢

٣٩ ،

أبو موسى الأشعري ص ١٢٢

أبو نعيم الفضل بن دكين ص ٢٧

أبو هزيرة ص ٩٨ ، ٩٩

أبو هشام القناد ص ٨

أبو اسحق ص ٩٥

أبو بكر ص ٧٦ ، ١٢٠ ، ١٢١

أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان

ص ١١٨

أبو بكر الخازن ص ١١٣

أبو بكر محمد بن عبد الله الملقى

ص ١١٨

أبو المتوج ص ٦٥

أبو جحيفة ص ٩٨

أبو جعفر ص ١١١

أبو حنيفة (الإمام) ص ١١

أبو داود ص ٩٦

أبو الدحداح ص ٢٩

أبو رجب العلاء بن عاصم الخولاني

ص ١١٨

أبو زمعه البلوى ص ١٠٤

أبو شعره (الشيخ) ص ١٠٤

أبو طلحه ص ١٠٠

- أبو الأسود الدؤلى ص ٢٢ ، ١٣٣ ، ١٣١ ،
- ابن أبي الحديد ص ١٣
- ابن أبي الدنيا ص ٣١ ، ٧٩
- ابن أبي السرور البكرى ص ١٢٨
- ابن اسحق ص ٨٠
- ابن إياس ص ٣٣ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٠
- ابن بطوطة ص ٢٥ ، ٦٧ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٢٩
- ابن جابر الاندلسى ص ٦٠
- ابن جبير ص ٤٦ ، ١١١ ، ١١٢
- ابن جرير الطبرى ص ٢٧
- ابن جعفر ص ١٤ ، ١٥
- ابن حجر الهيتمى ص ١٠٢
- ابن حمويه (الشيخ) ص ٤٥
- ابن خلكان ص ١٢٤
- ابن دقماق ص ٣٥ ، ٤٣ ، ٦٦
- ابن الزمن ص ١٠٤
- ابن الزبيرى ص ٣١
- ابن زياد (عبيدالله) ص ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ١٢٣
- ابن سعد (عمر بن سعد بن أبي وقاص) ص ١٢ ، ٢٠ ، ٢٧
- ابن سكين ص ٧٣
- ابن سيد الناس ص ٧٨ ، ٨٨ ، ٩١
- ابن سيده ص ٨٢ ، ٩٣
- ابن الطولونى ص ٦٩ ، ١١٦ ، ١٢٨
- ابن عباس ص ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠١
- ابن عبد الظاهر ص ٥ ، ٤
- ابن عساكر ص ٨ ، ٩ ، ١١ ، ٣١
- ابن عمر (عبدالله) ص ١٦
- ٩٨ ، ٩٩
- ابن فضل الله العمرى ص ٢٨ ، ٢٩
- ابن قتيبة ص ١٧ ، ١١١
- ابن كثير ص ١٥ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٢٧
- ٢٨ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٦٥ ، ٩٢
- ابن لهيعة ص ٨٠
- ابن المأمون ص ٤٢
- ابن المتوج ص ٦٦ ، ١١٣
- ابن ميسر ص ٣٣
- ابن النجار ص ١١٠
- ابن النديم ص ١٠٩ ، ١٢١ ، ١٢٢
- ابن هند ص ١٥

- آل أبي المغيظ ص ٣٧ .
ابراهيم الحربى ص ٩٦ .
ابراهيم الدفتردار ص ٦٨ .
أحمد بن حنبل ص ٨٠ ، ٨ .
أحمد بن سليمان بن علي البحراني ص ٩ .
أحمد تيمور ص ٦٧ ، ٧٠ ، ١٠٦ ،
١٠٧ ، ١٠٨ .
أحمد الجزار (باشا) ص ١٠٣ .
أحمد الطرابلسي الزاوي ص ١٠٣ .
أحمد الفراهيدي ص ١٢٧ .
أخنس بن مرثد الحضرمي ص ٢٢ .
إسحق بن حيوة الحضرمي ص ٢٢ .
أسماء بنت عبد العزيز بن مروان ص ١١٢ ، ١١٨ ، ٣٣ ، ١٣٤ .
اسماعيل (خلديو) ص ٤٨ .
الأفضل بن بدر الجمالي ص ٣٢ ، ٣٤ .
الأقباط ص ١٢٥ .
الأشرف (الملك) ص ١٠٥ .
الآمر بأحكام الله ص ٤٢ .
أم سلمه بنت خالد ص ٨١ ، ٩٩ .
أم سالم ص ١٠٠ .
الأمير سيف المملكة تميم ص ٤٥ .
أنس بن مالك ص ٧٩ ، ٨٣ ، ٩٥ ،
٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ .
الببلاوى ص ٤٣ ، ٦٠ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٩٠ .
بحر بن كعب ص ٢٢ .
البخاري ص ٢٨ ، ٦٢ ، ٦٩ ،
٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٢٠ .
بدر الجمالي ص ٣٤ ، ٤١ .
البرازنجي ص ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢ .
البرهان الحلبي ص ٦٧ ، ٩٢ .
البساسيري ص ٤٢ ، ١٢٩ .
البكري (الشيخ) ص ٧١ .
بنو ابراهيم ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٣ ،
٧٧ ، ٨١ ، ١٠٩ .
بنو أسد ص ٢٤ .
بنو أسعد ص ٢٧ .
بنو أميه ص ١٠ .
بنو عقيل ص ١٨ .
بنو قنيقاع ص ٨٨ .
بنو هاشم ص ١٠ .
بهاء الدين الدمشقي ص ٤٥ .

- هبة الدين علي بن حنا ص ٩٢، ٦٥ .
- البلخي ص ٥٦ .
- البلاذري ص ٨٧ .
- ببر جمال الشيرازي ص ١٠٤ .
- تاج الدين بن صاحب ص ٦٥ ، ٩١، ٨١، ٧٧، ٧٣، ٦٧، ٦٦ .
- التتار ص ٨ .
- الترمذي ص ٩٥ ، ٩٧ .
- توفيق (الخديو) ص ٧٠ .
- نوبة بن نمر الحضرمي ص ١١٨ .
- ثمارة بن كلثوم ص ٧٩ .
- الجبرتي ص ٧٧، ٦٩، ٦٨، ٥٦، ٤٨ .
- جعفر بن محمد ص ٣٨ ، ٢٨ .
- جعفر بن يحيى البرمكي ص ١٢٦ .
- جمال الدين ص ٤٧ .
- جلال الدين بن الخطيب ص ٦٧ .
- الجوهري الشافعي ص ٤٤ .
- الحجاج بن يوسف الثقفي ص ١١٠ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ .
- جذيفه بن اليان ص ١٢٢ .
- حرب ص ٧ .
- الحر بن يزيد ص ٢٠ .
- حسن بن الربيع بن سليمان ص ١١٨ ، ١٠٩ ، ١٠٤ ، ١٥٠ ، ٢٨ ، ٥٩ .
- الحسن بن عبد الله ص ١١٢ .
- حسن عبد الوهاب ص ٦١، ٤٦، ٢٨ .
- حسن كتنخدا عزبان الجلفي ص ٤٨ .
- الحسين بن علي أبي طالب ص ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ .
- ٧٨ .
- حسين كامل ص ٧٠ .
- حفصة بنت عمر ص ١٢١ ، ١٢٢ .
- خالد بن برمك ص ١٢٦ .
- خزيمة بن ثابت ص ١٢١ .

زكى حسن ص ١٢٩ .
 زيد بن ثابت ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ .
 السادات (الشيخ) ص ٧١ .
 سبط بن الجوزى ص ٢٦ ، ٢٧ ،
 ٣٣ ، ٣٧ ، ٤٤ .
 السخاوى ص ٢٦ ، ١٠٢ ، ١٠٤ .
 السراج التونسى ص ١٠٤ .
 السريان ص ١٢٣ .
 سعيد بن العاص ص ١٢٢ .
 السلفى ص ٨٠ .
 سليمان بن عبد الملك ص ٢٦ ،
 ٣٠ ، ٣١ ، ٤٠ .
 سليم (السلطان) ص ١٠٢ .
 سنان بن أنس النخعى ص ٢٢ .
 السيد محمد باشا الشريف ص ٤٨ .
 السيوطى ص ٦٨ .
 الشافعى ص ٦١ .
 الشاطبى ص ١١١ .
 الشعترانى ص ٣٣ .
 شمر بن ذى الجوشن ص ٢١ ، ٢٢ .
 الصالح بن زوريك ص ٣٢ ، ٣٣ ،

الخلفاء العباسيون ص ١٠٢ .
 خليل الظاهرى ص ٣١ .
 خليل بن أحمد الفراهيدى ص ١٢٤ .
 الخوارج ص ١١٣ .
 دارم ص ٢٢ .
 داريا الدمشقى ص ٦٧ .
 الدولة البيزنطية ص ٨٤ .
 الدولة العباسية ص ٦٣ ، ٨٩ ، ١٢٤ .
 الدولة الأموية ص ٦٣ .
 الدولة الأيوبية ص ١٢٤ ، ١٣٢ .
 دوزى ص ٨٢ ، ٨٣ .
 ذو الفقار ص ٨٨ .
 الذهبي ص ٢٩ .
 الذيريج ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٨ ، ٣٩ .
 راتب باشا ص ٥٠ ، ٥١ .
 رضى الدين ص ٢٦ .
 ريا ص ٣١ .
 زرعه بن سهل الثقفى ص ١١٧ .
 زرعه بن شريك التميمى ص ٢٢ .
 زحر بن قيس ص ٢٥ .

عبد الله بن الزبير ص ٩ ، ١٦ ،
 ١٧ ، ١٢٢ .
 عبد الله بن شعيب ص ١١٣ .
 عبد الله بن جعفر ص ١٠ .
 عبد الله بن زياد ص ١٧ .
 عبد الله بن العباس ص ١٨ ، ١٩ ،
 ٣٢ ، ٨١ .
 عبد الله الشبراوى ص ٥٨ .
 عبد الله بن عمرو بن العاص ص ٨٧ .
 عبد الله السهمى ص ٧٩ .
 عبد المجيد خان (السلطان)
 ص ٣٠ ، ٥٢ .
 عبد العزيز بن مروان ص ١١٨ .
 ١٣١ ، ١٢٨ ، ١٣٤ .
 عبد الملك بن مروان ص ١٣١ .
 عتبة بن أبي سفيان ص ٩ .
 عثمان بن عفان ص ١٥ ، ٥٣ ،
 ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ،
 ١١١ ، ١١٦ ، ١١٩ ،
 ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
 ١٣٣ .

٣٥ ، ٤٣ ، ٤٥ .
 الصالح نجم الدين أيوب ص ٤٥ ،
 ٤٧ .
 الصبان ص ٣٢ .
 صلاح الدين الأيوبي ص ٤٥ ، ٦١ .
 الصينيون ص ١٢٥ .
 الظاهر بيبرس ص ٤٧ ، ٧٣ .
 الظاهر أبي سعيد (الملك) ص ٥٩ .
 الظاهر برقوق ص ٦٦ .
 الظاهر الفاطمى (الخليفة) ص ٣٤ ، ٣٥ .
 السيدة عائشة ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ .
 عباس حلمى الثانى ص ٥٢ ، ٧٣ ، ٧٤ .
 العباس بن على ص ٢٤ .
 عبد الباقي البكرى ص ٧٢ .
 عبد الرحيم البيسانى ص ٤٧ ، ١٣٢ .
 عبد الرحمن كتبخدا الفزدغلى ص ٤٤ .
 ٤٨ ، ٥٦ ، ٥٧ .
 عبد الرحمن بن الحارث ص ١٢٢ .
 عبد الرحمن الدباغ ص ١٠٤ .
 عبد العزيز (السلطان) ص ٤٩ ، ١٠٣ .
 عبد الله ص ٧ .

- | | |
|---------------------------------|--|
| ٧٥ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٢٠ ، | عثمان مدوخ ص ٣٠ ، ٣٤ ، ٤٣ . |
| ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ . | عثمان بن عبد الرحمن ص ٣١ . |
| علي بن الحسن ص ٢٥ ، ٣٨ . | عثمان بن وهبه ص ٩٨ . |
| علي بن أبي بكر ص ٣٣ . | عروة بن الزبير ص ٨٠ . |
| علي أبو الأنوار ص ٥٩ . | العز الكنانى ص ٦٥ . |
| علي مبارك ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٦٩ . | العزیز بالله الفاطمى ص ١١٣ ، |
| علي بن محمد بن الخلاطى ص ١٠٧ . | ١١٩ ، ١٣٢ . |
| الغورى (السلطان) ص ٧٤ ، | عمر بن الخطاب ص ١٥ ، ٢١ ، |
| ١١٦ ، ١٣٣ ، ١٣٤ . | ١٢٠ ، ١٢١ . |
| فاطمة الزهراء ص ٧ ، ٢٨ ، | عمر بن الحاج ص ٢٢ . |
| ٣٨ ، ٧٦ ، ١٢٩ . | عمر بن عبد العزيز ص ٣٠ ، ١٠٩ . |
| الفائز (الخليفة) ص ٤٥ . | عمر بن أبي المعالى ص ٣٢ . |
| الفاكهى ص ٨٦ . | عمر بن عبد العزيز السمهودى |
| الفخرى ص ٢٣ . | ص ١١٠ . |
| الفرزدق ص ١٨ . | عنيسه بن أسحق ص ١١٨ . |
| القاضى الباقلانى ص ٣٦ . | عياض بن جهمن ص ٣٧ . |
| القاضى الفاضل ص ١١٥ ، ١٦٦ ، | عمرو بن الحَمِق ص ١٢ . |
| ١٣٣ . | عمرو بن دينار ص ١٤ . |
| القباطى ص ١٢٥ . | عمرو بن سعيد ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٤١ |
| القرمانى ص ٨٨ ، ٩٣ . | على بن أبي طالب ص ٧ ، ١٣ ، ١٤٠ ، ١٩٠ ، |
| القسطلانى ص ١١٦ ، ١٣٢ . | ٣٨ ، ٥٣ ، ٦٨ ، ٧٣ ، |

- القضاعى ص ١١٧ ، ١١٨ .
 القلقشندى ٣٣ ، ٣٥ ، ٩٢ .
 قنبر ص ٩ .
 قيس بن الأشعث ص ٢٢ .
 كعب بن زهير ص ٨٠ .
 الكامل (الملك) ص ٢٩ .
 كرزويل ص ٥٦ .
 الكلدان ص ١٢٣ .
 كنده ص ١٣ .
 مالك (الإمام) ص ٩٨ ، ١١١ .
 المتوكل (الخليفة) ص ٣٨ ، ١١٨ .
 محمد أبو الأنوار الوفاى ص ٤٨ .
 محمد بن عمر بن صالح ص ٣١ .
 محمد بن قاسم بن يعقوب ص ٣٩ .
 محمد بن يحيى (الزرزور) ص ٤٧ .
 محمد رشاد (سلطان) ص ١٠٣ .
 محمد بن على ص ٢٨ .
 محمد بن سعد ص ٢٨ .
 محمد ثابت باشا ص ٧١ .
 محمود باشا ص ٧١ .
 محمود باشا برزخان ص ٦٨ .
 مختار باشا ص ٧١ .
 المرشدى ص ١٠٢ .
 المستعصم ص ٨١ .
 المستنصر ص ٤١ ، ٤٢ .
 معاوية بن أبي سفيان ص ١١ ، ١٤ ،
 ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ١٠٠ ،
 ١٠١ .
 معين الدين بن حمويه ص ٤٦ .
 المقرئى ص ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٥ ،
 ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ،
 ٤٧ ، ٦٦ ، ٨٦ ، ٩١ ، ١١٣ ،
 ١١٤ ، ١١٩ ، ١٣٢ ،
 ١٣٣ ، ١٣٤ .
 المقدسى ص ٣٢ ، ٣٧ .
 المقوقس ص ٨٦ .
 مكنون (الأستاذ) ص ٤٥ .
 ملكة (الحاجة) ص ١٠٧ .
 ملكة بهوبال سلطان جهان ص ١٠٣ .
 الملك العادل كتبغا (سلطان) ص ١٣٢ .
 الملوى ص ٤٤ .
 الملوانى ص ٧٨ .

- المنتصر بالله (خليفه) ص ٢٤ ، ٢٥
- المنصور (الخليفه) ص ٣٧ ، ٣٨ .
- منصور باشا ص ٧١ .
- المهدي العباسي (خليفه) ص ٨٦ .
- المهدي (الشيخ) ص ٧١ .
- النابلسي ص ١٠٢ .
- نصر بن عاصم ص ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣١ .
- الناصر محمد بن قلاوون (السلطان) ص ٤٧ .
- النعمي ص ١٠٥ .
- النعمان بن بشير الأنصاري ص ١٦ .
- النووي ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .
- ١٠١ .
- نوبار باشا ص ٧١ .
- النويري ص ٨٢ .
- هارون بن سفيان ص ٧٩ .
- هارون الرشيد ص ١٢٦ .
- هشام بن الكلبي ص ٢٦ ، ٢٧ .
- هشام بن عبد الملك ص ٣٧ .
- هولاكو ص ٨١ ، ٨٩ .
- الوليد بن عبد الملك ص ١٢٣ .
- الوليد بن عتبة ص ١٦ .
- الوليد بن يزيد ص ٢٩ .
- ولي الدين أبو زرعه ص ٦٥ .
- ولي الدين أحمد ص ٦٥ .
- ياقوت الحموي ص ٣٧ .
- يحيى بن الحصين ص ٩٩ .
- يحيى بن حكم بن صفوان ص ١٦ .
- يزيد بن معاويه ص ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ١٠١ .
- يسن بن مصطفى الفرضي ص ٢٩ .
- يونس بن بكير ص ٨٠ .

فهرسٲ سماء الاءاكن

بالب الفراديس ص ٢٦ ، ٢٩ ،	الأزهر ص ٣٤ ، ٧٠ ، ١٣٢
٣٠ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤٣	الآثار النبوية ص ٦٧ ، ١٠٠
بالب قرطجنة ص ١٠٤	أثر النبي ص ٧٣
بالب مروان ص ١١٠	أرض خيبر ص ٥٣ ، ٧٣ ، ٧٦
باكستان ص ١٠٣	أرض فذك ص ٧٦
بركة الحبش ص ٦٥	أرض أم القرى ص ٥٣
البحرين ص ١١٢	أرض النضير ص ٧٣
بستان المعشوق ص ٦٥	أذربجان ص ١٢٢
البصرة ص ٧ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ،	أمهات القرى ص ١١٠
٤٢ ، ١١١ ، ١٢٢	إيران ص ٧١
بغداد ص ٤٢ ، ١١٤ ، ١٢٩	إيلة ص ٨٠
البقيع ص ٢٧ ، ٢٨	البالب الأبخضر ص ٤٦ ، ٥٠ ،
بلاد الشام ص ٩٠	٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧
بنى غازى ص ١٠٣	بالب توما ص ٢٩
بهوبال ص ١٠٣	بالب الحسين ص ٥٧
بولاق ص ١٠٥	بالب الخرق ص ١٠٥ ، ١٣٣
بيت المقدس ص ٣٣ ، ٤١ ، ١٠٢	بالب دهليز الخدمه ص ٣٤
بيت الفقهاء العلوية ص ٤٦ ، ٤٧	بالب زويلة ص ٣٥ ، ٤٣ ، ٤٥ ،
	١١٧ ، ١٣٣

حجرة التابوت ص ٦٠
حلب ص ٢٦ ، ٣١
حمص ص ١٢٢
الحيرة ص ٢٥
حيفا ص ١٠٣
خان الخليلى ص ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٩ ،
٥٠
خانقاه برسبای ص ١٠٥
خراسان ص ٣٢ ، ٣٩
خزائن السلاح ص ٣١ ، ٣٩ ، ٤٠
خزانة الكتب الفاطمية ص ١٢٩
خزانة الأمتعة بالقلعة ص ٧٤
خزانة الآثار النبوية ص ٥٣ ، ٧٣
خط الشرابيشيين ص ٦٩
الخوانق ص ٩٢
دجلة ص ٨١
الدرب الأحمر ص ٤٣
درب ملوخية ص ١١٥
دمشق ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ،
٣١ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ١٠١ ،
١٠٢ ، ١٢٢

التابوت الحسيني ص ٦١
تابوت الإمام الشافعي ص ٦١
تبوك (غزوة) ص ٨٠
تحت الربع ص ٧٢
تلول البرقية ص ٥٠
تكية الكلشنى ص ١٠٦
تكية النقشبندية ص ١٠٥ ، ١٠٨
تنيس ص ٨٧
تونس ص ١٠٤
جامع راشد باشا ص ١٠٣
جامع أزبك ص ٥١
جامع طورغود باشا ص ١٠٣
جامع عثمان ص ١٠٣
جامع عمرو بن العاص ص ١١٣ ،
١١٨ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
١٣٣
جامع الصالح طلائع ص ٣٥ ، ٤٣
جامع حيفا ص ١٠٣
جامع الملك الأشرف ص ١٠٥
جبل الجوشن ص ٣١
الحجاز ص ١٩ ، ٤٢ ، ٦٧

سحول ص ٧٣ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٥ ،

٨٧

السكرية ص ٧٢

السكة الجديد ص ٤٩ ، ٧٢

سمرقند ص ١٢٦

سوق الحمامون ص ٦٩

شارع بور سعيد ص ١٠٥

شارع عبد العزيز ص ٧٢

شارع محمد علي ص ٧٢

شط الفرات ص ١١

الشام ص ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ،

٣٩ ، ٤٢ ، ١٢٢

الشعر ص ٥٣

شمال افريقيا ص ٤١ ، ٤٢

الصالحية ص ٣٣

صحار ص ٧٣ -

صنفير ص ١٠٣

الصين ص ١٢٥

الضريح الشريف ص ٥٦

طبرية ص ١٠٣

طرابلس ص ١٠٣

دمياط ص ٦٥

دهليز الخدمة ص ٣٥ ، ٤٥

الديار المصرية ص ٦٦ ، ٧١ ، ٩٢

ديوان الأوقاف ص ٧٤

رباط الآثار ص ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦

٦٦٠ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٣

٧٤ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠١ ،

١٢٨

الرباط الصاجي التاجي ص ٦٤

رحبة على ص ١٤

الربط ص ٩٢

الرقعة ص ٢٦

الرفيقة ص ٣٨

الروضة الشريفة ص ٦١

الزاوية البرانية ص ١٠٤

زاوية ولي الدين المرجاني ص ١٠٤

الزلاج ص ١٠٤

زهار ص ٨٦

ساقية المشهد ص ٤٧

سحار ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٦

سراي عابدين ص ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤

٤٦ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٨٨ ، ٩١ ،	ألطف ص ١٠
١١٢ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٣٢ ،	طوس ص ١١٩
١٣٣	العتبة الخضراء ص ٥٠ ، ٧٢
القبة الشريفة ص ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠	العراق ص ١٣ ، ١٩ ، ١١٣ ،
٧٣ ،	١١٤ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ،
قبة الإمام الشافعي ص ٥٦	١٣١ ، ١٣٣
قبة الديلم ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٥	عسقلان ص ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ،
القبة الكبرى ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٥	٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٥
القبة البلاوية ص ١٠٤	العقادين ص ٧٢
قبة الغوري ص ٦٩ ، ٧٤ ، ٨٠ ،	عكا ص ١٠٣
١٠٦ ، ١١٧	عمان ص ٧٣ ، ٧٨ ، ٧٩
القدس ص ٤١	عمرة الجعرانة ص ١٠١
القسطنطينية ص ٥١ ، ١٠٢ ،	الغاضرية ص ٢٤
١٠٣ ، ١٠٦	غرفة الآثار ص ٥٨
القصر ص ١٤ ، ٣٥	غزوة أرمينية ص ١٢٢
قصر الاماره ص ١٣	الغرات ص ٢٥
قصر الزمرد ص ٣٤ ، ٤٥	الفرمان ص ٣٦
التضيب ص ٥٣	الفسطاط ص ١٢٩
القميص ص ٥٣	القاهرة ص ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ،
القيروان ص ١٠٤	٣٤ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٤٦ ،
كربلاء ص ٧ ، ١١ ، ٢٠ ، ٢٢ ،	

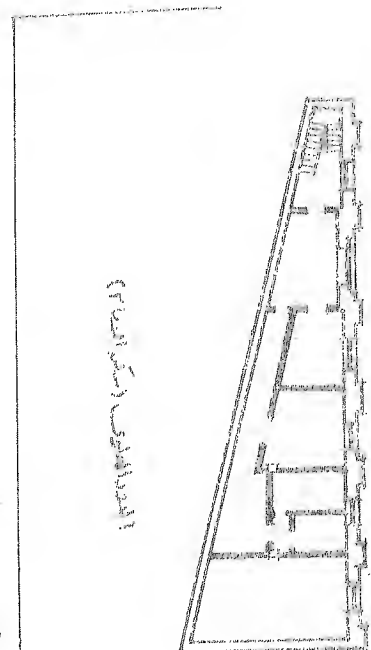
مسجد أحمد باشا الجزار ص ١٠٣
 مسجد الرسول ص ١٠٩ ، ١١١
 المسجد الزينبي ص ٧٠
 مسجد الفكهاني ص ٤٥
 المسجد الحسيني ص ٦٤ ، ٧١
 ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٦ ، ٨٨
 ٩٠ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٩
 المسجد الأموي ص ٣١
 مشهد الحسين ص ٧
 المشهد الخليلي ص ٤١
 مشهد عسقلان ص ٤٤
 مصر القديمة ص ٦٨ ، ٧٣ ، ١٠٩
 مصر ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤١
 ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٦
 ٩٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩
 ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥
 ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩
 ١٢٨ ، ١٢٩
 مصحف عثمان ص ٥٣ ، ١٠٩ ، ١١٠
 ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥
 ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٣١ - ١٣٤
 مصحف علي ص ٥٣ ، ١٠٦ ، ١٢٧ - ١٣٠

٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٦ ،
 ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩
 الكعبة ص ٨٦
 الكوفة ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧
 ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ١١٧ ، ١٢٢
 متحف الفن الاسلامي ص ١٢٥
 المحراب المجوف ص ١٠٩
 المحلة الكبرى ص ٥٣
 المخلفات النبوية ص ٦٣ ، ٦٤
 المدرسة الفاضلية ص ١١٥ ، ١١٦
 ١٣٢ ، ١٣٣
 مدرسة برسبای ص ١٠٥
 مدرسة الغوري ص ٦٩ ، ٧٤ ، ١٣٣
 المدرسة المنجاكية ص ١٠٥
 المدينة المنورة ص ٩ ، ١٥ ، ٢٦
 ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ١١٠
 ١١١ ، ١١٢ ، ١١٩
 مدينة القسطنطينية ص ١٣٢
 مرج ابی الدحداح ص ٢٩ ، ٣٩
 مرو ص ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٠
 مسجد أثر النبي ص ٦٨

مكة ص ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ١١٢	ميدان عابدين ص ٧٢
١١٩ ، ١٢٢	ميضأة المشهد ص ٤٧
المغرب ص ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٩	الناصرية ص ١٠٤
منى ص ١٠٠	واسط ص ٤٢
موقعة الجمل ص ١٣ ، ١٥	اليمن ص ٤٢ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٧٩ ،
موقعة صفين ص ١٣ ، ١٥ ، ١٢٣	٨٥ ، ٩٣
موقعة اليمامة ص ١٢٠	ينبع ص ٦٤ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٨١ ،
ميدان باب الخلق ص ٧٢	١٠٩

فهرس الموضوعات

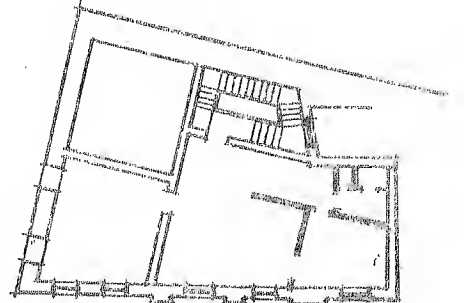
الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
مشهد الحسين بن علي رضوان الله عليه	٧
خروج الحسين رضوان الله عليه ومقتله	١٦
رأس الحسين وقبره	٢٤
المشهد الحسيني بالقاهرة	٤٥
قبة المشهد الحسيني	٥٦
رباط الآثار	٦٢
مخلفات الرسول	٧٦
القميص	٧٨
القضيب	٨٨
المكحلة	٩١
الشعر	٩٥
مصحف عثمان وعلى	١٠٩
مصحف علي بن أبي طالب	١٢٧
مصحف عثمان بن عفان	١٣١
تعريف باللوحات	١٣٥
ثبت المراجع العربية	١٤٨
المراجع الافرنجية	١٥٥
فهرس أسماء الأعلام	١٥٦
فهرس أسماء الاماكن	١٦٥
فهرس الموضوعات	١٧١



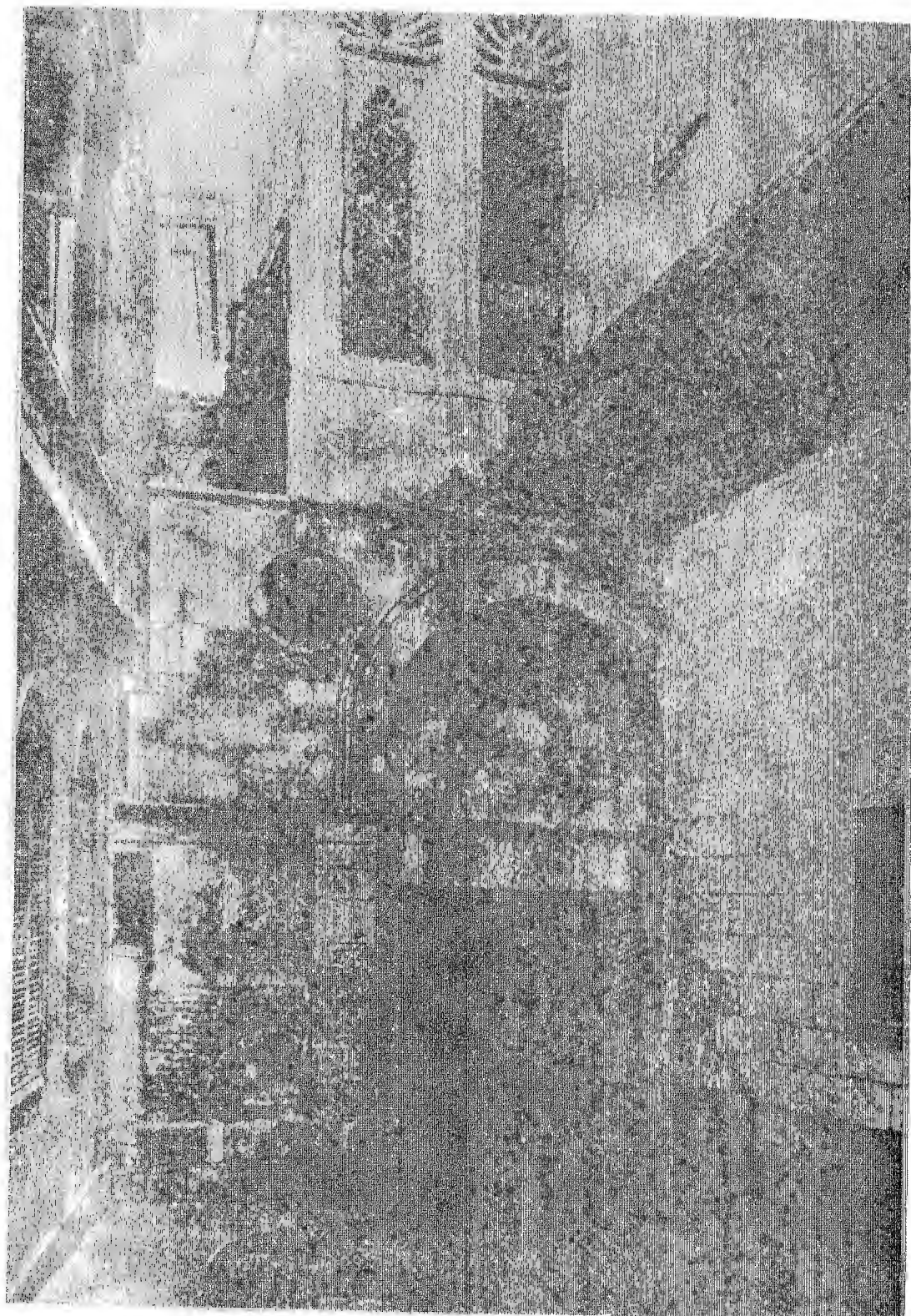
1875

1. Introduction

طبعة الأولى ١٩٨٠



لوحة رقم (١)



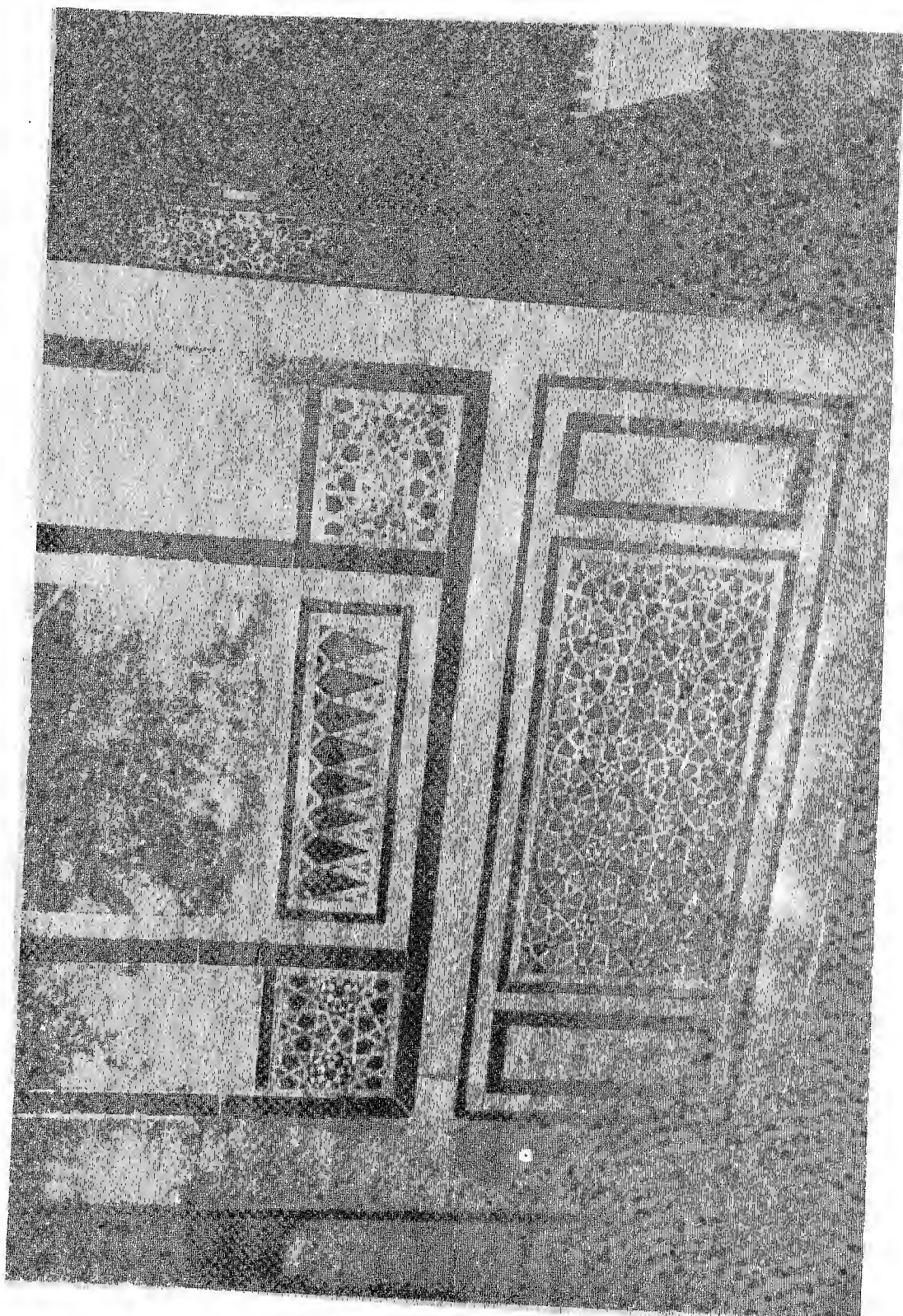
الباب الاخضر بالشهد الحسيني

لوحة رقم (٢)



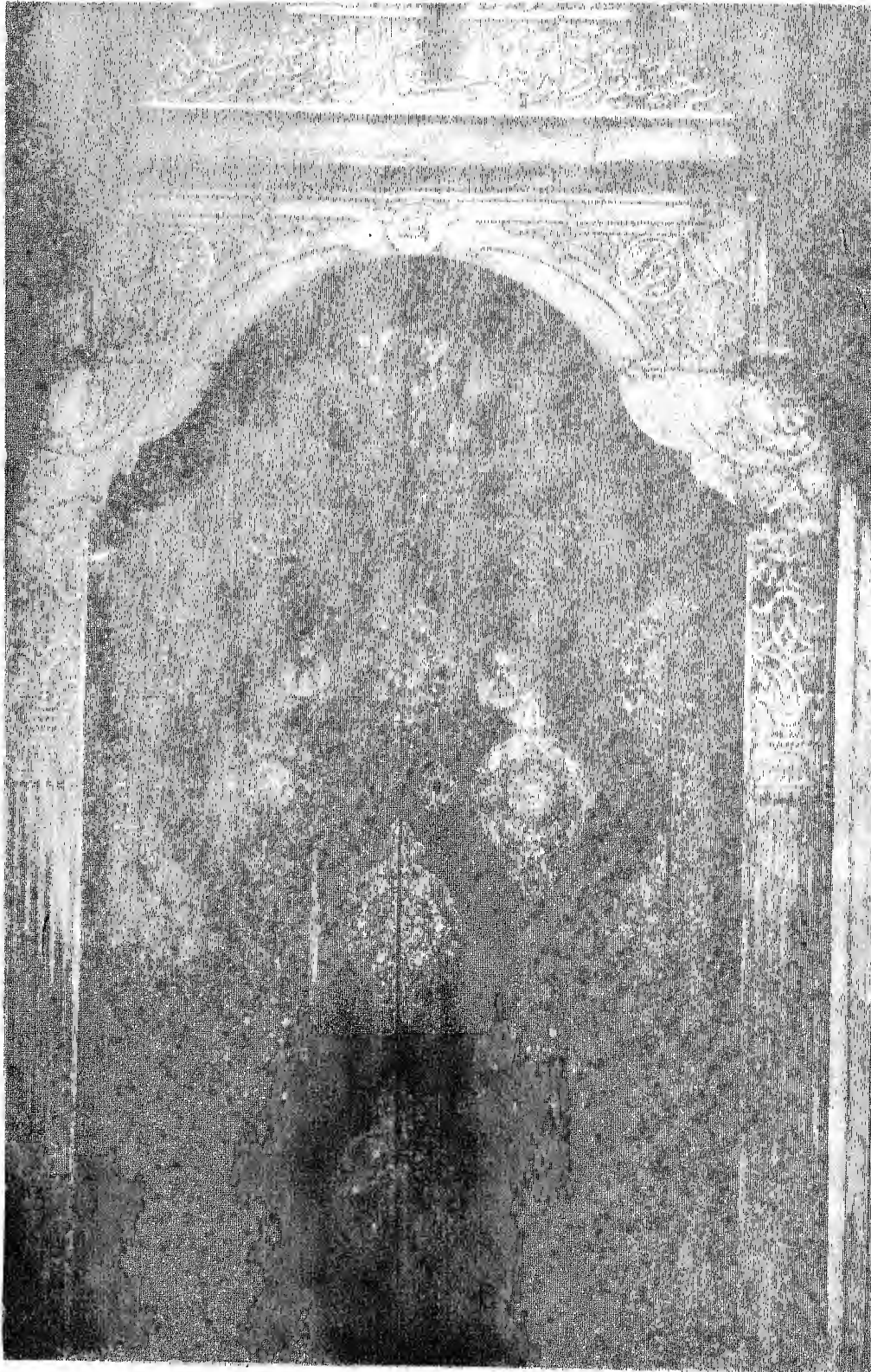
القبة التي تقو الشهيد الحسيني

لوحة رقم (٣)



أحد جدران القبة المطل على المسجد الحسيني

لوحة رقم (٤)



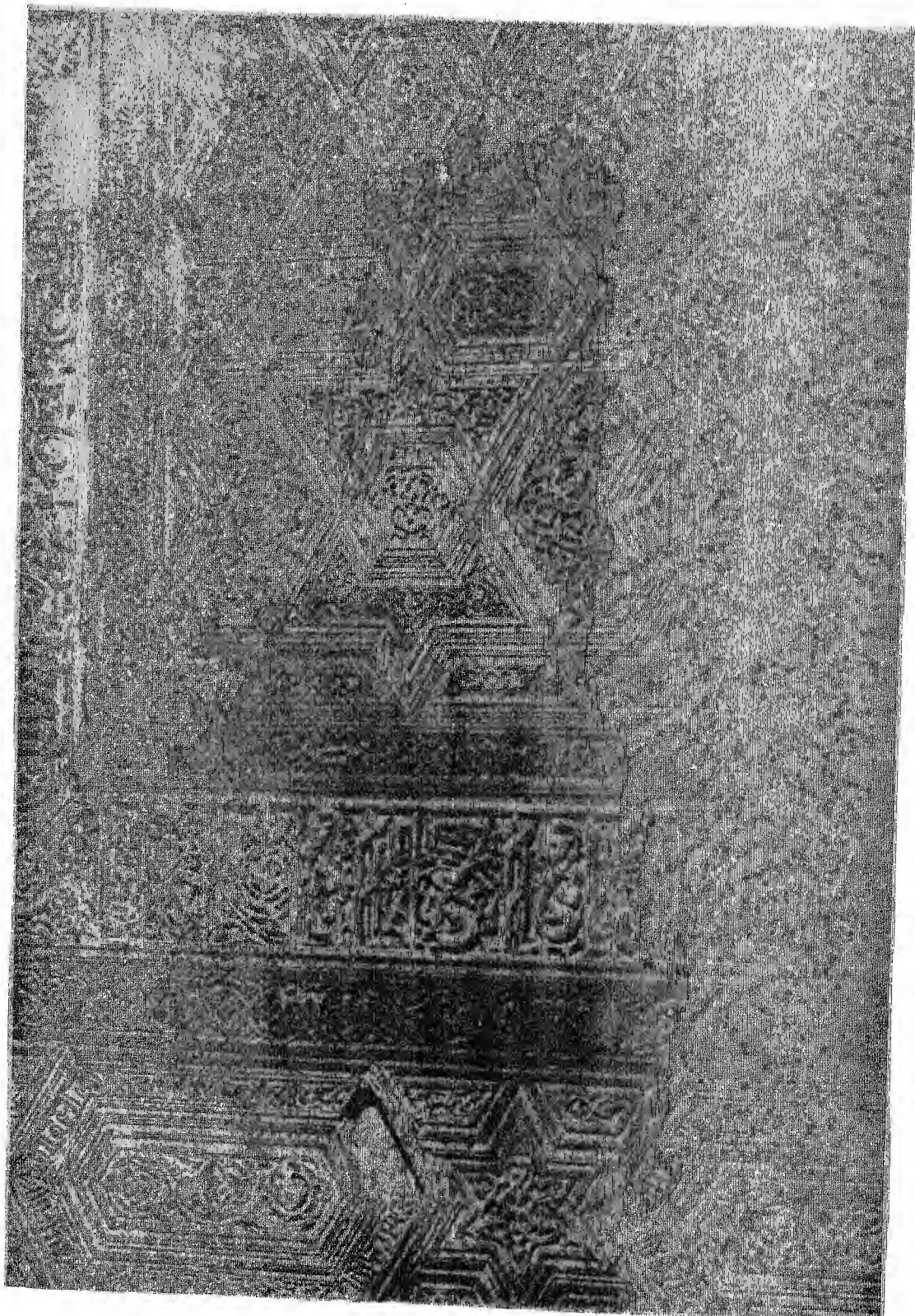
باب غرفة المخلفات النبوية

لوحة رقم (٥)



الواجهة الغربية للمسجد الحسيني
بعد التجديد الحديث

لوحة رقم (٦)



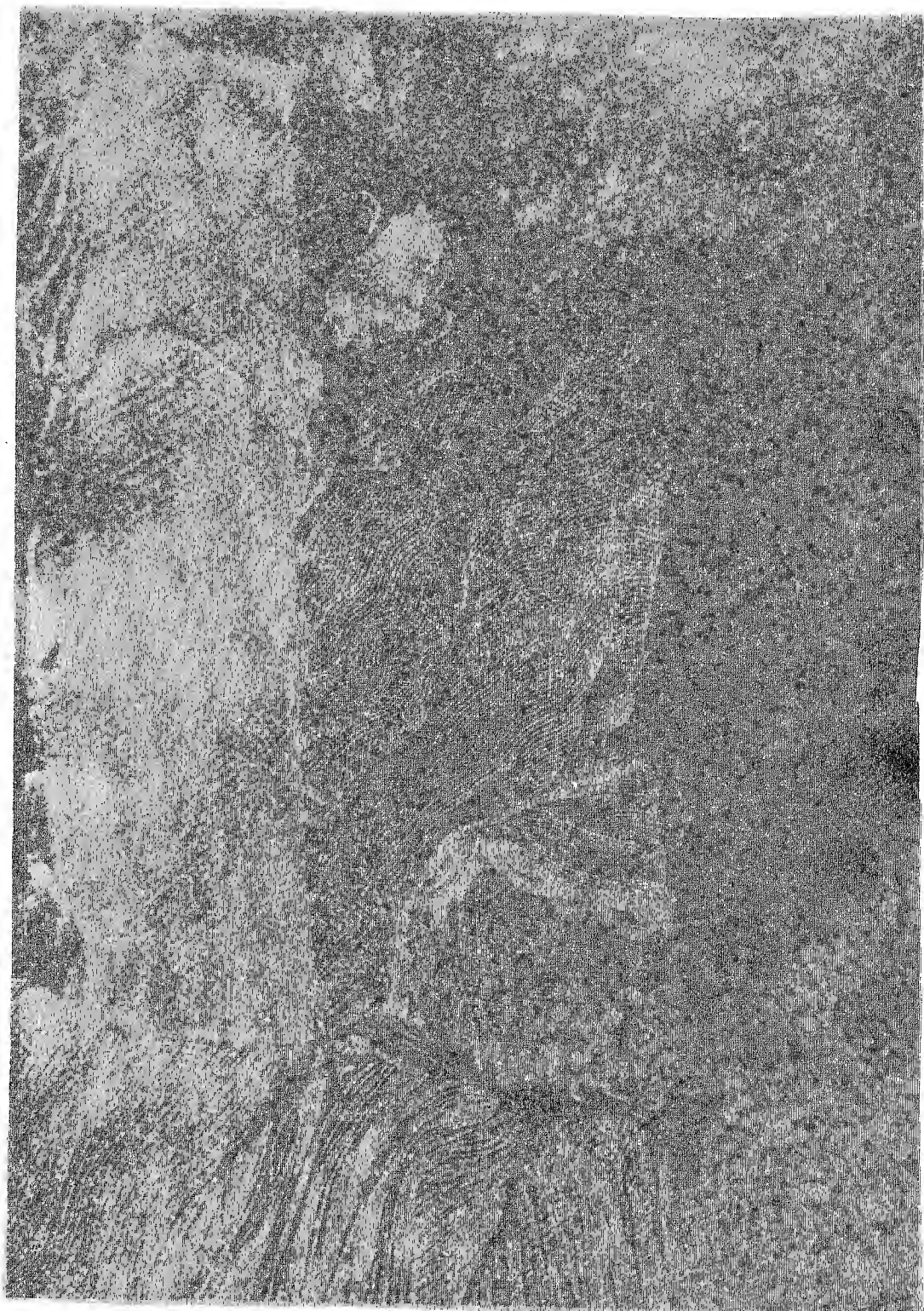
جزء من تابوت سيدنا الحسين الخشبي

لوحة رقم (٧)



اسطوانة من الزجاج بداخلها أربع شهورات
للرسول صلى الله عليه وسلم

لوحة رقم (٨)



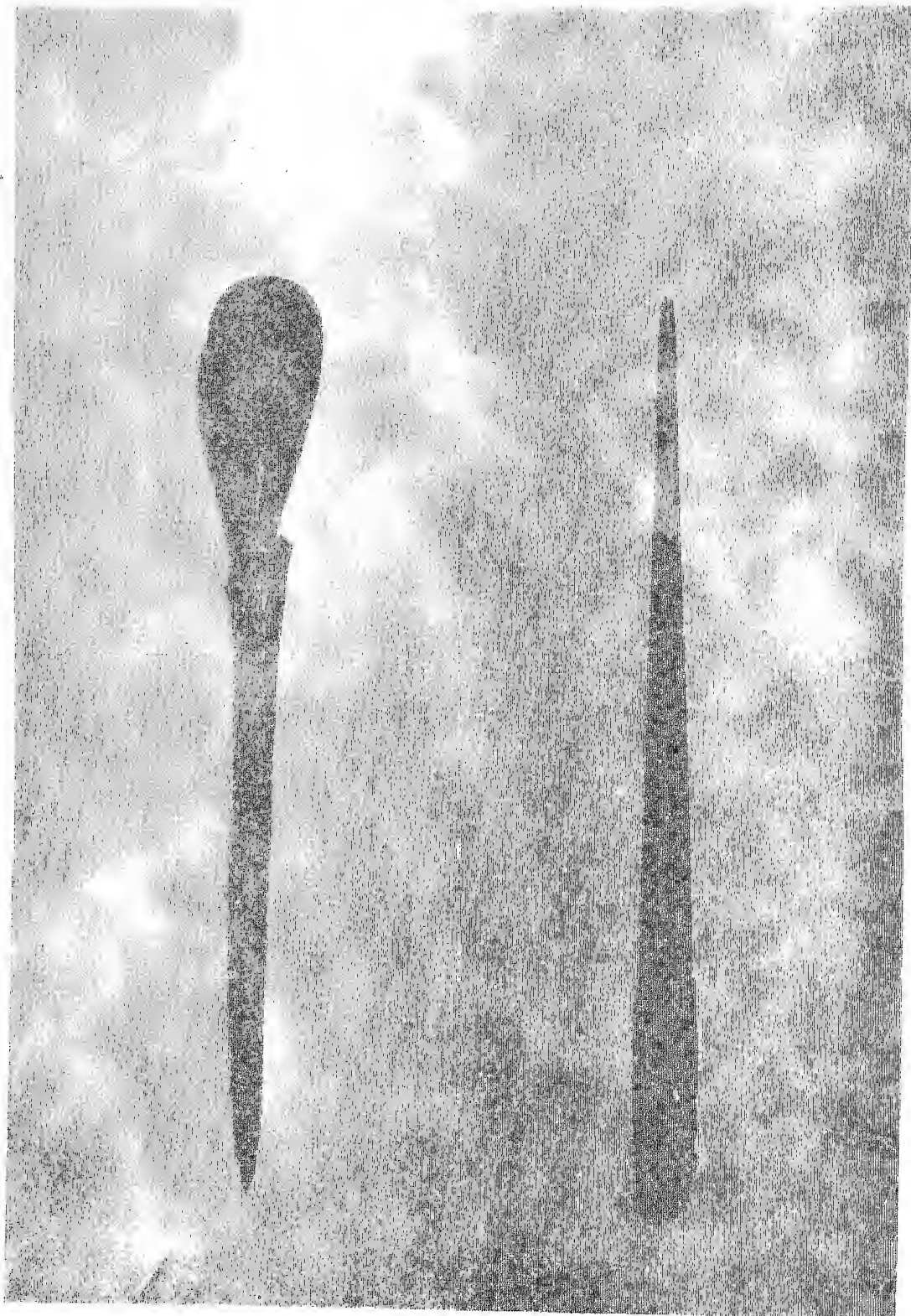
بقية نحتوى على ثلاث قطع من التستيج يطلقون عليها جميعا (قميص الرسول)

لوسعة رقم (٩)



جزء من عصا ربيع الرسول صلى الله عليه وسلم

لوحة رقم (١٠)



مكتلة الرسول صلى الله عليه وسلم ومروده

لوحة رقم (١١)



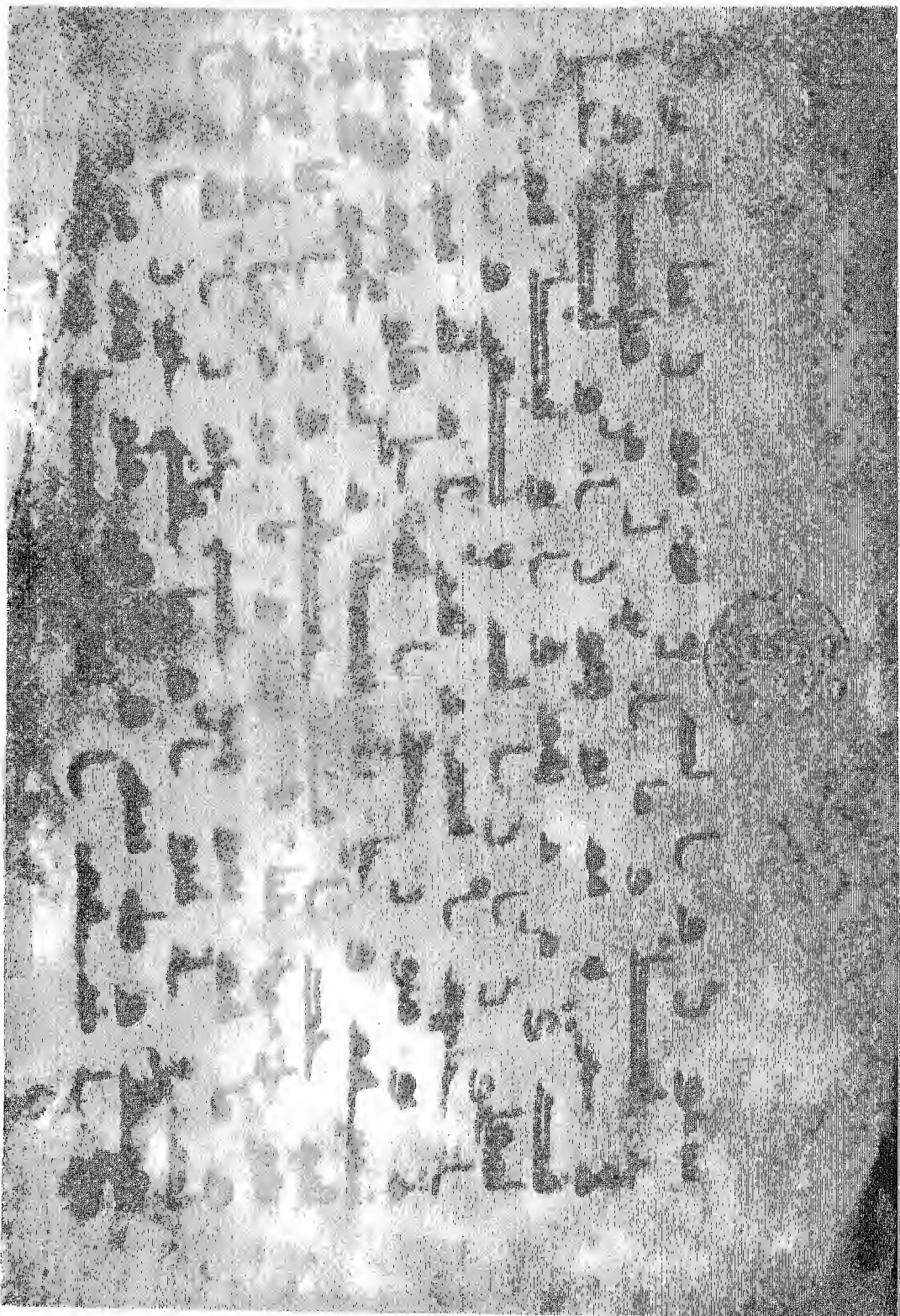
الصفحة الأولى من المصحف المنسوب إلى سفيان بن أبي طالب رضي الله عنه

لوحة رقم (١٢)



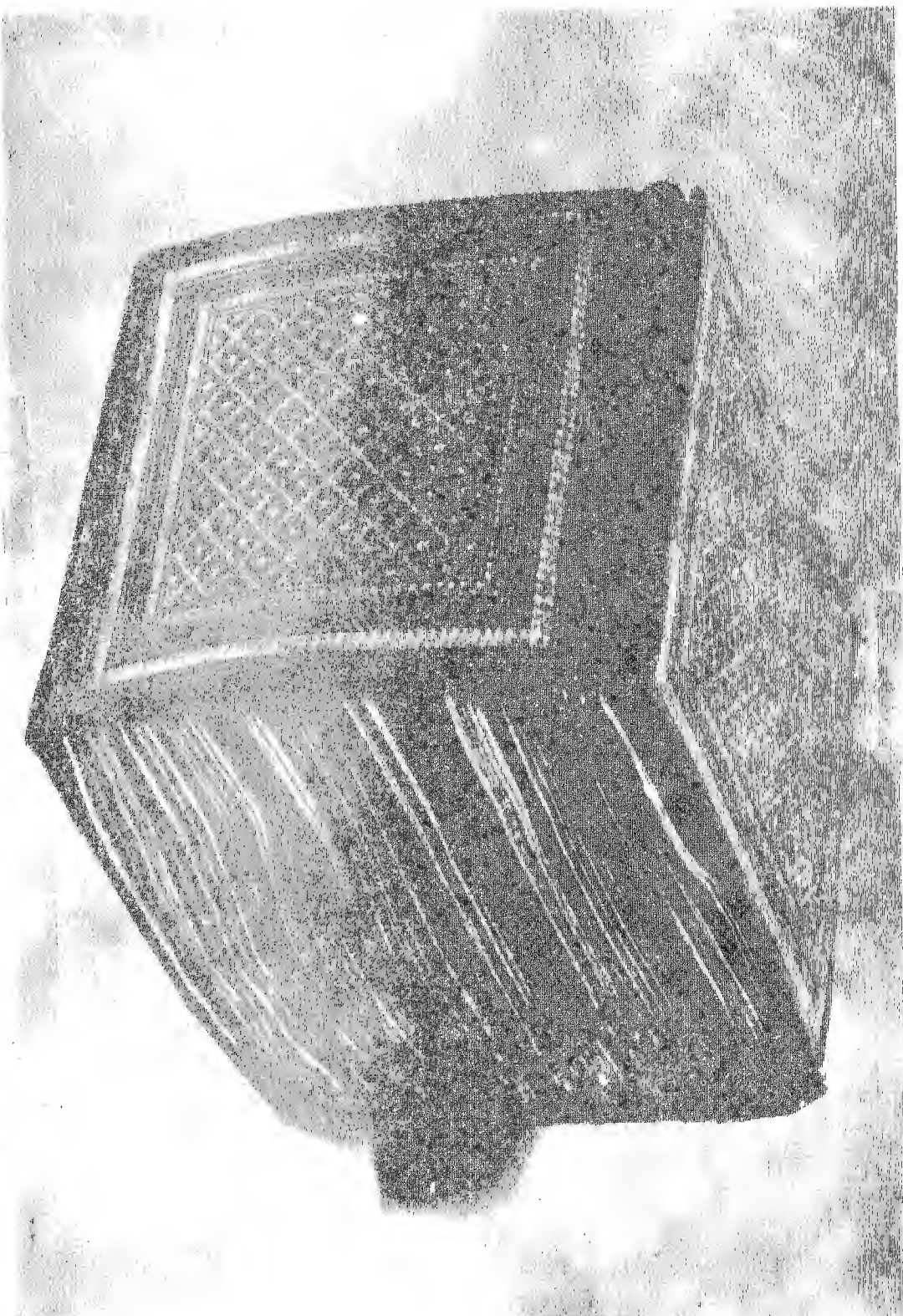
الصفحة الأخيرة من المصحف المنسوب إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لوحة رقم (١٣)



صفحة من المصحف المنسوب الى سينا على ، وقد ظهر على الكتابة نقاط حمراء للدلالة على الاعجام

لوحة رقم (١٤)



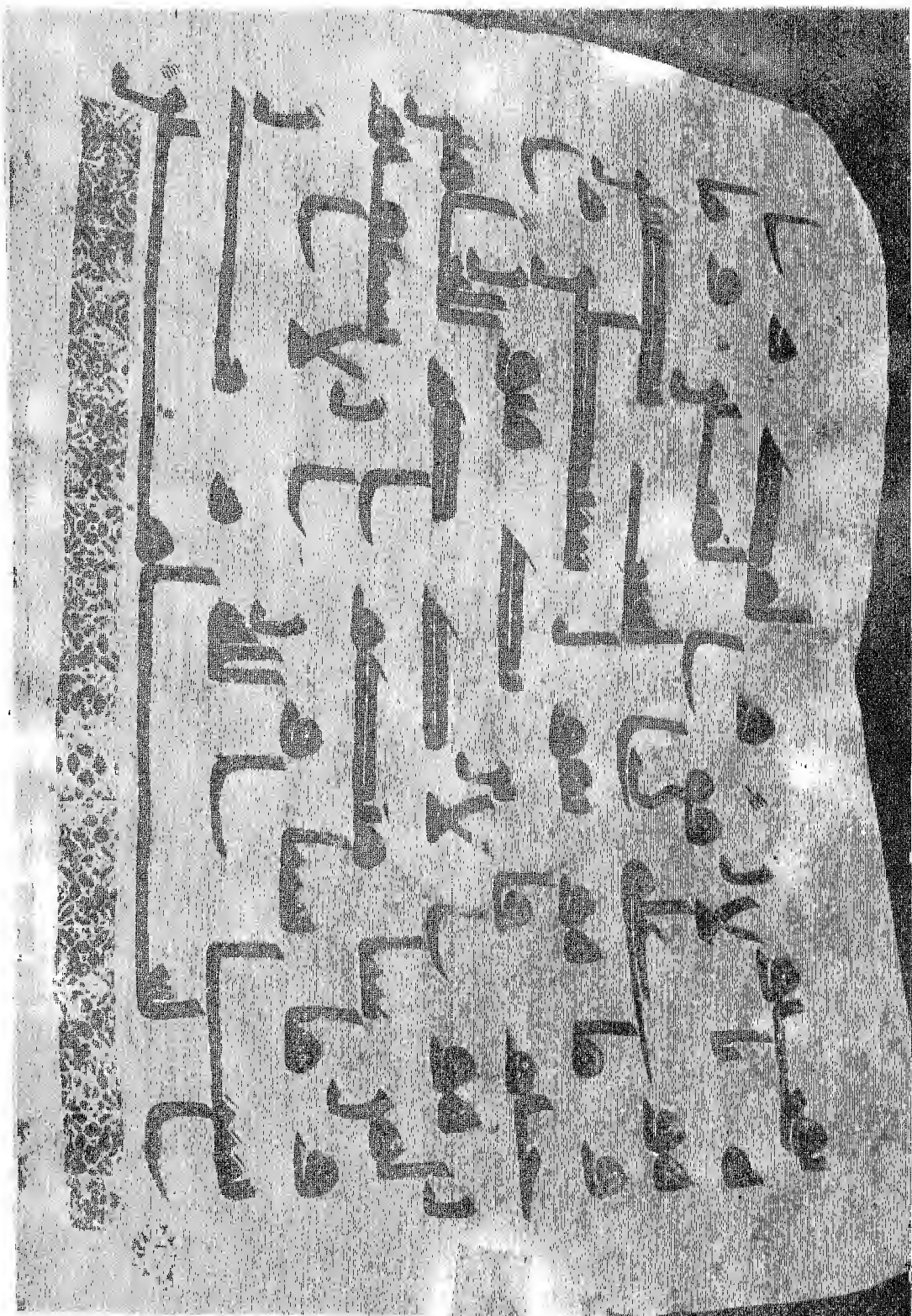
غلاف المصحف المنسوب إلى سيدنا علي رضي الله عنه . وهو من الجلد النقوش بطريق الصنف

لوحة رقم (١٥)



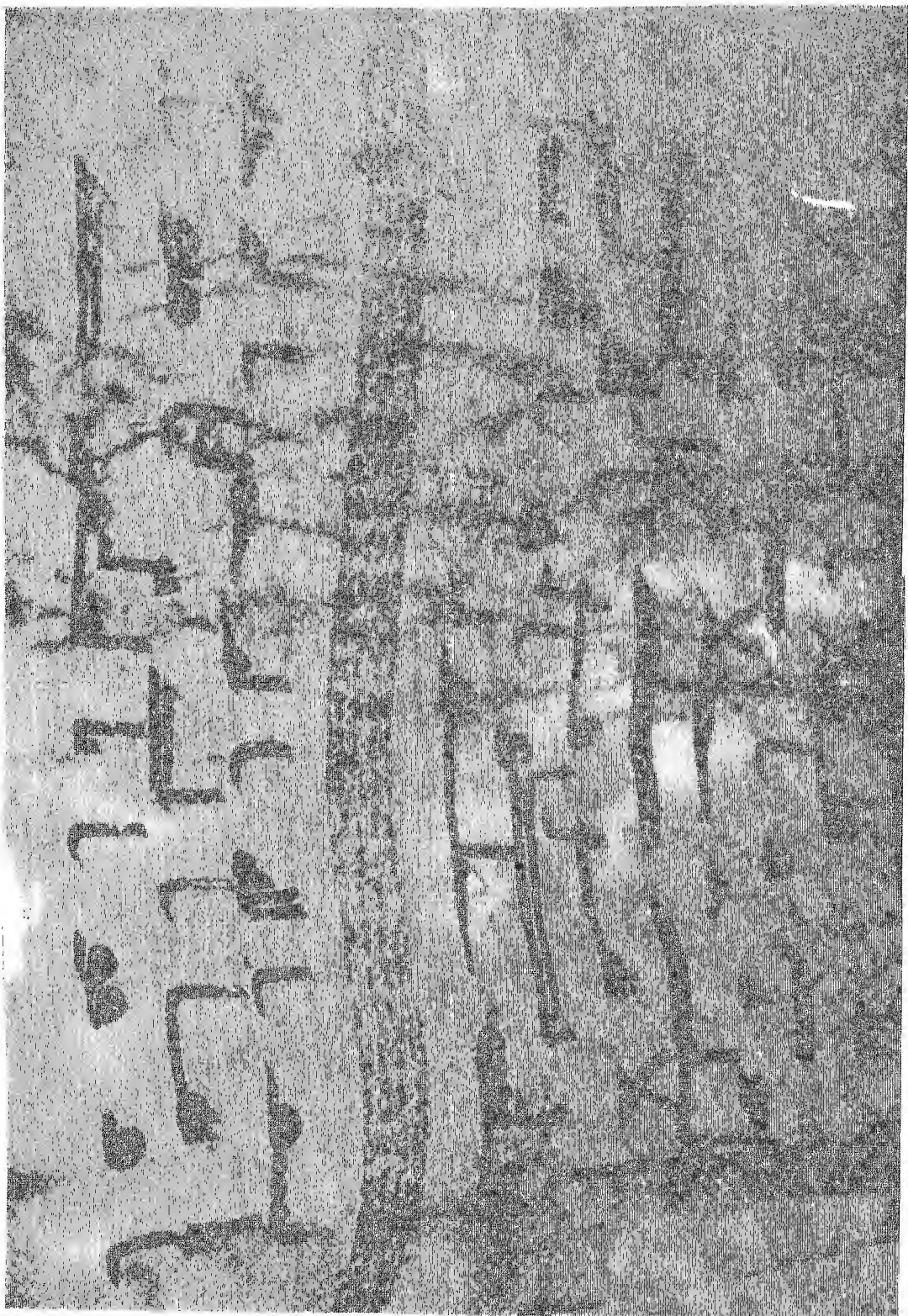
جانب من المصحف المنسوب الى سيفينا على بين ارتفاع صفحات المصحف ، وقد طمست عليه زخارف نباتية مزخرفة

لوحة رقم (١٦)



صفحة من المصحف المنسوب الى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه

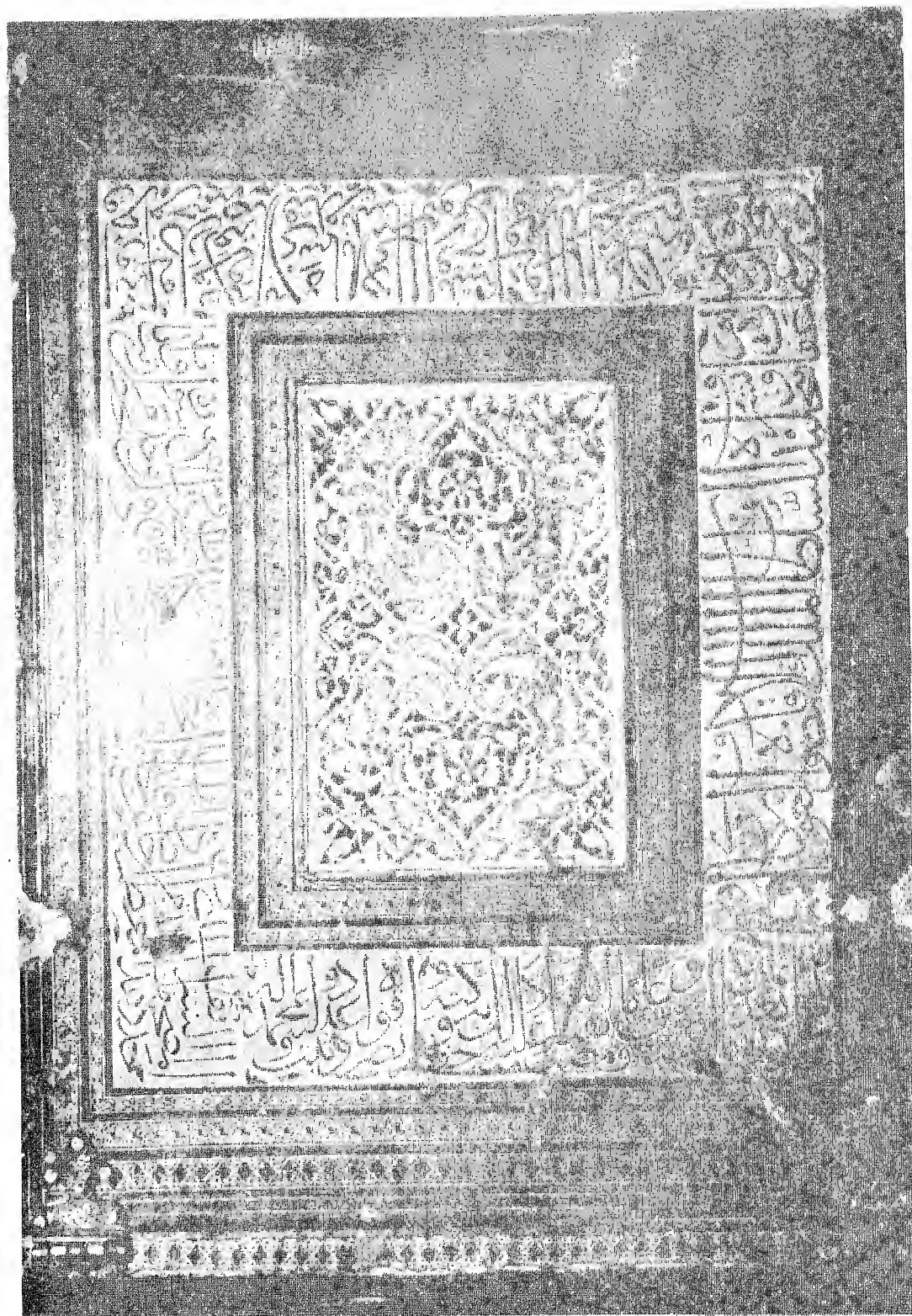
لوحة رقم (١٧)



صفحة من مصحف محفوظ بتحف برلين تشبه المصحف المنسوب الى سيدنا عثمان بن عفان

لوحة رقم (١٨)

غلاف المصحف المنسوب الى عثمان بن عفان رضي الله عنه



لوحة رقم (١٩)



مجموعة منقوشة لثلاث المصنفات النسوب الى عثمان

لوحة رقم (٢٠)



مفصلة أخرى عليها اسم السلطان قانصوه الغورى

السيف

المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

والموجود مع مخلفات الرسول

بمشهد الإمام الحسين رضوان الله عليه

بالقاهرة

للدكتور سعد ماهر محمد

عميدة كلية الآثار - جامعة القاهرة

كان من توفيق الله أن هيا من الأسلوب ما أتاح لى أن أعيش بضعة أشهر مع
المخلفات النبوية ، فقد طلبت الى وزارة الأوقاف فى سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ؛ أن
أكتب عن تلك الآثار الشريفة الموجودة بمشهد الامام الحسين رضى الله عنه .

وكأنما أرادت الأقدار أن تشرفنى مرة أخرى بدراسة بعض المخلفات النبوية
التي لم أكن قد تناولتها فى دراستى السالفة الذكر ، الا وهو السيف المحفوظ
بسجد الامام الحسين بالقاهرة الذى كلفتنى وزارة الأوقاف بدراسته . وأنه
ليسعدنى أن يكون لى شرف دراسة هذا السيف ، فأملأ العين والقلب منه ، بل
واليدى تيمنا به حسا ومعنى .

وقد نهجت فى بحثى ودراستى للسيف السابق الذكر ، المنهج الأثرى
والتاريخى ، وعلى ضوء هذين المنهجين استطعت أن أصل الى ترجيح رأى أو
قول ، أعتقد أنه أقرب مايكون اتفاقا مع المنطق والواقع .

على أن المتصدى للكتابة عن هذا السيف المنسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم لابد له أن يتناول بالبحث والدراسة السيوف المتعددة التي تركها الرسول معتمدا في ذلك على كتب السيرة والمراجع التاريخية ، وذلك من الناحية التاريخية ، أما من الناحية الفنية والاثريّة فقد كان من المفيد بل والضروري أن تتناول بصفة عامة دراسة تاريخ السيوف التي ترجع الى عصر الرسول وصدر الاسلام من ناحية المواد الخام وطريقة وأماكن صنعها ومميزاتها التي تفردت بها

أما عن السيف الذي بين أيدينا وموضوع هذا البحث فهو من بين المخلقات النبوية الموجودة بالقاهرة والتي أجمع كل من كتب عنها من المؤرخين (١) على أنها كانت عند بني ابراهيم ينيب ، والتي قيل أنهم تلقوها بالميراث عن أجدادهم الأولين في أجيال متعاقبة تمتد الى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم . وفي القرن السابع الهجري اشترى هذه المخلقات من بني ابراهيم ، وزير مصرى اسمه صاحب تاج الدين من بني حنا ، ثم نقلها الى مصر وبني لها رباطا (٢) على النيل ، عرف فيما بعد برباط الآثار وسماه ابن دقمان (٣) بالرباط الصحابي التاجي نسبة الى صاحب تاج الدين ، ويعرف الآن باسم (أثر النبي) .

ويحدثنا السيوطي (٤) في القرن الحادى عشر الهجرى عن الرباط فيقول: ولم يزل الرباط عامرا مأهولا بالمصلين والزوار حتى تبدلت الدول واختلت الأحوال فنقلت منه الآثار الشريفة خوفا عليها من السراق وتغيرت معالمه بتجديد بنائه .

ويضيف المؤرخ حسن بن حسين المعروف بابن الطولوني، فيقول أن السلطان النورى بنى القبة المواجهة لمدرسته للآثار النبوية . وقد نقل عنه على مبارك (٥) النص التالى : « وبرز أمره الشريف بعمارة قبة معظمة تتجاه المدرسة التي

(١) المقرئى في كتابه الخطوط والآثار؛ القلقشندي في صبح الاعشى . ابن كثير في البداية والنهاية والسيوطي في حسن المحاضرة ؛ على مبارك في الخطط التوفيقية ، ابن بطوطة في رحلته .

(٢) الرباط نوع من المباني العسكرية التي يسكنها المجاهدون الذين يدافعون عن الدين الاسلامى ضد السيف ؛ وكانت الاربطة منتشرة في صدر الاسلام قبل أن يستتب الأمن وتأمين الدولة الاسلامية على حدودها ولما زالت الصلة العسكرية عن الرباط أصبحت بيوتا للتقشف والعبادة يسكنها الصوفية .

(٣) الانتصار لؤاسطة عقد الامصار ص ١٠٢ .

(٤) حسن المحاضرة ج ٢ ص ٤٨ .

(٥) الخطط التوفيقية ج ٢ ص ٢٤ .

انشأها بخطط الشراشبي (١) ، كما رتبها بنظره الشريف ليكون فيها ما خصه الله تعالى من تعظيمها بالآثار النبوية وغير ذلك من مصاحف وربعات » .

وقد بقيت الآثار النبوية بقية الغوري أكثر من ثلاثة قرون حتى كانت سنة ١٢٧٥ هـ فرمى نقلها الى المسجد الزينبي ، فقد ذكر السيد محمود الببلاوى (٢) « أقول وقد استمرت الآثار النبوية بقية الآثار الى سنة ١٢٧٥ هـ وبعد ذلك نقلت الى مسجد السيدة زينب رضى الله عنها وبقيت به قليلا كما أخبرنا بذلك ثقافة الشيوخ الكبراء ثم نقلت بموكب حافل الى خزينة الأمتعة بالقلعة واستمرت بها الى سنة ١٣٠٤ هـ ثم نقلت الى ديوان عموم الاوقاف . وفى سنة ١٣٠٥ هـ نقلت الى سراى عابدين ثم أمر الخديو توفيق باشا أن تنقل الى المسجد الحسينى فأعد لها (مكان) فخيم وهو دولاب جميل الصنع فى الحائط الشرقى للمسجد من الجهة القبلىة .

ثم يضيف السيد الببلاوى فيقول : « واستمرت الآثار الشريفة بالدولاب السالف الذكر حتى أمر الخديو عباس حلمى الثانى سنة ١٣١١ هـ بإنشاء قاعة خاصة لمخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتقع هذه القاعة وراء الحائط الشرقى للمسجد الحسينى والحائط الجنوبى للقبة ، وهى باقية فيها الى اليوم »

لقد أطنب كتاب السيرة (٣) فى الحديث عن السيوف المنسوبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وذكروا لكل سيف اسما يخصه ، منها البتار والمعصوب والمخدم والرسوب والحنف . كما كان للنبي سيف يعرف بالقلعى (٤) أصابه من سلاح بنى قينقاع ، كما كان له كذلك سيف آخر ورثه عن أبيه اسمه المعروف (٥) .

(١) سوق الشراشبي هو سوق صناعة الخلع الذى عرف فيما بعد بسوق الغورية .

(٢) التاريخ الحسينى ص ٣٦ .

(٣) ابن سيد الناس : عيون الأثر فى فنون المغازى والسير .

(٤) نسبة الى قلعة تعرف باسم (كل) توجد شرق الهند فى بنغالة الحالية تشتهر بصناعة السلاح .

(٥) ابن هذيل : حلية الفرسان وشعار الشجعان ص ١٨٦ .

وكان أشهر أسياف النبي ذلك الذي غنمه يوم معركة بدر من العاص بن منبه السهمي بن الحجاج وقد مات كافرا في المعركة • ومنذ ذلك اليوم أصبح هذا السيف هو السلاح المفضل الذي لا يفارقه في حرب من حروبه • وقد سمي ذلك السيف باسم « ذو الفقار » وذلك لحزوز فيه مثل فقرات الظهر كانت في وسطه • وقد انتقل « ذو الفقار » بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى علي ابن أبي طالب ثم صار لبنيه حتى انتهى الى محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي ، فلما خرج على الخليفة أبي جعفر المنصور وأيقن الموت ناوله لرجل من التجار كان له عليه أربعمئة دينار ، وقال « خذه فانك لا تلقى أحدا من آل أبي طالب الا أخذه وأعطاك حقه » فاشتراه منه جعفر بن سليمان العباس لما ولي المدينة ثم أخذه منه الخليفة المهدي وانتقل الى الهادي ثم للرشيدي •

ويروى أن الرشيدي أعطاه ليزيد بن فريد لما خرج لقتال الوليد بن طريف • وإذا صح هذا فلا ريب في أن الخلفاء استردوه منه أو من ورثته لأنه كان بعد ذلك عند المعتز بن المتوكل •

ومن السيوف التي اشتهرت في الجاهلية صمصامة عمرو بن معدى كرب ذكره بعض أصحاب السير فيما صار الى النبي صلى الله عليه وسلم من السيوف ، كما ذكره فريق آخر على أن عمرا أهداه الى خالد بن سعيد بن العاص عامل الرسول على اليمن •

على أنني لا أجد تضاربا في الروايتين ، فمن المؤكد أن السيف المعروف بالصمصامة كان يملكه عمرو بن معدى كرب في الجاهلية ، وهو من السيوف التي ضرب بها المثل في كرم الجوهر وحسن المنظر والمخبر والمضاء ، فلما أسلم عمرو أهداه لعامل الرسول صلى الله عليه وسلم - خالد بن سعيد بن العاص - الذي أعطاه بدوره للرسول صلوات الله عليه وبذلك أصبح من سيوفه الكثيرة التي غنمها أو أهديت له •

وتاريخ (١) الصمصامة بعد وفاة الرسول تاريخ طويل لا داعي لذكره ، انما الذي يعنينا في هذا المقام هو ما ذكره المؤرخ ابن نباتة (٢) في كتابه « سرح

(١) ابن الأثير : الكامل ، صبح الأعشى ج ٢ ص ١٣٣ : نهاية الأرب ج ١ ص ٢١٣ •
(٢) ابن نباتة : سرح العيون •

العيون » عند الحديث عن أخبار الخليفة العباسي المتوكل على الله ، أن السيف المعروف باسم الصمصامة كان عنده فدفعه الى باغر التركي فقتله باغر به لما غدر به الاتراك ، ومن عند باغر انقطع خره .

ويقول أحمد تيمور (١) : ثم انتقل الصمصامة كما انتقل ذو الفقار بعد ذلك الى الفاطميين بمصر حتى لهبت خزانة سلاحهم وقسمت بين الأمراء الذين ثاروا على الخليفة المستنصر بالله ، كبنى حمدان وشاور وغيرهما (٢) . ويعلق عبد الرحمن زكي (٣) على نص المقرئ فيقول : « ويحتمل أن تلك السيوف قد وصلت الى الفاطميين عن طريق الشراء من بعض تجار العراق » .

وقد وصف الطبري الصمصامة بأنها صفحة موصولة من أسفلها مسمرة بثلاثة مسامير تجمع الوصلة .

ومن السيوف المنسوبة للرسول صلوات الله عليه السيف المعروف باسم الغضب كان قد أعطاه إياه سعد بن عباد (٤) . وكان سعد صحابيا انصاريا وكان تقيب بنى ساعده ، ذكره بعض كتاب السير فيمن شهد بدرًا ، ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن أسحق في البدرين ، وذكره فيهم الوافدي والمدائني وابن الكلبي .

وهو صاحب راية الانصار في المشاهد كلها ، ويصفه ابن الأثير فيقول كان وجيها في الانصار ذا رياسة وسيادة وكان سيذا جوادا يعترف قومه له به . وكان يحمل الى النبي صلى الله عليه وسلم ، كل يوم جفنة مملوءة ثريدا ولحما تدور معه حيث دار ويقال لم يكن في الأوس ولا في الخزرج أربعة يطعمون يتوالون في بيت واحد الا سعد ابن عباد ، وله ولأهله في الجود أخبار حسنة .

وقد نظم عبد الحى بن شمس (٥) الأفاق أبو المكارم عبد الكريم الفاس ، أحد الشعراء القدامى سيوف الرسول في ثلاثة أبيات من الشعر قال :

(١) أحمد تيمور : الآثار النبوية ص ٢٦ .
 (٢) المقرئ : الخطط والآثار ج ١ ص ١٧ (بولاق) .
 (٣) الدكتور عبد الرحمن زكي : السيف في العالم الاسلامي ص ٤١ .
 (٤) ابن الأثير : اسد الغابة (حرف السين) .
 (٥) ابن هذيل : حلية الارسان وشمار الشجران ص ١٨٦ .

لها ديناً من الاسياف تسع
قضيبت حثف والبتار غضب
وحكمتها تناسب آى موسى
رسوب والمخدم ذو الفقار
وقلمى ومأثور الفجار
وكل للعدا سبب البوار

من هذه الأبيات يتبين لنا أن عدد سيوف الرسول التي عرفت واشتهرت في التاريخ بأسمائها تسعة ، ومن بين هذه الاسياف المشهورة السيف الذى ورد في كتب السيرة ان الصحابى سعد بن عبادة قد أهداه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو الذى عرف باسم الغضب •

والغضب (١) ، معناه السيف القاطع البتار ، كما يقال للشاة غضباء، اذا انكسر قرنها أو شق أذننها • وكانت للرسول صلى الله عليه وسلم ناقة تلقب بالغضباء لنجاتها لا لشق أذننها • وليس من المستبعد أن تكون الناقة قد سميت بهذا الاسم بعد أن أهدى الى الرسول صلوات الله عليه ، السيف الغضب البتار ، فأطلق عليها صفته لجودته وحدته وشهرته •

ومن المعروف أن بعض الآثار النبوية (٢) ومخلفات بعض الخلفاء والصحابة مجفوفة في متحف طوب قابو سراى فى استانبول • ويعلق على ذلك عبد الرحمن (٣) زكى فيقول : ولا ندرى مدى احتمال نسبتها الى أصحابها •

أما عن كيف وصلت هذه المخلفات النبوية الى تركيا ، فيقول بعض مؤرخى الدولة العثمانية ، أن تلك الآثار كانت عند أمراء مكة وقيل أن الشريف بركات أمير مكة بعث بها الى السلطان سليم الأول مع ولده ابن ندى فحملها السلطان الى الاستانة •

وذهب فريق آخر من المؤرخين الى القول بأنها كانت لدى الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر فتسلمها السلطان سليم من المتوكل على الله محمد بن يعقوب آخر الخلفاء العباسيين بمصر •

واذا تتبعنا تاريخ صناعة السيوف فى العصور القديمة ، لوجدنا أن الهند كانت من أقدم بلدان العالم التى عرفت الحديد ، كما أنها كانت من أوائل الدول

(١) المصباح المنير : حرف العين •

(٢) الآثار النبوية ص ٧٣ •

(٣) السيف فى العالم الاسلامى ص ٤٢ •

التي عرفت الافادة منه وخاصة فى صناعة الصلب الذى استعمل فى صناعة النصال (١) على أنه يبدو أن العصر الذهبى لصناعة الحديد فى الهند كان فى العصور الوسطى الأولى وخاصة فى القرنين الخامس والسادس الميلادى . فقد أطنبت المراجع التاريخية فى ذكر ما بلغه صناع الصلب فى الهند ومدى ما وصلوا اليه من الدقة والاتقان فى هذه الصنعة حتى أصبح الصلب مادة طيعة فى أيديهم فشكلوها حسب رغباتهم . ولعل خير ما يؤيد ما ذكره المؤرخون من علو منزلة الصناع الهنود فى هذا الميدان ، الأعمدة الحديدية القائمة فى أهم ميادين دهلى ونيودهللى ، ونذكر منها العمود المعروف باسم (Lat) (٢) فى مدينة دهلى بالقرب من (قطب منار) الذى لم يظهر عليه أية آثار للصدأ رغم مرور ١٥٠٠ عام تقريبا على صنعه (٣) .

وكانت الهند طوال العصور الوسطى مصدرا هاما لحاجيات أسواق الشرق الأوسط من الحديد الصلب ، فقد أجمعت المصادر التاريخية على أن النصال الدمشقية كانت تصنع من حديد مناجم كونا ساموزدروم Kona Samusdram فى حيدر اباد ، وكان ينقله الفرس الى دمشق ، وكانت دمشق تمتنى بانتقاء الخامات الجيدة ويفسلونها ويخمنونها أحيانا ثم يوقد عليها بالفحم الخشبي فى أوان من الفخار ثم يتركونها لمدة طويلة لتبرد ببطء ، وبعد ذلك تبدأ عملية الطرق والتسقية وغيرها من العمليات ، ليصنعوا منها النصال الجيدة ، ويضيف Goodale فيقول : « وكان الخليط الذى يصنعونه من الحديد يحتوى على قليل من عناصر غير فلزية مثل الكبريت والفوسفور والسليكون كما يحتوى على قليل من النحاس الأحمر (٤) » .

وجاء فى كتاب صناعات دمشق القديمة (٥) ، أن دمشق كانت تستورد الفولاذ الهندي الذى يحتوى على قليل من الالومين والسلكا ، لتصنع منه النصال الكريمة التى اشتهرت بشدة صلابتها ومرونتها وفرندتها البديع الشكل

(١) احمد تيمور ص ٧٣ : عبد الرحمن زكى ص ٤٢ .

(٢) Goodale : Chronology of Iron and Steel p. 15.

(٣) وجاء فى وصف هذا العمود فى كتاب السيل فى العالم الاسلامى ص ٧٢ مايل : هذا - العمود عبارة عن قطعة من الحديد الصلب المطاوع وزن حوال (١٧) طنا وتفضل ثمانين قدما مكعبا من المعدن وقطر العمود حوال ٤٢ سم فى القمة الى ثلاثين سم .

Krishman : Indian Minerals vol. VI pp. 114-115.

(٤) Goodale : Chronology of Iron and Steel p. 26.

(٥) عيسى اسكندر معلوف : صناعات دمشق القديمة ص ٣٨٨ (المجمع العلمى العربى)

واللون . ويضيف عيسى اسكندر المعلوف فيقول : وقد عرف الجوهر الدمشقي باسم الحناوى أو الحنون .

ويذكر المؤلف الكندى (١) السيوف الدمشقية عند حديثه عن أنواع السيوف ومميزات كل منها فيقول : عرفت السيوف الدمشقية بجودتها منذ القدم وامتازت نضالها بقطعها الجيد اذا كانت على سقايتها الأصلية ، والسيوف الدمشقية أقطع السيوف المولدة .

أما عن شكل السيوف ، فتحدثنا المراجع (٢) على أن السيف المستقيم كان هو السيف السائد بين أسلحة الحضارات القديمة ، وإن هذا السيف استعمل في شبه الجزيرة العربية زمن الجاهلية وفي صدر الاسلام . وتنقسم السيوف المستقيمة عند المسلمين الى نوعين ، سيوف مستقيمة ذات حد واحد وسيوف مستقيمة ذات حدين .

ويضيف الكندى فيقول ، وتنسب السيوف المستقيمة الى صدر الاسلام : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتوشح بالسيف في عنقه بواسطة حماله (٣) وذلك على الطريقة العربية المتبعة في عصره .

ويقول عبد الرحمن زكى (٤) : إن السيوف الاسلامية التي وصلت إلينا والتي تنسب الى الحقبة الأولى أى صدر الاسلام قليلة ربما لا يتجاوز عددها خمسة سيوف محفوظة اليوم في متحف طوب قابو سراى فى استانبول ، ومن أهم هذه السيوف ، سيف مستقيم النصل ينسب الى الصحابى سعد بن عباد .

وقد امتازت النصال الاسلامية على غيرها من سيوف العالم القديم والوسيط بظاهرة فنية تعرف باسم جوهر السيف أو فرندة (٥) ولم يقتصر المسلمون على

(١) يعقوب بن اسحق الكندى : السيوف واجناسها (مخطوطة بدار الكتب رقم ٩٢٢٣ ادب مكتبة ليدن بهولندا رقم ٢٨٧ انظر أيضا عبد الرحمن زكى : السيوف واجناسها فى رسالة الكندى - مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ج ٢ ديسمبر ١٩٥٢ ص ١ - ٣٦ .

(٢) Cowper : The Art of Attack p. 128. (٢)

(٣) الزرقانى : شرح المواهب ج ٤ ص ٣٣٥ .

(٤) السيف فى العالم الاسلامى ص ١٢٤ .

(٥) يقول الجوالقى فى كتابه العرب ص ٢٤٣ : الفرند فارس معرب وهو جوهر السيف وماؤه طوالفه .

لفظي الجوهر والفرند كناية عن مميزات نصال سيوفهم بل تعددت الألفاظ ، مثل الأثر والسفسقة •

ويشرح لنا الدكتور عبد الرحمن زكي (١) معنى الجوهر أو الفرند من الناحية الفنية فيقول : الفرند في اصطلاح صناعة السيوف عبارة عن تموجات ترى على صفحات النصال على شبه عقد متناسقة متقاربة متلاصقة : أو كبقع يستدير بها خانات متعددة تخال لعين الرائي أنها مؤلفة من ألوف الفولاذ الدقيقة ممتزجة بمعادن آخر يختلف عنها لونا (شكل ٤) • ويضيف عبد الرحمن زكي فيقول : وربما ظهرت تلك التموجات متراكبة بعضها فوق بعض ، ومنظمة مع كثرتها على هيئة اشكال هندسية ذات ترتيب أنيق واحكام بديع •

ويقسم عبد الرحمن زكي الجوهر الى أربعة أنواع مشهورة . هي الدمشقي أو الشامي والایرانی والهندي والارناؤدى • وقد تناول كل نوع من تلك الأنواع الأربعة وتكلم عن مميزاته ، ويهنا في مجال سيوف الرسول صلى الله عليه وسلم أن نعرف مميزات الجوهر الدمشقي الذي يعرف أيضا باسم الجوهر الخنون •

ومن أهم خصائص الجوهر الدمشقي انه يمتاز بأشكال بقعه الهندسية المحكمة كتموجات رائعة (شكل ١ ، ٢) • كما يمتاز بأشراق لونه المائل الى البياض مع عدم قبوله للصدأ كسائر أنواع الجوهر . كذلك يمتاز بليته ولداته ، مع نعومة حبوه المتقاربة المسام وذات لون رمادي مائل الى البياض (شكل ٣) • والجوهر الدمشقي اذا طرق نصله Tempered أو أعيد تحضيره watered ظهر فيه الجوهر حسنا بخلاف غيره من الجواهر الأخرى •

أما عن مقبض السيوف الاسلامية القديمة فقد كان بسيطا وكثيرا ما يكون من الخشب ويندر أن يصل اليها مقابض للسيوف الاسلامية القديمة لأنها كانت تستبدل بمقابض أخرى عندما تقع غنيمة أو يصيب التلف بعض أجزائها • وفي أسفل المقبض توجد حديدة معترضة على الغمد تعرف باسم الواقية شكل (٤) ، وأبسط وأقدم أشكال الواقية ما كانت على هيئة صليب ولذلك سميت في الانجليزية Cross-Guard وكان طرفا الواقية في السيوف الاسلامية القديمة يتجهان الى أسفل (لوحة رقم «٢») • -

وصف السيف

وبدراسة السيف المنسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم ، من الناحية الأثرية والفنية يتبين لنا أولا انه يتكون من نصل مستقيم ذى حدين يبلغ طوله ١٢٥ سم وعرضه فى أعرض أجزائه ٤ سم وذلك عند الواقية وعرضه فى الوسط ٣ سم وعند طرفه المدبب يبلغ عرضه ٧٥ رسم لوحة رقم (١) •

وبفحص النصل بالمعمل الكيماوى قسم الصيانة بصلحة الآثار : اتضح لنا أنه مصنوع من الصلب الهندى الذى يتكون من الحديد المعروف باسم Magnetite ويرجح أن يكون من صناعة دمشق للأسباب التى سيرد ذكرها فى التقرير المعلى • ويمتاز فرند النصل باحتوائه على تنميش Etching شكل (١) الذى يعرف Damask Pattern كما ظهر بالفحص وجود تجويفات حادة (أو شق) فى بعض أجزاء النصل نتيجة استعماله فى المعارك •

ومقبض السيف بسيط ويتكون من الخشب ومثبت فى نهاية النصل بواسطة ثلاثة مسامير وفى نهاية المقبض توجد الواقية وهى على شكل صليبنى يتجه بطرفيه الى أسفل (لوحة رقم «٢») •

والسيف محفوظ فى غمد من الخشب المغلف بغلاف من الجلد الرقيق (لوحة رقم «١») طبع على طرفه المدبب زخارف وكتابات بماء الذهب ، وأسلوب الزخارف وكذا الكتابة يؤكد على أنه ليس الغمد القديم بل انه مستحدث ويرجع الى القرن التاسع أو العاشر الهجرى أى انه صنع فى العصر المملوكى وليس من المستبعد أن يكون السلطان الغورى هو الذى جدد الغمد كما جدد غلاف المصحف المنسوب الى سيدنا عثمان عندما نقل مخططات الرسول صلى الله عليه وسلم من رباط الآثار الى قبته التى بناها أمام مدرسته بهى الفورية لوحة رقم (٣ ، ٤) •

• ونص الكتابة على أحد الجوانب (لوحة رقم «٣») •

• ونص الكتابة على الجانب الثانى (لوحة رقم «٤») •

وبفحص السيف بالمهجر المكبر (الميكروسكوب الثنائى العينية) تبين وجود نص من الكتابة العربية محفورة على أحد جوانب النصل ؛ ظهر بوضوح أنها محفورة فى معدن السيف ولها نفس قدمه حيث ظهر وجود الصدأ وتأثر المعدن بفعل الزمن ويبلغ طول هذه الكتابة ٣٥ سم •

وبدراسة أسلوب خط الكتابة تأكد لدينا أنها مشتقة من الخط النبوى أصل الكتابة العربية ؛ فهو يشبه الى حد ما أسلوب خط نقش حران المؤرخ سنة ٦٥٨م آخر مراحل الانتقال من الخط العربى الحجازى ؛ وان كان خط السيف متطور بعض الشيء ؛ كما يشبه الخط المحفور على شاهد القبر الذى عثر عليه فى أسوان ويرجع اليه سنة ٥٣٩هـ / ٦٥٠م وان كان خط الشاهد أكثر تطوراً من خط السيف (شكل) وعلى ذلك يمكن ارجاع أسلوب خط السيف الى الفترة الزمنية التى تقع بين التاريخين ؛ أى اننا نستطيع تأريخ أسلوب الخط الى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ١٠ هـ / ٦٢٩م •

ويمكن قراءة النص كالاتى : ب (محمد رسول الله من سعد بن عبادة) -

(شكل «٤») •

ولذلك فأننى أستطيع القول بأن السيف يرجع الى عصر الرسول ؛ ومن المرجح أن يكون هو السيف الذى أهده سعد بن عبادة الانصارى للرسول صلى الله عليه وسلم ، والذى سمي بالمعصب نسبة الى الشق الموجود به الذى سبق الإشارة اليه •

وفيما يلى التقرير المعلى الذى قام به الدكتور صالح أحمد صالح مدير مركز دراسة وصيانة الآثار المصرية •

أولاً : الفحص الأولي :

عند فحص سطح المعدن بعدسة تكبير صغيرة ظهرت بعض مناطق بلون رصاصي فاتح يعطى تأثير الطلاء بالفضة وباقي سطح المعدن غير لامع ولا يظهر عليه مثل هذا التأثير ، حيث توجد طبقة رقيقة على السطح تختلف في سكتها وفي لونها من مكان لآخر حيث تلاحظ وجود اللون الأحمر الدموي والأصفر والبني وكلها لمواد من ناتج صدأ الحديد ، وظهرت بوضوح أيضا في بعض أجزاء حافة النصل تجويفات حادة الجوانب نتيجة لتقابل السيوف في القتال مما يؤكد أن السيف سبق استخدامه في معارك ، كذلك تبين بالفحص وجود نص من الكتابة العربية على أحد جوانب السيف محفورة في السطح .

ثانياً - الفحص بالميكروسكوب ثنائي العينية :

وبفحص السيف بالميكروسكوب المذكور تأكد من عدم وجود أى آثار لطلاء الفضة وأن المناطق التى أعطيت هذا الإيحاء لم تتكون عليها نواتج صدأ وبقيت على ما يقارب حالتها الأولى بعد التصنيع والتلميع ، أما باقى السطح فتغطيه نواتج الصدأ وظهرت بوضوح تام بلوراتها المختلفة الشكل واللون منها بلورات شفافة بلون أحمر بلون الدم وبلورات غير شفافة بلون بني وآخر أصفر، كما يوجد العديد من بلورات المواد الترابية التى من أهمها بلورات السيلكا ، ومعدن السيف فى حالة جيدة جدا من الحفظ باستثناء طرف مقدم النصل حيث يظهر بوضوح التآكل وضعف المعدن وكثافة الصدأ .

كما تم فحص الكتابة الموجودة على أحد جانبي النصل وظهر بوضوح أنها محفورة فى معدن السيف ولها نفس قدمه حيث ظهر وجود الصدأ وتأثير المعدن بفعل الزمن على حواف الحروف ، وقد تم تصوير النصل لتسهيل مهمة قراءته وقد تم أخذ عينة من على سطح السيف لدراسة مكونات نواتج الصدأ وكذلك للتأكد من وجود الطلاء من عدمه وذلك بقشط السطح بمشرط حاد ، كذلك أخذت عينة من طرف النصل حوالى ١×٢ مم وتمثل المعدن وما عليه من نواتج الصدأ وذلك لاتمام عملية الفحص والتعرف على مكونات السبيكة وخواصها .

ثالثاً - التحليل الكيماوى :

نظراً لضآلة العينة المأخوذة فقد أمكن تحليل العينة تحليلاً كيمياً فقط للتعرف على المعادن المكونة للسيكة وكذلك نواتج الصدأ دون النظر لنسبها المثوية ومن ثم أمكن الوصول الى النتائج التالية :

السيكة	نواتج الصدأ
الحديد	20 + ve
الفضة	— ve
القصدير	— ve
الزنك	— ve
الرصاص	+ ve
النيكل	+ ve
المنجنيز	+ ve
الكروم	+ ve

وهذه النتيجة تؤكد بوضوح عدم وجود فحلاء بالفضة بسطح السيف وان وجود معادن أخرى ومن أهمها النيكل ولو بنسبة ضئيلة تعطى للسيكة صلابة خاصة فى حين أن وجود معادن مثل الكروم والمنجنيز لها أهمية فى تحسين بعض الخواص الطبيعية مثل المرونة للسيكة .

رابعاً - التحليل والدراسة بالأشعة السينية :

(أ) نواتج الصدأ :

وبكمية غاية فى الصغر من مادة الصدأ أمكن أخذ فيلم بالأشعة السينية لها وبعد حساب الانعكاسات واستخراج النتائج أمكن التعرف على المكونات التالية مرتبة طبقاً لنسبة وجودها :

١ - بيتاهيماتيت المائية B. Hydrohematite B-Fe OOH

٢ - الجوشيث Goethite H Fe O_2

٣ - السيلكا Quartz Si O_2

وآثار ضئيلة من بعض المعادن الموجودة بالمواد الترابية ، والمركبين الاولين من المركبات الخاصة بصدأ الحديد ولم تظهر نواتج صدأ للمعادن الاخرى نظرا لضآلة نسبتها في السبيكة ، والجوئيت هو المركب الذى ظهر على سطح المعدن فى صورة بللورات شفافة حمراء اللون فى حين تختلف لون وشكل مركب البيتاهايتات المائية وان كان يغلب عليه لون البنى فى شكل بللورات معتمة غير واضحة الشكل .

(ب) السبيكة المعدنية :

ومن ابرة صغيرة أقل من المليمتر فى العرض وحوالى المليمتر فى الطول أمكن تثبيتها فى كاميرا الاشعة السينية وتم تسجيل الانعكاسات الصادرة منها على فيلم أشعة وبعد القياس واستخراج النتائج أمكن الوصول الى أن تركيب السبيكة يشابه الى حد كبير سبيكة الصلب المحتوى على نسبة ضئيلة من الكربون ونسب ضئيلة من المعادن الأخرى مثل النيكل والكروم والمنجنيز .

كذلك تميزت الوحدة الأساسية Unit Cell للتركيب البللورى للسبيكة بتغير واضح فى أبعادها الثلاثة عن معدن الحديد نتيجة لوجود المعادن الاخرى التى تؤدى الى تحسين مواصفات السبيكة ، والمعروف أن مثل هذه المعادن تضاف حاليا بنسب مختلفة لانتاج سبائك الصلب المتنوعة المواصفات وللأغراض التى تتطلب مثل هذه المواصفات وان كان يعتقد أن وجود مثل هذه المعادن فى السبيكة جاء بطريق المصادفة حيث أن صناعة سبائك الصلب بالمعنى المعروف حاليا لم تكن معروفة فى ذلك الوقت وان كان هذا لاينفى تمتع سبيكة السيف بخواص سبيكة الصلب المحتوى على نسبة ضئيلة من الكربون .

فامسا - الفحص بالميكروسكوب المعدنى للتركيب السطحى للسبيكة :

بعد ازالة نواتج الصدأ على العينة بواسطة حامض الايدروكلوريك المخفف مع التسخين وبعد غسلها جيدا أمكن تثبيتها على شريحة زجاج ومن ثم تلميعها وفحصها تحت الميكروسكوب المعدنى لدراسة تركيب وشكل حبيبات السبيكة وقد ظهر هذا الترتيب فى صورة خطوط ضيقة متوازية بطول السطح وحبيبات دقيقة مستديرة منتشرة بين الخطوط الطولية ، وهذا التركيب من التركيبات النادرة والمسماة باسم البيوليت Pearlite . كذلك ظهر على سطح السبيكة

قبل التلميع نسط خاص من التنيش Etching Battern وهذا التنيش
كان ظاهرا عند فحص سطح السيف نفسه سواء بالعدسة أو بالميكروسكوب
ثنائي العينة •

سادسا - مناقشة النتائج :

من التحاليل والدراسات التي أجريت يظهر أن نوع السبيكة المصنوع منها
السيف هي من النوع المعروف حاليا باسم سبيكة الصلب المحتوية على نسبة
ضئيلة من الكربون Low-Carbon Steel ومثل هذا النوع من السبيكة
يحتوى على نسب متفاوتة وان كانت صغيرة من المعادن الاخرى طبقا للمواصفات
المطلوبة ، ومن هذه المعادن الكروم ، النيكل ، والمنجنيز وبعض العناصر الغير
فلزية مثل الكبريت والفوسفور والسليكون •

وبمقارنة ذلك بالنتائج التي تم الوصول اليها نجد أن سبيكة السيف تحتوى
على مثل هذه المكونات والمعلوم أن صناعة الصلب بمعناها المعروف حاليا بدأت
فى أواخر القرن التاسع عشر - حوالى سنة ١٨٩٠ م •

ومما لا شك فيه أن صناعة الحديد بالنوع المعروف حاليا باسم الحديد
المطاوع وصناعة سبيكة الصلب وخاصة المستخدمة فى تشغيل الادوات والأسلحة
عرفت من قديم الزمن فى بلاد عديدة ، وقد اختلف المؤرخون فى تحديد موعد
بدئها فى كل من هذه البلاد وان كان يمكن القول بأنه ما بين القرن الخامس عشر
الى القرن الخامس قبل الميلاد ازدهرت هذه الصناعة فى بلاد بعينها وان كانت
الصناعة لم تكن مقصودة بذاتها أو مفهومة للصانع وذلك لأن المعالجات الخاصة
بالحديد المطاوع سواء الحرارية أو التقسية والسقى والتلميع تتم للوصول الى
مواصفات أفضل طبقا للاستخدامات ، وكانت اضافة الكربون للحديد المطاوع
للحصول على الصلب تتم أثناء المعالجة الحرارية دون علم أو فهم من الصانع
نفسه وبالنسبة للعناصر الفلزية فلم يكن فى الغالب للصانع أى دخل فى وجودها
فى ذلك الوقت وكانت تعتمد على الشوائب الموجودة فى خامة الحديد المستخدمة
والتي تميز سبيكة عن أخرى طبقا لخام المنطقة أو البلد التى تصنع فيها السبيكة

وابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد كانت الهند من أهم البلاد التى تصنع
الصلب وكذلك الصين واربينيا ، وكانت سبائك الهند بالذات تصل فى صورة

أقراص يبلغ قطرها حوالي ٥ بوصات - وسمكها نصف بوصة وتزن حوالي ٢ رطل وكان يطاق عليها أقراص ووتر Wootz Cakes الى سوريا واليمن وبعض البلاد الاخرى حيث توجد مراكز التعدين ومن أشهرها دمشق التي اشتهرت بصناعة السيوف حيث كانت تجرى عمليات اعادة صهر هذه الاقراص وتشغيلها وتشكيلها بعد العديد من العمليات المعقدة ، والخاصة بالمعالجات والتقسية والسقى والتلبيح والتشيش Etching والاختيرة تعطى السطح نسط خاص من التنيش عرف باسم Damask Pattern هذا ويدل النمط ولون السبكة على درجة جودة السيف ، وكان هذا النوع من الصلب يعرف باسم الفولاذ الدمشقي Damascened Steel

وبمقارنة التركيب الحبيبي لسبكة السيف وتركيب بنيتها والنمط الخاص بها بما يقابلها بما عرف عن الفولاذ الدمشقي فانه يمكن القول أنه ربما كانت هذه السبكة تنتمي الى مثل هذا النوع من الصلب •

وحيث أن خام الحديد الذي يصنع منه الصلب في الهند هو من النوع المعروف باسم المغنيتيت Magnetite وهذا الاخير يحتوى فى كثير من الاحيان على العناصر الفلزية مثل التى وجدت فى شبكة السيف بعكس الخامات الاخرى بالمناطق الاخرى • وهذا يرجح صناعة الشبكة بالهند • أما بالنسبة لصناعة السيف فانه لما سبق ذكره يرجح أن يكون فى دمشق •

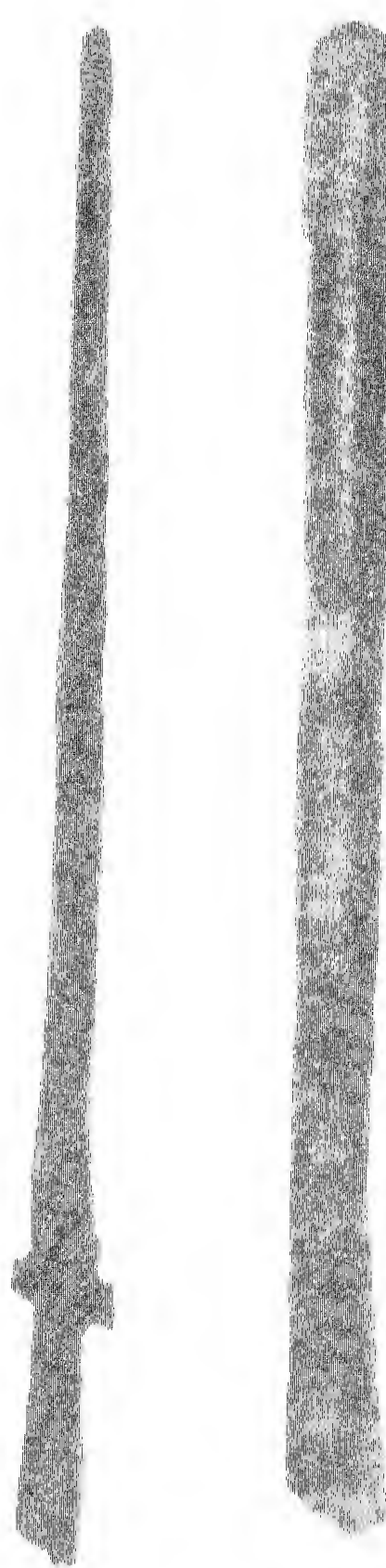
ولم يكن ممكنا تقدير عمر السيف حيث أن الطريقة الميسرة لهذا النوع من الدراسة هى طريقة الكربون - ١٤ المشع والتي تتطلب أن تكون العينة من المواد العضوية أو ذات الاصل العضوى ، ورغم أن مقبض السيف عليه كسوة من الخشب الا أنه اتضح انها مجددة وحتى فى حالة وجود الكسوة الأصلية فانه لا يمكن اجراء مثل هذه الدراسة لانها تتطلب عينة كبيرة ستؤدى فى هذه الحالة الى تشويه المقبض •

ولهذا فانه يمكن الاعتماد على النص من الكتابة العربية المحفور على سطح النصل والموجودة صورته بالتقرير لتحديد عصر الكتابة وبالتالي الى عصر السيف •

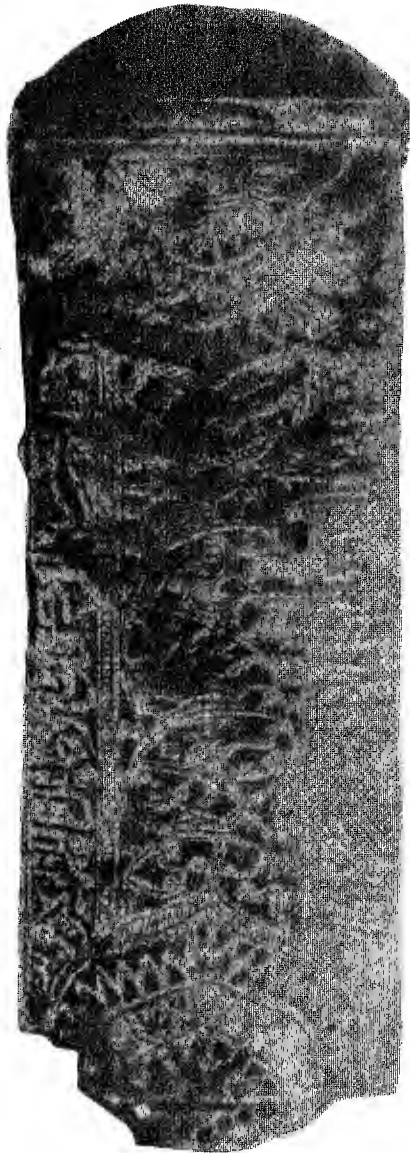
ومن ثم فاننا نستطيع ان نخلص الى رأى راجح وهو نسبة هذا السيف الى سعد بن معاذ الذى أهده الى الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء فى كتب السيرة •



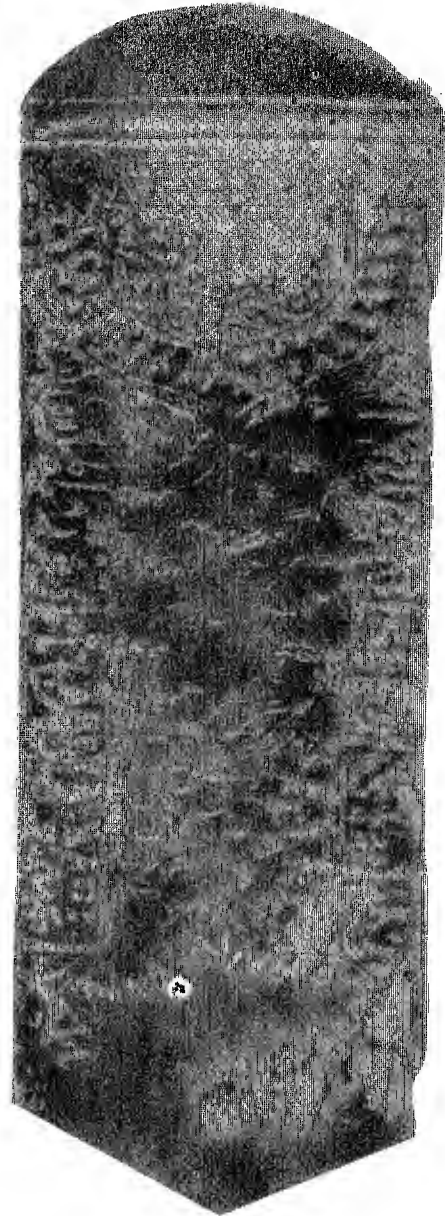
لوحة رقم (١) نصل السيف وجرا به الجلد



لوحة رقم (٢) : شكل الواقية Cross Guard

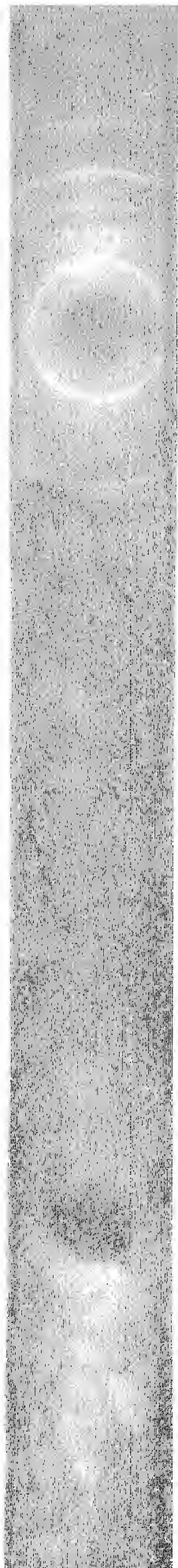


لوحة رقم (٤) : يبين الوجه الثانى
لجراب الجلدى للسيف



لوحة رقم (٣) : يبين احد وجهى
الجراب الجلدى للسيف

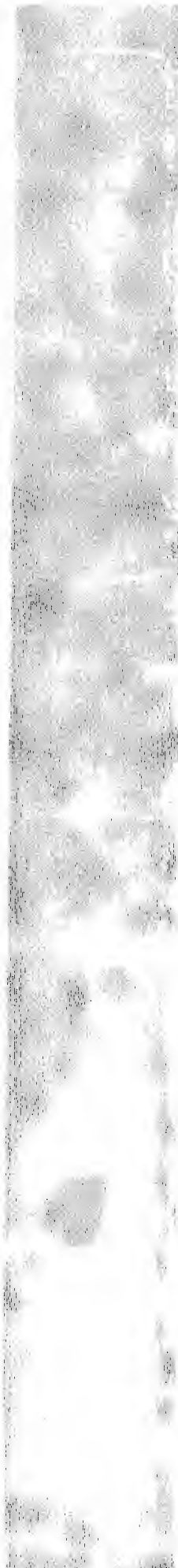
شكل (٢) : فيلم الأشعة
السينية المأخوذة للمهبط
المنيف



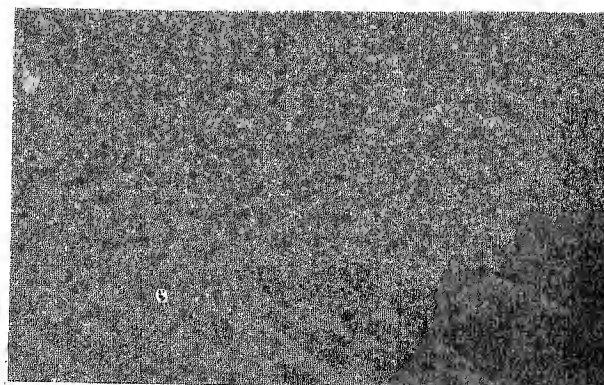
(ب) : انعكاسات الإنعقة لسبكة السيف

شكل (١) : فيلم الأشعة
السينية المأخوذة لنوايح
الصدأ المتكونة على سطح
المعدن

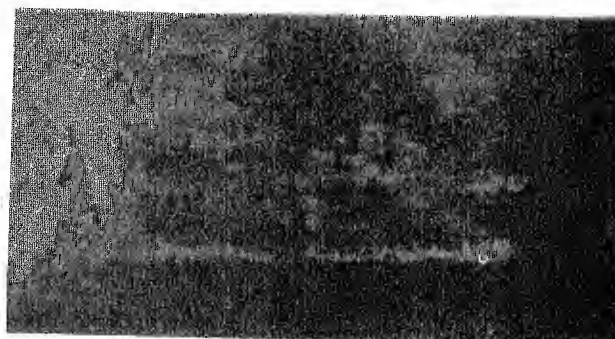
(١) : انعكاسات الإنعقة السينية لفصل حديث من نوع Low-Carbon Steel والمجوى لنسب مقارعة للمهبط
التي تحتويها شبكة السيف من الفلزات



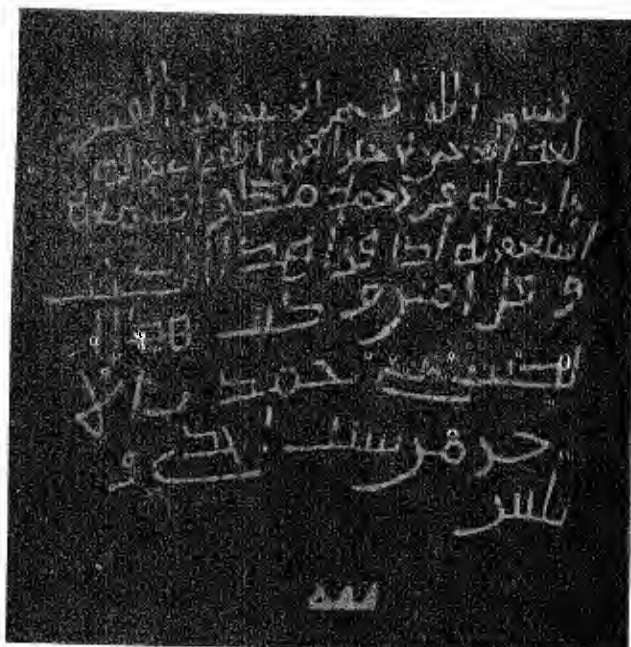
شكل (٣) : النمط
النمشي لسطح السبيكة
والتركيب الحبيبي
للسبيكة



شكل (٤) النص من
الكتابة العربية المحفور
على سطح النصل



شكل (٥) شاهد قبر
يرجع الى ٣١ هـ



تم الطبع بالادارة العامة لمطبعة
جامعة القاهرة والكتاب الجامعى
مدير ادارة المطبعة
البرنس حموده حسين
١٩٨٩/٧/١١

رقم الايداع ٤٥٩٠ / ١٩٨٩
الترقيم الدولى ٠ - ٠٦٠ - ٢٥٣ - ٩٧٧

(مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ١٥٩٣/١٩٨٨/٥٠٠٠)

10005
10005
10005